

مختارات

تسعة



المشروع القومي للترجمة

■ Selection

Fernando Pessoa



الطبعة الثانية

فرناندو بيسوا

ترجمة: المهدي أخريف

مختارات
(فرناندو پیسوا)

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٦٧ / ٢
- مختارات
- فرناندو بيسوا
- المهدى أخريف
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة لمختارات من أشعار فرناندو بيسوا

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة .

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦

فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira. Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com

Tel.: 27354524 - 27354526

Fax: 27354554

مختارات فرناندو پيسوا

ترجمة: المهدي أخريف



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٠٨٨٩ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولي: 5 - 319 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز .

إضاءة

هى ذى « مختاراتى الثانية » من أشعار فرناندو
پيسوا أضعها بين يدى القارئ لتضاف إلى المختارات
الأولى التى صدرت فى القاهرة (هيئة قصور الثقافة) ،
ثم الدار البيضاء (دار الرابطة) منذ بضعة أشهر .

مايُمِز هذه المختارات هو شموليتها بعدم اقتصارها
على قصائد لشاعر واحد كسابقتها (ثلاث قصائد
لألبارودى كامپوس) مع توفرها على تمثيل واسع
ومتكامل لشعراء پيسوا الأربعة : پيسوا أولاً ، فمُعَلِّمه
ألبرطو كاييرو ، فريكاردو ريبس ، ثم ألبارودى
كامپوس « الپيسويى الأكثر پيسوية من پيسوا » .

لم يكن العمل فى هذه الترجمة خالياً بالطبع من
المصاعب والمثبطات ؛ لقد اصطدمت بعوائق وإرغامات
متباينة أجبرنى بعضها على التخلّى كلية عن مراودة
قصائد عديدة شغفت بها ، كما دفعنى بعضها الآخر إلى
التوقف والتأنى وابتكار صيغ و « أساليب » خاصة
لتجاوز بعض المآزق التركيبية والتغيرات المجازية
« الپيسوية زيادة على اللزوم » .. وإذا كنت قد توصّلت
فى النهاية إلى إنجاز ما أنجزته فلأننى كُنْتُ مَقْوِداً بِقُوَّةِ
الشغف ولذة الإنصات ، ولأننى أيضاً عرفتُ كيفُ أروِّضُ
« لغاتى » و « أَلْيَنَ » اختياراتى ، مستعينا ، بغية التدقيق ،
بأكثر من ترجمة واحدة من الترجمات الإسبانية ،
التي اعتمدتها ، للنص الأصى ، مع مقابلتها ، كلما كان

ذلك ضرورياً ، مع القصائد فى لغتها البرتغالية الأصلية ، بفضل العونِ الشغوف للصيدق الأستاذ بيدرو فيلاسكيز دورو تارة وبجهد تتبُّعِ الشخصى تارة أخرى ، خاصة وأن القرابة بين اللغتين الإسبانية والبرتغالية تصل إلى حد التطابق التام فى الكثير من التراكيب والصيغ .

لَقَدْ اضْطُرْتُ غيرَ مَا مَرَّةً إِلَى إدخال تعديلات شتى ، تحويراً وتنقيحاً وتجويداً ، على قصائد عديدة ترجمتها بعد اطلاعى على ترجمات إسبانية أخرى بَدَتْ لى أجود وأدق . وهو ماجرى لى بالفعل مع بعض « أناشيد » ريبس ، وقصائد پيسوا ، وخاصة مع « نشيد الظَّغر » لألبارودى كامپوس التى أدخلتُ على ترجمتها المنجزة مُنْذَ سنوات ، تعديلات واسعة اعتماداً على نصِّ الأستاذ خوصى أنطونيو جاردينت * الأَدَقُّ والألصقُ بالأصل من ترجمة أوكتافيوپاث التى اعتمدها البداية .

ربما يكون نَجَاحى فى ترجمة « الأشعار الحارة » ، أشعار كامپوس كاييرو ، أْبْرَزَ مِنْ مَثِيلِهِ فى « الأشعار الباردة » ، أشعار پيسوا وريبس تَخْصِيصاً ؛ لأن « القصائد الحارة » تلك تمنح نفسها بيسر أكبر وتُتِيح ، عبر أسلوبها السيَّال والمباشر ، الإمساك بتيار الإيقاع بِسُهُولة لا تُتِيحُهَا « القصائد الباردة » ذات البنية

القصيرة المراوغة والنبرة السهلة الممتنعة حيناً أو
الملتبسة حيناً آخر . وهذا ما يفسّر ويبرّر الحيز المتقلّص
الذى تحتله « أناشيد » ريبس فى هذه المختارات بالمقارنة
مع الحيز الممنوح لباقى الأنداد .

آمل أن يجد القارئ فى هذه الأشعار الموسومة
بجهد وصدق إنسانيين نادرين ، ما وجدتُ شخصياً من
متعة ، متعة الشعور والفكر والإحساس ، كما آمل أن
تكون كافية لتمثّل وتذوّق خصوصيات الأنداد
وفراديتهم وفى نفس الآن للإمساك بذلك الخيط
الرؤيوى والروحي الذى يجمعهم ويوحد مقصدهم
الشعرى ، خيط الإحساس بانعدام الوزن ، ذلك أنهم
جميعاً ، على ما بينهم من فوارق مظهرية ، ينتمون إلى
تلك الفصيلة النادرة من « الكائنات ذات الخفة التى
لا تحتل » ، (ميلان كونديرا) ، والتى مهنتها الهروب
الدائم إلى الداخل وإدمان اللعب فى زوايا الخيال الكثيبة
فراراً من ورطة الوجود بالقسر ...

إن الوشائج التى تجمع هؤلاء الأنداد تتجاوزُ
ما خلّفوه من أثر شعرى ، لتمتد إلى النثر وإلى ما
مارسوه من أفعال رمزية ، وحيوات مصطنعة ومقنّعة ،
فقد تبادلوا علاقات صداقة متفاوتة المستوى (باستثناء
ريبس وبيسوا اللذين لم يتعارفا شخصياً) . كما تبادلوا
النقد والتعليق على أشعار بعضهم بعضاً وجرت بينهم

مساجلات ومجادلات إسطيطيقية خصبة مست الشعر
والنثر وامتدت إلى الفلسفة والدين والأخلاق والسياسة **
وعلى الرغم من تباين مسالكهم ومصائرهم فقد عرفوا
تقريباً نهايات مشابهة وتبحروا فى صمت ، داخل بئر
عزلتهم الخاوية ، عزلة خالقهم بيسوا الذى كان آخر
ماخطّه عشية موته هذه الكلمات : اسقنى مزيداً من
الخمير ، لأنّ الحياة لاشئ .

المهدى أخريف

(*) خوص أنطونيو جاردينت : (1935 - 1987)
Jo.ose Antonio LLardent حاصل على الجائزة الوطنية فى الترجمة
الادبية سنة 1987 بفضل ترجماته الجيدة للعديد من أعمال بيسوا الشعرية
والنثرية .

(**) يمكن الرجوع لمن أراد التوسّع فى معرفة النشاط النقدى
والنظرى لبيسوا وأنداده إلى كتاب : Fernonedo Pessoa :

El Regreso de los Dioses

Troducción del Portuguez Ydel Inglés : ANGEL Crespo

Seix Barral . Primero edición 1986 - Barcelona .

إسطيطيقا التنازل

فرناندو أنطونيو نوغيرا پيسوا ؛ ولد فى لُشبونة يوم 13 يونيو 1888 وتوفى فيها يوم 30 نوفمبر 1953 . طوال السنوات السبع والأربعين التى عاشها ، تميزت حياته وأعماله الخارجية « البيوغرافية » حسب توصيف ذاتى محكم له ، بالرتابة والبساطة ، حياة « رجل عايش الأشياء التى تحدث فى الحياة ، من بعيد ، مبتسماً ، بدون أن يختلط بها » . فى البداية جعل من « مهمة العبقرى المقدسة والرهيبية » هدفاً حيويًا لحياته ، غير أنه لم يلبث أن اكتفى بالاعتقاد بامتلاك مزايا عالية من الذكاء والحساسية مناقضة « للآخرين » الذين وجب عليه أن يتجاهلهم فى علاقته كإنسان وككاتب .. وهكذا قرّر التخلّى عن جميع أشكال الشهرة التى تليق فقط « بالممثلات والمنتجات الصيدلية » حسب تعبيره . بدون إظهار أى ندم أو مرارة أوحقد . لقد حوّل ، ببساطة ، طاقته الاستثنائية إلى مادة أدبية من خلال « إسطيطيقا » أطلق عليها نعت « إسطيطيقا التنازل » ، وحرص على

الالتزام بها حتى نهاية أيامه . غير أنه كَانَ قد نَظَرَ لها منذ 1985 بهذه العبارات : « إن الظافرين عموماً سرعان ما يفقدون المزايا الناجمة عن الظفر؛ لأن الشعور بالرضى يستولى عليهم . ووحده القانع يشعر بالرضا . أما الذى يفوز حقاً فهو الذى لا يملك عقلية الظافر ، والذى لا يصل أبداً إلى مبتغاه . وحده القوى ، همته فى قُتور مستمر » . الأفضل ، إذن ، هو التنازل عن كل طموح . « فالإمبراطورية العليا هى فى ملك الإمبراطور الذى يتنازل عن كل حياة عادية وعن البشر كافة » .

هذه « الاسطيطيقا التنازلية » مَسَّت كل جوانب حياة يسوا.بدءاً من الوضع المادى - كان مخططه المالى المعلن هو ضمّان الحصول على 70 دولاراً فى الشهر ، كحدٍّ أقصى ، بدون زيادة دولار واحد - إلى نظام العلاقات الإنسانية ، من الحب إلى الصداقة على أساس أن « فعل الوجود الإلهي يَجِبُ ألاَّ يتماثل مع فعل التعايش الشيطاني ، لكنّه على عزلته ، واحتفاظه بالمسافة الدائمة بينه وبين الآخرين لم يستطع التخلص من أسر الحياة اليومية الظاهر ؛ تلك الحياة التى شكلت المكان الملائم لإنجاز « مهمته : مهمة الرجل العبقري » إنها فضاء الإنصهار فى الكتابة عبر الخضوع « لمعلمين لا يتساهلون ولا يغفرون » ، لكن ألا يصحُّ اعتبار ذلك التخلّى فى النهاية شكلاً من أشكاله « خَجَله المتعالى » الذى دفعه إلى التأكيد : « ... تفزعنى كل الحركات

والإشارات ، كل عباراتى مُنتزعة من سهولة الانفعال
المباشر » ! . مهما يكن من أمر فقد توالى أيام ييسوا بين
اليومى الأكثر مباشرة بإرغاماته المستمرة وبين
مغامرات الكتابة باعتبارها الرغبة الوحيدة الفاعلة فى
الحياة .

فرناندو پيسوا

أولاً : مختارات شعرية II

ترجمة : المهدي أخريف

مطر مائل

I

بهذا المشهد يَمُرُّ
حُلْمِي بميناءٍ لامتناهٍ ،
لون الأزهار هو شفافية أشرعة السفن الكبرى
التي تُقلع من الرصيف ساحبةً على المياه فيما
يشبه الظلُّ
أطيافَ تلك الأشجار العتيقة تحت الشمس .
مينائى المحلوم به معتم وشاحب ،
والمشهد مفعم بالشمس فى هذه الناحية ...
لكن شمس اليوم ميناء مظلم فى روحى
والسفن المقلعة من الميناء هى الأشجار تلك تحت
الشمس . متحرراً ، أغادر المشهد الأسفل ،
شبحُ الرصيف هو الطريق فى وضوحه وهبائه

منتصباً مثل جدار ، لدى ارتفاعه ،
من داخل جذوع الأشجار تمر السفن
بعمودية أفقية
ثم تمضى بآئته فى المياه مرساتها داخل الأوراق
واحدة فواحدة ..

زمن لمن أحلم ؟ لا أدرى
فجأة تشفى كل مياه البحر ،
فأبصر فى العمق ، كما لو أن صورة هائلة كانت
منشورة هنالك .

كل هذا المشهد ، صف الأشجار ، الطريق المضطرب
فى ذلك الميناء ،

ثم ظل سفينة شراعية أقدم من الميناء ذاته ، يمر

بين جلمى بالميناء ورؤيتى لهذا المشهد ،

ظلاً يصلنى فيتغلغل فى

منتقلاً إلى الجانب الآخر من روحى ...

من الداخل تُضاء الكنيسة بمطر هذا النهار ،
كُلُّ شمعَة تُضاء هي مَطَرٌ آخر يخفق في
الشمعدان ...

يُهجنى الإصغاء إلى المطر ، مَطَرٌ هُوَ تَأْلُؤُ الكنيسة
بالأضواء ،

وشمعدانات الكنيسة مرئية من خارج هي صوت
المطر مسموعاً من الداخل .

رَوْنَقُ المذبح الأعلى يَحُولُ دُونِ مُشَاهَدَتِي الجبالِ
مِنْ خَلَلِ المطر ، المَطَرِ الذِي مِنْ ذَهَبٍ مَهِيْبٍ عَلَى
سَفْرَةِ المذبح

هُوَذَا رَنِينُ غناء الكورس الكنائسي ،
بداخلي صَوْتُ اللاتينية مَمزُوجاً بالريح يَرُجُ
الشمعدان ،

فيما رَقْرَقَةُ المَاءِ تُحَسُّ مِنْ مَجَرَّدِ أَنْ ثَمَتِ كورس
ليس القُدَّاسِ سوى سَيَّارَةٌ تَمُرُّ

مِنْ خِلالِ المخلصين الراكعين لِأَنَّ اليومَ حزين ..
ريح فجائية تَهْزُ بِبَهَاءٍ أَعْلَى

احتفال الكاتدرائية ، بينما صخب المطر يمتصُّ
كُلَّ شَيْءٍ

إلى حَدٍّ أَلَّا صَوْتٌ يُسْمَعُ غَيْرَ صَوْتِ الْقَسِيسِ
مَاءٌ مَهْدُورٌ فِي الْبَعِيدِ
رَفْقَهُ صَوْتٌ عَجَلَاتِ سَيَّارَةٍ ...

وفى المطر المتوقّف
تنطفئ أضواء الكنيسة

III

أَبُو هَوَلٍ مِصْرَ الْأَكْبَرُ وَرَقٌ حَالِمٌ فِي الدَّاحِلِ ...
اَكْتُبْ - وَأَبُو الْهَوَلِ يَتَمَرَأُ مِنْ خَلَلِ يَدَيِ الشَّفَافَةِ ،
وَعَلَى حَاشِيَةِ الْوَرَقِ تَنْتَضِبُ الْأَهْرَامَاتُ ...
اَكْتُبْ - مَنْزَعَجاً مِنْ كَوْنِ رَأْسِ قَلَمِي
عِبَارَةٌ عَنْ بَرُوفِيلِ لِلْمَلِكِ keops
فَجَاءَ أَتَوَقَّفُ
لَقَدْ تَعَتَّمُ كُلُّ شَيْءٍ ، ... أَسْقَطَ فِي هُوَّةٍ مِنْ زَمَنِ .
مُغْطًى بِالْأَهْرَامَاتِ ، اَكْتُبْ أَشْعَاراً عَلَى الضَّوءِ
السَّاطِعِ لِهَذَا الْقَنْدِيلِ

وَمِصْرُ كُلِّهَا تَضْغُطُ مِنْ أَعْلَى عَلَى عَبْرَ جَرَّاتِ الْقَلَمِ ...
أَسْمِعْ أَبَا الْهَوْلِ يَضْحَكُ مِنَ الدَّاخِلِ ،
أَسْمِعْ صَوْتَ قَلَمِي يَعْْبِرُ الْوَرَقَ ...
يَدٌ هَائِلَةٌ تَتَخَطَّى مَا لَسْتُ قَادِرًا عَلَى رُؤْيَتِهِ ،
ثُمَّ تَسْحَبُهُ بِالْكَامِلِ إِلَى حَافَةِ السَّقْفِ الْقَائِمِ عِنْدَ
كَاهِلِي ،

وَفَوْقَ الْوَرَقِ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْتُبُ ، بَيْنَ الْوَرَقِ وَالْقَلَمِ
الَّذِي يَكْتُبُ ،
يَرْقُدُ جِثْمَانِ الْمَلِكِ KEOPS مُحَدِّقًا فِيَّ بَعِينَيْنِ
مَفْغُورَتَيْنِ ،

بَيْنَ تَقَاطَعِ نَظْرَتَيْنَا يَجْرَى النَّيْلُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُفَكِّرُ فِيهِ ،
تَأْتِيهِ تَمْضِي بِانْحِرَافٍ مَبْهَمٍ مَسْرُوءٍ مَرَاكِبِ
مَزْدَانَةِ الْأَعْلَامِ .

مِنْ ذَهَبٍ عَتِيقٍ وَمِنْ مَائَتِ الْمَلِكِ KEOPS ...

يألْزِف السكون الثاوى فى هذه الغرفة !
 - فى الأندلس تُوجد الجدران -
 ثمت رقصات شهوانية فى السطوع الثابت للنور
 الفضاء بكامله ينحبس فجأة
 يتوقّف ، ينزلق ، يتحلّل ..
 وفى رُكنٍ ما من السُقْف ، أبعد من السقف بِكثير ،
 هنالك أَيْادٌ بيضاء تفتح نوافذَ سرّيةٍ عديدةٍ
 فيما بَاقَاتُ بنفسجٍ تمضى منهمرةً
 من تكلم الليلة الربيعية المحتملة فى الخارج ،
 فوق وجودى هذا بالعينين المغلقتين ...

فى الخارج أحصنة المعرض الاصطناعية تحت
 دَوّارة الشمس تدور
 أحجار ، أشجار وجبال ترقص فى داخلى دون
 حرّاك ...

ليل شامل فى المعرض المضاء ، قَمَرٌ فى النهار مَعَ
الشمس التى هناك

وكل أضواء المعرض تَرِنُ على حيطان الحديقة * ...

جموع صبايا بأباريق على الرؤوس
سائرات فى الخارج ، مبتهجات بوجودهن تحت
الشمس ،

وهن يتقاطعن مع جموع لَزِقَةٍ كبيرة مِنْ أناسٍ
يسIRON

عبر المعرض ، مع كل أولئك البشر المختلطين بضوء
الأكواخ بالليل والقمر ...

يلتقى الجمعان ويتداخلان
مكوْنَيْنِ فحسب مجموعة واحدة ، هى فى حد ذاتها
مجموعتان ...

المعرض والأضواء والناس السائرون عبر المعرض ،
والليل الذى يمسك بالمعرض ويقوده بغير استقرار ،
جميعها فوق رؤوس الأشجار المفعمة بالشمس ،
مَرَّئِيَّةٌ تسير تحت الأحجار الالامعة تحت الشمس ،

* ترجمة غير دقيقة لـ Quintal . وال Quintal هو تلك الفسحة
البستانية الصغيرة المتصلة بالمنزل بدون أن تكون لابستاناً ولا حديقة .

متدفقةً من خلف الأبريق المحمولة على رؤوس
الصبايا ،
مشكلةً كُلُّها بضوضائها وأضوائها أرضَ هذا اليوم
المشمس .

فجأةً هناك من ينفُضُ ، هذه الساعة المزدوجة ،
كَمَنْ يَنْفُضُ غَرْبَالاً ،
بينما غُبَارُ الْوَاقِعَيْنِ * المختلط يسقط
فوق يَدَيِ المليئتين برسوم موانئ
تُقْلَعُ منها سُنُنٌ كبيرة لا تفكّرُ فى الرجوع
غبار من ذهب أبيض وأسود فوق أصابعى ...
يدائى هما خطوات تلك الصبيّة التى تترك المعرض
وحيدةً مبتهجةً بهَجّةِ هذا النهار ...

v

القائد يحرك عصا الأوركسترا
التي تقتحم العزف بفتور وكآبة

* مُتْنَى واقع : Realidad .

أتذكّر طفولتى ، ذلّك اليوم الذى كنتُ ألعب فيه قرب
حائط الحديقة

قاذفاً إيَّاهُ بالكرة التى كان وَقَعُها شبيهاً
بانزلاقة كلب أخضر تارةً ،
وبحصانٍ أزرق يَعْدُو بفارس أصفر ، تارةً أخرى
الموسيقى تتواصل ، وها هنا فى طفولتى ،
ها هنا فجأةً بينى والجدار الأبيض ، وقائد
الأوركسترا ،

تذهب الكرة وتجيءُ ، كلباً أخضر حيناً
وحصاناً أزرق بفارس أصفر حيناً
المسرح كله هو حديقتى ، طفولتى
موجودة فى كل مكان والكرةُ محمّلةٌ بالموسيقى
تجيءُ ،

بموسيقى غامضةٍ كثيفةٍ تتجولُ عبر حديقتى
مرتديةً هيأةً كلب أخضر وهى تدور فى ثوب
فارس أصفر ؛

(بسرعة تدور بينى وبين الموسيقيين الكرة)

أقذف بها فى وجه طفولتى فتقطع
كل هذا المسرح الموجود عند قدمى لاعبه
بفارس أصفر ، بكلب أخضر ، وبحصان أزرق
يطل من حائط حديقتى .
بينما الموسيقى تقذف بالكرات صوب طفولتى ..
وحائط الحديقة مصنوع من إشارات
عصا الأوركسترا ومن تعاقبات ملتبسة لكلاب
خضراء
وبضعة أحصنة زرق وبعض الفرسان الصُفُر ...

المسرح بكامله حديقة موسيقى بيضاء
حيث الكلب الأخضر يركض خلف
نوسطالجية طفولتى ، حصاناً أخضر يُعْتَلِيهِ
فارس أصفر ..
من جهة إلى أخرى تذهب الكرة ، إلى اليمين ، إلى الشمال ،
حيث الأشجار ووسط الغصون القريبة من القمة
تعزف الأوركسترات ،
حيث صفوف من الكرات مجمعة فى الدكان الذى
ذهبت إليه لِبَتَاعِ كرتى ،

ووسط ذاكرات طفولتى يبتسم البائع ...

لكنَّ الموسيقى توقَّفتْ مثل انهيار جدار ،
والكرة ظلَّتْ تدور حول هاوية أحلامى المجهضة .
والقائد ، الفارس الأصفر من أعلى الحصان
الأخضر
انحنى مقدِّماً تشكُّراته واضعاً العصا فى فتحة
جدار ،

انحنى ، باسمًا ، بِكُرَّةٍ بيضاء على الرأس
كرة بيضاء تدحرجت من أعلى الظهر
واندَمجتُ فيما هو أسفل .

فصول / المومياء

I

أُميالاً من الظِّل قطعتُ

دَاخِلَ تفكيرى .

من السطح يُزهر فَرَاغى

مع مَا لاجنس له .

والمصابيح أُطفئت

فى المَخْدَع المهتزّ .

فجأةً يتحوّل كل شئ

إلى صحراء ناعمة

لا أبصرها بعينى

بل بملمّسى القُدودِ من مُخْمَلِ المَخَادِعِ .

ثمة واحة فيما هو ملتبس

وفيما لا صدوع فيه
هناك قافلة تمرُّ

مثل شبهة ضوء

فجأة أنسى الفضاء

كيف هو ، والزمن يغدو عمودياً
بدلاً من أن يكون أفقياً .

لا أدري المضجعَ

أين يتحدّر

حتى لا يعثر علىّ .

ثمة بخار خفيف يعلو

من أحاسيسي .

أكف عن أن أوجد

داخل ذاتي . لا وجود

لهنا في الداخل / هناك في الخارج

والآن تلك الصحراء

أضحت فما محنياً

مَعْرِفَتِي بِحَرَكَاتِي
نَسِيتُ اسْمِي .
لَقَدْ ثَقُلَ الْجَسَدُ عَلَى رُوحِي
أَحْسُ بِجُلُوثِي
مُعَلَّقٍ فِي الصَّالُونِ
حَيْثُ يَرْقُدُ أَحَدُهُمْ مَيِّتًا .
كُنْتُ شَيْءٌ هَوَى
يَطِنُ فِي مَا لَا يَتَنَاهَى .

II

مَيِّتَةٌ فِي الظِّلِّ تَرْقُدُ كَلِيوبَاتِرَا .
يَنْهَمِرُ الْمَطَرُ .
لَقَدْ أَسَاؤُوا تَزْيِينَ الْمَرَاقِبِ بِالرَّايَاتِ .
دَائِمًا يَسْقُطُ الْمَطَرُ
لَأَجْلِ مَاذَا تَتَطَّلَعُ أَنْتَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْبَعِيدَةِ ؟
رُوحُكَ هِيَ الْمَدِينَةُ الْبَعِيدَةُ .

ببرود يسقط المطر .

أما بالنسبة إلى الأم التي تهدد الابن الميت في
حضنها .

فكلنا نُهدِّدُ في الحُضنِ طفلاً ميّتاً .
المطر ، المطر .

الابتسامة الحزينة الفائضة عن شفّتكِ المتعبتين
أراها في الحركة التي تشبّث فيها أصابعك
بالخواتم .
لماذا يسقط المطر ؟

III

لَمَنْ النُّظْرُ
المُؤْمِضُ عَبْرَ عَيْنِي ؟
عندما أَتَفَكَّرُ ما أراه
من يستمر في الرؤية
وقت انشغالي بالتفكير ؟
وأى طريق تتابعه

لاخطواتى الكثيبة ،
بل واقع خطّوات بمعيتى ؟
أحياناً فى ظل غرفتى المبتور
عندما لا أكون موجوداً حتى
على مستوى الروح ،
يكتسى الكون فى شكل آخر :
شكل بقعة كُسُوفية من وعيه
بفكرتى عن الأشياء .

إن أشعلتم الشموع

ولم يكن وحده الضوء
الخارجى المبهم موجوداً
- من فنار موقد فى الشارع
لا أدري أين ولا ماهو ؟ -
ستكونُ لدي الرغبة
القائمة فى ألا يوجد أبداً
فى الحياة والكون

غير الساعة الغامضة
التي هي حياتي الآن :
هنيهة رافدة
لِنَهْرٍ مُتَّجِهٍ عَلَى الدَّوامِ
إلى نسيان أنه موجود ،
فضاء خفي
بين فضاءاتِ صَحارى
مَعْنًا هُنَّ باطل
وحيث العدم عدم .
هكذا ميتافيزيقياً
تَمُرُّ الساعة .

IV

متدحرجاً يسقط
فَلَقِي عَلَى السَّلْمِ
رغباتي وسط حديقة
عَمُودِيَّةٍ تَتَدَحْرَجُ .

عند المومياء الوضع مضبوط تماماً .
موسيقى نائية ،
موسيقى نائية جداً
لكي تُمرَّ الحياة
وتُلمَّ الحركات

V

لماذا تفتح الأشياء الشوارعَ لخطواتي ؟
إنني أخشى المرور وسطها ، بتصلُّبها الواعي
أخشى أن أتركها تزيح القناع إزاء ظَهري .
لكن دائماً نمت أشياء إزاء ظهري .
أحسُّ بغيا بهن الذي كله عيون تحدِّق فيَّ فأرتعش .
الجدران ، حتى بدون أن تتحرَّك ، ترشقني بالمعنى .
الكراسي ، من غير صوت تكلمني به ، تتحدَّث معي .
رسوم سفرة الطعام تملك حياة : كل رسم هاوية .
بشفاه لامرئية منْظورةٍ يبتسم الباب

الذى ينفتح واعياً تماماً
بدون أن تكون هناك يد تفتحه غير الطريق
من أى مكان ينظرون إلى ؟
أية أشياء عاجزة عن النظر تلك التى تنظر إلى
من يتجسس على كل شئ .
التماعات السنابل تحملق في
الجدران الملاء تبتسم بالفعل .
إنه الإحساس بكوني أوجد فحسب
من خلال عمودى الفقري .

السيوف

السيوف .

نعم ، سأفعل ، وساعة إثر ساعة تمرُّ الأيام*

سأفعل ، ويوماً إثر يوم تمرُّ الشهور
وأنا ، ممتلئاً دائماً فقط بما سأفعله ،
أرى أنَّ ما سأفعله لا يُفعل ،
داخل النوسطالجيا اللأمجدية لذاتى نفسها .

سأفعل ، سأفعل ... الشهور تصبح أعواماً
والأعوام هي الحياة بكاملها ،
هي الكل ... ودائماً نفس الإحساس
بأنَّ كُلَّ شَيْءٍ فى المتناول ،
دائماً القدم ساكنة واليد جامدة .

سأفعل ، سأفعل ، سأفعل ... نعم ، بإمكان
آية لحظة ربُّما أن تمدَّننى بالجهد والظُّفر ،
لكن ذلك ممكن فحسب إذا أمدَّتني به من الخارج .
لقد رغبت فى كل شَيْء - السلم ، الأمل ، المجد ...
أى لَامَعْقُول مظلم ينتحب فى روى ؟

(*) ترجمها عن البرتغالية إلى الاسبانية : Gustavo FBra .

رُبَّمَا ذَاتَ يَوْمٍ ، فِيمَا وَرَاءَ الْأَيَّامِ ،
تَعْتُرُ عَلَى مَا تُرِيدُ لِأَنَّكَ تَرِيدُهُ .
حِينَئِذٍ ، مُتَحَرِّراً مِنَ النُّوسَطَالِجِيَّاتِ الزَّائِفَةِ ،
تُذَرِّكُ كَمَالَ الْكَائِنَاتِ .

لَكِنْ ، كَمْ هُوَ مُسْكِنٌ حُلْمٍ مِنْ لَا يُرِيدُ سِوَى عَدَمِ
امْتِلَاكِ حُلْمِهِ :

كَمْ هُوَ بَيْئِسٌ أَمَلٌ أَنْ تَكُونَ مُوجُوداً وَحَسَبَ !
كَمَنْ .. يُمَرَّرُ عَلَى الشَّعْرِ يَدَهُ
وَهُوَ يَشْعُرُ فِي ذَاتِهِ بِأَنَّهُ مُخْتَلَفٌ ،
كَمْ مِنْ ضَرَرٍ يُلْحِقُهُ بِالْحُلْمِ حَمْلُ الْحُلْمِ !

كُنْ هَادِئاً أَيُّهَا الْقَلْبُ ، بِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَتَنَمُ ،
الْهُدُوءَ لَا يَجْشَمُ مُبَرِّراً وَلَا حُجَّةً ،
إِنَّهُ يَتَطَلَّبُ فَقَطِ اللَّيْلَ السَّاكِنَ الْهَائِلَ ،
تِلْكَ الْوَقْفَةُ الْمَهِيْبَةُ ، الْعَظِيْمَةُ الْكُونِيَّةُ
الَّتِي تَنْحُلُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ .

ربما ذات يوم أنظم قصيدة لى

لأذلك الشئ الذى ، إذا حَلَّته ،
وجَدَّته فحسب التَّوْب الذى نسج فى داخلي
من كثرة الارتجال اللاشخصى والمجهول
الذى نسيني أو نسيَ ذاته .

قصيدة تنتسب إلى ، وفيها تنساب كينونتي ،
فيها أقول ما أحسُّ وما أنا إياه .
بدون تفكير ، ولا إرادة ، ولا تكلف ،
مثل مكان مضبوط تماماً ، حيث كُنْتُ
وحيث بإمكان الغير ، أن يَروُنِي ، مثلما أنا عليه .

آه ، لكن مَنْ يستطيع أن يكون من هو ؟ من يعرف
تَمَلُّك الروح التى يَمَلِك ؟ مَنْ ذا الذى هو بالذات من هو ؟
نحن ظلال لأنفسنا وحسب ، وحده الانعكاس يطابقنا .
لكن أى انعكاس ؟ انعكاس غصون لا واقعية ؟
رُبَّما الهواء وحده يطوينا وَيَنْشُرُنَا .

كتابات قبرية

I

نَمْرُ حالمين . الأرض تبتسم ، الفضائل تزداد نُدرة .
العمر ، الواجب ، الآلهة تتحكّم فى سعادتنا الواعية .
ترقّب الأحسن وتهيباً للأسوأ .
فى هذه الوصفة تتكثف خلاصة الحكمة .

II

الأقدار العاتية استسلمت إلي ، أنا كلّوى ، الصبيّة .
التي ماكانت تعنى شيئاً بالنسبة إليهن ، إلى الظلال
الممتلئة .

هكذا هو الحب لدى الآلهة . لم تكن سنواتى
قد جاوزتِ السبع مرّتين

فى مروجى السحيفة أرقد منسية .

III

من خلوتى على التل حدقت ملكياً نحو الأسفل ،
نحو المدينة الصاخبة ؛
بعدئذ أمضيت أحد الأيام (ضَجِراً من مراقبة
الحياة متخلياً عن الأمل الأبله)
بدلتى فوق رأسى
(كما لو كانت هذه الحركة شيئاً ذابال)
كأننى أرفع جناحاً .

IV

Cécrops لَمْ يَرَعْ نحلاتى . أشجار زيتونى
أعطتُ زيتاً كالشمس ، مِنْ بعيد نُغِتْ قطعانى
المسافر المتعب مال إلى بابى
الأرض المبتلة محتفظة ماتزال برائحتها .
حاسة شمى ميّنة الآن .

V

عرفتُ الظفرُ البرابرة الأبعاد سمعوا باسمى .
الرجال مثل البيادق فى لعبتى هذه
لعبتي التى لم أستفد فيها أنا بالذات من دورى غير
القليل
قذفتُ بالبيادق إلى الهواء . والقدر تكفل
بالحساب .

VI

ثمت من أحيوا وثمت من سَعَرُوا كالأسهم .
ياقرينة رفيقى الراضى الطبيعية .
كافياً كنتُ لِمَنْ كَانَ كَذَلِكَ ،
مشيتُ ، نمتُ ، أنجبتُ ، وبلا هَدَفٍ شَحْتُ .

كمن يُبعد كوابٍ للغير أبعدتُ اللذة .
جَادٌ ، متباعد ، واثق ، وجهت نظري إلى حيث
يتراءى الآلهة

من ورائي انزلق الظل العمومى
وأنا أنومُ حلمى حَالِماً بأننى لم أنمُ .

خمس سنوات شحيحة مرَّرنَ قبل أن أمرُّ أنا أيضا .
جَاءَ الموت ومضى بال مخلوق الذى كان هناك .
مامن إله قَدَّمَ الغوث ، ولا القدر ابتسم لليدين
الصغيرتين
وهو ينقضُّ على الفريسة الصغيرة .

لَقَدْ نُصِبَ السكون حيث أقيمت المدينة العتيقة .
هنالك ينمو العشب حيث مامن ذاكرة تدوم

غبارٌ نحن الذين نتناول الغذاء بصوت مسموع .

التاريخ تَمَّت روايته .

فى البعيد يهدم وقع الحُدُوات وآخر أضواء الخان
يختفي .

X

لقد تبادلنا الحب ، نحن المستريحون هنا . إنها
لمفارقة .

يدى المفقودة تجنح إلى التحلُّ فى فراغ تجويفتها .
كل محبوبٌ مجهولٌ ، بالنسبة إلى العارف بالحب .
كم أحسَسْنَا بوسامتنا ، وكانت القبله شعارنا الأثير *

XI

من أجل مدينتى البعيدة كَافَحْتُ وسقطتُ
لم أعبرَ جيداً عَمَّا كانت تريد ، بيد أنها كانت فى
حاجة إلى .

* ترجمة مغايرة نسبياً للأصل .

لقد تَحَرَّرتْ أسوارها ،
لسانها يحفظ ما قلتُ ، والرجال يموتون ،
لكنها لا تموتُ ، مثلى .

XII

نحن لم نعش الحياة ، الحياة هى التى عاشتنا ،
بنفس الطريقة التى يرشِف فيها النَحْلُ الرحيق ،
نرى ، نتكلم ونحيا . الأشجار تنمو ، بينما نحن نيام .
نحب الآلهة تماماً مثلما نُشاهد مركباً ،
بدون أن نعى أبداً أننا واعون ، نَمْضِى .

XIII

لقد أُنجزت الأشغال . المطرقة تستريح .
العمال الذين شَيِّدوا المدينة النامية ببطء
تَمَّ استبدالهم بالذين مازالوا يشيِّدون
هذا كله شىء يُخفي الحاجة إلى شىء آخر .
التفكير داخل المجموع ليس له معنى

لكنه على جدار الزمن يرقدُ مثل جُرةٍ مقلوبة .

XIX

عندما كانت السماء الزرقاءُ سمائي ، كان هذا
يغطيني .

هذه الأرض التي وطئتها في زمن آخر تخنقني
الآن .

ويدي هي التي أَلَفْتُ هذه الكتابات القبرية ،

بدون أن تعرف بالكادِ لماذا .

وأنا آخر العابرين ، الذي من هنا يتأمل الجميع .

ديوان الأغاني

I

ورقات ، ابتسامة مسموعة
خفيفُ ريحٍ بالكاد
إن كنتُ أنظرُ إليك وتنظرُ إليَّ
فمن مَنّا سييتسم الأول ؟
أول من ييتسم
هو أولُ مَنْ ، بعدئذ ، سيضحك .

فجأة يضحك وينظر
ينظر كي لا ينظر
وسط الأوراق الملتفة
يمرُّ صوتُ الريح .

كل شىء قناع ، كل شىء ريح .
ذلك الناظر منشغل بالنظر .
إلى حيث لا ينظر : ينقلب بصره .
نحن الاثنان معاً منشغلان بالكلام
عَمَّا لَمْ يَتَم فيه كلام .
هل يبدأ هذا أم ينتهى ؟

II

ثمّة غيمة تمرُّ تحت الشمس
ثمّة حُزْن مرصودٌ للناظرين .
الروح شبيهة بعباد الشمس
ترى فقط ما يقع عند قدميها
أَيُّه ساعة وبيلة تَلْفُكُ
كالراية المرفرفة ؟
تمرُّ الغيمة . والشمس تعود
فينقلب الفرع .

دورانُ الريح .
 الريح تدور . تدورُ الريح .
 فكرى حَالماً يسير معى
 نَحْوَ أَعَالَى الغابات
 حتى أشعر ، بلاخوف ،
 بالمرور العالى لبرودة الهواء .

حتى أعرف أننى
 ذاك الذى أردت أن أكونه
 حينما سمعتُ ما قالت
 الريح من كلام .

على ضفّة هذا النهر
 أو على حَافَاتِ ذاك
 مصفوفةٌ تمرُّ أيامى

مَا مِنْ شَيْءٍ يَعْوِثُنِي أَوْ يَحْنُنِي
أَوْ يَمْنَحُنِي حَرَارَةً أَوْ بَرُودَةً .

إِلَى النهر أنظر ، وإلى ما يفعله النهر
عندما لا يفعل النهر شيئاً .
أنظر إلى ما يَخْلُفُ مِنْ غُثَاءٍ
عندما يَمْحُو ، فِي مَرُورِهِ ،
مَا تَرَسَّبَ فِي الْوَرَاءِ .

أنظر وأمعن النظر متأملاً ،
لَا فِي التَّيَّارِ الَّذِي يَمُرُّ
بَلْ فِي مَا أَفَكَّرَ فِيهِ ،
إِذَا مَا أَبْصَرَهُ فِي الْمَاءِ
هُوَ تَعَذَّرَ رَوِيَّةً مَا يَمُرُّ .

عَبْرَ ضَفَّةِ النهر أُسِيرُ
عَبْرَ ضَفَّةِ النهر الَّذِي يَمْضِي إِلَى حَيْثُ
لَا أَدْرِي .

واثقاً بتيّاره النهري : سياتن نظرى
أو عدم نظرى إليه .

٧

آخر . أن أكون دائماً آخر .
أن أسافر . أن أفقد بلداناً .
أن أعيش نظراً متواصلاً .
والروح بلا جذور .

أن أسير جنباً إلى جنب مع ذاتى
متخلصاً من كل انتماء .
مع قلق الظفر
بالغياب الذى هو مواصلة مستمرة .

أن أسافر هكذا . يآله من سفر !
فى أفكارى وحدها
يسافر تفكيرى .

ما تَبَقَّى : سماءٌ وأرض .

لو قُدِّر لي ، ولو لم أكن أحداً ،
أن أملك على صفحة وجهي ، ذلك الصفاء العابر
الذي تملكه تلك الأشجار
لَكَانَ لي إذن ، ذلك الفرح
الذي تملكه الأشياء في الظاهر .
لأنَّ الفرح ابن اللحظة هو
عندما تبرد الشمس يزول .

تجدُر بي أيُّ حياةٍ أخرى
أكثر ممَّا تجدُر بي حياتي هذه
أن أمتلك تلك الحياة الغريبة
التي من الشمس فحسب تجيءُ .

XII

منبؤ أنا

فى ذاتى حبسونى
بعد ولادتى
غير أننى لذت بالفرار .

من نفس المكان
يضجر الناس
وأنا من وجودى فى ذاتى
أليس خَلِيقاً بى أن أضجر ؟

روحى تبحث عنى ،
فى السهول والجبال ،
ليتها لاتَعْتُر أبداً علىّ .

أن أكون واحداً قَيِّدٌ ،
الأأكون موجوداً هو أن أكون
أنا ذاتى .

هارباً من ذاتى أحيا ،

وأنا بذلك حى .

VIII

أتأمل ما لا أراه
إنَّه المساء ما هو مظلم يتقدَّم
كُلُّ ما هو رغبة بداخلى يصطدم بجدار .

كبيرة هى السماء فى العلو
رفاعة هى الغابة
الريح تخترق الدغل .
نمَّت أوراق . حضُّور متمايل .

هنالك فى الجانب الآخر
يوجد كُلى شئ ، ما لا وجود له ولا فكرة لى عنه .
وكُلُّ غُصن متمايل
يجعل السماء أكثر شسوعاً .

بين ما أنا عليه وبين أنأى
مُضْطَجِعاً ، ثُمْتُ خلط .
لا أحسُّ بشيء ، ولست حزينا .
الحُزْنُ هو هذا الذى أنا فيه .

IX

فوق القمح المتموج
شمس عاطلة تستريح .
بدون تَقَاهُمْ مع ذاتى ،
مخدوعاً أمضي على الدوام .

لو فى إمكانى ألا أعرف البتة
عَنْى أىَّ شيءٍ
لكنْتُ نسيْتُ نسيانى هذا لِذاتى .

القمح يَميس
والشمس غريبة . سِيان .

الروح موجودة ، ما أقصرها
بِخيرها وشرها .

ثلاث قصائد من :

رسالة

1 - الأمير دون إنريكي

فى عرشه ، وسط سطوع الأفلاك ،
بمعطفه المنسوج من العزلة والليل
والبحرُ جاثياً عند قدميه والعصور الميَّتة ،
- إنه الإمبراطور الوحيد الذى يمسك فعلاً
بالكرة الأرضية بين يديه .

2 - دون خوان الثانى

ذراعاه بهيأة صليب
تَخْمُ ما وراء البحار يبدو كقمة فى سلسلة جبال .
تخم أرض يحكمها بحر آخر فيما وراء البرّ .

شَبَحُهُ المتوحد المخيف
يحتلُّ البحر والسماء لمجرد حضوره
ومع ذلك يبدو متهيباً من العالم المتنوّع
الذى يتقدم بذراعيه ويمزّق له اللثام .

3 - كتابة على قبر برطلوميو دياز

فى هذا الشاطئ النائى
يرقد قبطان النهاية
البحر نفس البحر وقد تُخطّيت الدهشة :
لا أحد يخشاه .
عالياً يستعرض أطلس
العالم على كتفيه .

قصائد أخرى

عيد الميلاد

يولد إلهٌ . يموت آخرون .
الحقيقة لا تأتي ولا تمضى .
الخطأ يتبدّل .
الآن لدينا خلود آخر .
لكنّ الذى مضى كان الأفضل دوماً .

العلم أعمى يحرث تربة عقيمة .
والإيمان ، بجنون يحيا الحلم فى عبادته .
كل إلهٍ جديد هو لفظة فحسب .
لاتبحث . لاتؤمن . محجوبة هى الأشياء كلها .



فى ذاتى أوجد ، بعيداً عني ،
أوجد بمعزلٍ عمن أكون وعن الظلِّ
وعن الحركة التى بها أتشكل .



عدم وجود إله هو بذاته إله ..
ما أقلُّ ما تدومين : أيتها النوسطالجيا الخالدة .



أنا . أأعود أم أنتظر ؟
لا أدري . آخر كنتُ
بين ما أنا إياه وما أبغيه
بين ما أكون وما كنتُ .

طبيعة شاسعة متنوعة
طبيعة كثيفة حينما
من فُسْحَة ضوء تمرُّ الغيوم .
فى الوقفات المهيبة
للطبيعة
تصبحُ ديوكُ مهيبة .

✱

لَقَدْ ذَهَبَتْ الشمسِ رأسكِ الأشقر .
ميّتة أنت . وأنا حَيٌّ
ما زال هناك عالم وفجر .

✱

كذلك انفعالاتي

هـى أشـياء تحدث لى

✽

أريدُ ، سىكونُ لدىّ ،

لىس هنا ،

فى مكان آخر لا أعرفه .

لم أخسر شيئاً .

كُلُّ شىءٍ ساكون .

✽

أيها المصباح الساكن الضئيل

ما يضيئك وما يمنحنى النور ،

يظلُّ ينوس

بين من كنتُ ومن أكون .

سونيتاتان

لقبر كريستيان روسنكرويتز

I

أثناء استيقاظنا من حلم الحياة
سنعرف من نحن ، ونعرف
حقيقة السقوط فى الجسد ،
والسقوط فى الليل الذى حبس رُوحنا .

هل سنعرف الحقيقة كلها ،
بعدئذ ، حقيقة الكينونة كلها ،
السكون السيّال ؟
كلا : لا الروحُ ، وقد صارت حرّةً ومعروفةً ،
ولا الإله ، خالقنا ، يحتويانها فى ذاتيهما .

الله مخلوق من إله آخر أكبر منه :
هو أيضا عرف السقوط ، آدم أعلى كان ،
وعلى الرغم من أنه خالقٌ فقد كان بدوره مخلوقاً ؛
من أجله ماتت الحقيقة ...
لقد حَرَمَها ، ما هو أبعد من روحه ، حَرَمَها
الجحيم :
فى هذا العالم تتجسّد ، هنا يوجد جسدها .

II

هنا . تائهون لا واقعيون
نحلم بالحقيقة وبما نحن إِيَّاه نحلم
لو رأيناها نياماً ، فمُجَرَّد حلم تكون
لا الحقيقة ، بل صورتها وحسب ما نراه
ظلال تبحث عن جَسَدٍ نحن ،
لو عثرنا عليه كيف سنحسُّ كينونته
وكيف نتلمَّسه ؟
ظلال ، أيادي ظلال ؟ نلمس ماذا ؟
الفراغ نلمسُ ، الغياب .

من يعتقنا من هذه الروح المقفلة ؟
من الصالة المجاورة ،
نُصغى إلى الكينونة ، لكنْ لانراها .
من سيفتح الباب ؟ ..
... هائئاً فى ميّته الزائفة أمامنا
الأب روسكروث العارف الصموت ،
بالكتاب مغلقاً فوق صدره المهيب .

ألبرتو كا ييرو

Alberto Caeiro DA Silva

ولد فى لشبونة يوم 16 أبريل 1889 ، ومات
مسلولاً فى لشبونة أيضاً ، عام 1985 .

أمضى الشطر الأكبر من سنواته السبع والعشرين
فى ضيعة صغيرة واقعة على ضفة المجرى السفلى لنهر
التاج ، قرب العاصمة . وقد أمكنه ، بفضل إيرادات
متواضعة ، أن يتفرغ ، فى عزلة كاملة ، لتأمل الطبيعة ،
مهووساً عبر نثرية أشعاره « ببساطة » و « طبيعية » كل
تلك الأشياء التى « يراها الإنسان ولا يراها » . قائلًا عن
نفسه : « لستُ بشاعر : أنا فحسبُ أرى » .

تلامذته - ريبس ، كامپوس ، باشيكو . أنطونيو
مورا ، وبيسوا أيضاً - يعتبرونه « شاعراً طبيعياً » .
بيسوا يؤكد عدم تلقّيه لآى تكوين دراسى لامتوسط
ولا عال ، ويقول عنه : « إنه يكتب البرتغالية بشكل سئ » .

أما ريبس فيصفه بالأمية ، ومع ذلك ، وكما يشير
أرنالدو سراقيا فقد قرأ ، دون أدنى شك ، الشعراء

البرعويين ، كما قرأ فرجيل (رغم نفيه لذلك فى إحدى قصائده) مع فلاسفة متباينى المذهب ، إضافة إلى ثيساريو بيردى وحتى ويتمان (حسب إدواردو لورنسو) .

عملياً لا توجد أية معلومات بيوغرافية عن كاييرو ، « قصائده هى كل حياته » حسب ريكاردو ريبس صديقه المفضل . أما ألبارودى كامپوس الذى كان مقيماً حينئذ فى إنجلترا فيشير إلى أن المعلم كاييرو قد وجد نفسه وحيداً أيضاً ساعة موته : فريبس كان قد عاد إلى البرازيل ، وبيسوا كان فى لشبونة « كَمَنْ لم يكن موجوداً : يُحس الأشياء بدون أن يتحرك ، ولا حتى من الداخل » .

يتكوّن الأثر الشعري لألبرطو كاييرو من ديوانين صغيرين : « راعى القطيع » و « الراعى العاشق » ، المؤرخين من طرف الشاعر مابين 1911 و 1914 . وإن كانا قد كُتبا فى الواقع طوال 1914 - 1915 ، بالإضافة إلى مجموعة متفرقة من الأشعار التى تولّى ريبس ضمّها من بعد تحت عنوان « قصائد غير متجانسة »^(١) .

(١) بعض هذه القصائد مؤرخ بعد وفاة صاحبها مما فاجأ العديد من النقاد .

مرحى ، براعى القطيع

ماذا تَقُولُ لك الريح

عند هبوبها

هنالك جنب الطريق

إنها الريح التى تمرُّ

ولطالما مرَّت من قبل

وعليها أن تمرَّ من بعد

وأنت

ماذا قالت الريح لك أنت ؟

أشياء كثيرة تقولها

الريح لى

تكلمنى عن أشياء أخرى كثيرة

عن ذواكر ونوسطالجيات *

وعن أشياء لم توجد قط

« أنت لم تسمع البتّة مرور الريح .

الريح إنما تتحدث فحسب عن الريح .

محضُ كذبٍ كُلُّ ما سمعتَ من حديث .

والكذب فيك أنت بالذات » .

* ترجمة غير دقيقة لمفردة لا توجد إلا فى البرتغالية هى :

Saudodes . بعضهم يترجمها خطأ به سوداوية ، الأفضل الإبقاء على

نوسطالجية الأقرب دلاليًا وإيحائيًا إليها .

رعاة فرجيل يعزفون على الناي وأشياء أخرى

وينشدون أغاني أدبية عن الحب

(عَدَا هَذَا ، أَنَا لَمْ أَقْرَأْ فَرَجِيلَ .

لِمَاذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقْرَأَهُ ؟)

لَكِنَّ رَاعَةَ فَرَجِيلَ ، الْمَسَاكِينَ ، هُمْ فَرَجِيلُ ذَاتِهِ

أَمَّا الطَّبِيعَةُ فَجَمِيلَةٌ عَلَى الدَّوَامِ وَقَدِيمَةٌ .

خفيفة ، خفيفة ، خفيفة جداً

ريح خفيفة جداً تهبُّ
ثم تمرُّ ، دائماً بخفيفة جداً
وأنا لا أعرف فيم أفكر
ولا أسعى إلى أن أعرف .

أحياناً ، فى أيام النور الكامل والصحيح

عندما تملك الأشياء كل الواقعية التى تستطيع
امتلاكها ،

أتساءل على غير عجلة ؛

لِمَ لا أعزّو حتى الجمال
للأشياء .

أو تملك الوردة ، بالمصادفة جمالاً ؟

والثمرة ، أجميلةٌ هى مصادفة ؟

كلّاً ، إنَّ لها وجوداً وشكلاً

ولوناً فحسب .

الجمال هو اسم شئ لا وجود له ،

وهو ما أمنحه أنا للأشياء مقابل ما تمنحنيهِ من

بهجة .

الجمال لا يعنى أي شئ
لماذا إذن أقول عن الأشياء إنها جميلة ؟

أَجَلْ ، حتى أنا الذى أحيا فقط من فعل الحياة ذاته ،
لَا مَرُئِيَّةٌ تَأْتِي لِلْقَائِي أَكَاذِيبَ الْإِنْسَانِ
تُجَاهَ الْأَشْيَاءِ ،
تُجَاهَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ فَحَسَبَ فِي حَالَةٍ وَجُودٍ .
مَا أَصْعَبُ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ ذَاتَكَ وَالْأُتْرَى كُلُّ مَا هُوَ
مَرُئِي !

هناك شعراء صنّاع

ويشتغلون على الأشعار
كما يشتغل النجّار على الطّاولات .
كم هو حزين ألا نعرف الأزهار !
ثم إنَّ عليهم أن يَضَعُوا البيت فوق البيت ،
كَمَن يَشِيدُ جداراً ،
وأن ينظروا إلى ماهو جيّد ، كى ينتزعوا الرديئ ،
بينما المكان الوحيد المصنوع هو الأرض برمتها ،
وهى دوماً جيّدة ، وإن تغيّرت ، هى ذاتها على
الدوام ..

لا أفكّر فى هذا كَمَن يفكّر ، بل كَمَن يتنفّسُ ،
وأنظر إلى الأزهار ، فأبتسم ..
لست أدري إن كانت تفهمنى

أو كنت أفهمها
لكننى أعرف أن الحقيقة كامنة فيها وفى ،
وفى ألوهيتنا المشتركة ،
ألوهية أن نُسَلِّمَ أنفسنا للحياة عبر بقاع الأرض ،
أن ندع أنفسنا نُحْمَلْ على الأذرع عبر المحطات
المبتهجة
أن ندع الهواء يُنَوِّمَنَا مُغْنِيًا ،
والأ نمتلك أي أحلام لنا فى منامنا .

مثل لطخة هائلة لنارِ قذرة

الشمس الغاربة تتباطأ خلف الغيوم المتبقية ،
فى الهدوء الشامل للمساء صَفِير مُبْهَم يأتى من
الأقاصى
صَفِير قِطار بَعِيد رُبَّمَا .

نوسطالجية مبهمة تحملها هذه الهنيهة إلى
نُمت رغبة هائلة
تظهر نُمَّ تختفى .

يحدث أيضاً أن تتشكَّل لزهرة جَدُولٍ
أحياناً فقاعاتٌ من ماء
تَتَوَالَدُ وتتلاشى
بدون أن يكون لها أىُّ معنى

عَدَا أَنَّهَا فُقَاعَاتٌ مِنْ مَاءٍ
تَتَوَالَدُ ثُمَّ تَتَلَاشِي .

ثمت الكثير من التفكير الميتافيزيقى

تمت الكثير من التفكير الميتافيزيقى
فى انعدام التفكير فى أى شىء .

ماهى الفكرة التى لدى عن العالم ؟
ماذا أعرف أنا عما لدى من أفكار عن العالم ؟
سأفكر فى هذا كله
عندما أسقط مريضاً .

أية فكرة عن الأشياء لدى ؟
أى تصور عن النتائج والأسباب ؟
ماذا عن تأملاتى حول الله والروح
وخلق العالم ؟
لست أدرى .

التفكير فى أمور كهذه معناه
 عندى أن أغمض عينيَّ وألاً أفكرُ فى أى شئ
 وأن أسدل الستائر على نافذتى
 (التى لاستائر لها)
 سرُّ الأشياء ؟ أَللأشياء سرٌّ ؟
 مِنْ أين لى أن أعرف ماهو السر ؟
 السرُّ الوحيد هو أن أحداً ما يفكر
 فى وُجُودِ سرٍّ .

أما من يقبع تحت الشمس مغمضاً عينيه ،
 فإنه يَكْفُ عن إدراك ماهية الشمس
 مفكراً فى أمور مُفْعمة حرارة ،
 وإن يفتح عينيه ويحدِّق فى الشمس
 لا يستطيع ، حينئذ ، أن يفكر فى أى شئ
 لأنَّ نور الشمس أغلَى من أفكار
 جميع الفلاسفة والشعراء .
 نور الشمس لا يعى ما يفعل .
 لذلك فهو لا يخطئ وهو عميم وكلُّه خير .

هل للميتافيزيقا وجود ؟
أية ميتافيزيقا عند تلك الأشجار
فى أن تكون خضراء ووَارفة .
تُنبتُ أغصاناً وَتَهَبُ النُّمار فى حينها .

أَوَكُمَّتْ ميتافيزيقا أفضل ممّا لديها ؟
ألا تعرف لماذا تحيا وألا تعرف مالا تعرف ؟

« البنية الحميمة للأشياء ... »

« المعنى الحميم للكون ... »

بَاطِلٌ هذا كله وليس له معنى .
غير معقول أن يَتَمَّ التفكير على هذا النحو .
لأنه شَبِيه بالتفكير فى العِلل والغايات
بينما الشمس مشرقة مع بداية الصباح
وعلى جوانب الأشجار تتوغَّلُ الظلال
فى اللون الذهبى المتكاسلِ الصقيل .
التفكير فى المعنى الحميم للأشياء

معناه الزيادة فى المعنى الحميم للأشياء
كَأَنَّ نَحْمَلَ إِلَى النَّبْعِ كَوْبًا مِنْ مَاءٍ ،
المعنى الحميم الوحيد للأشياء
هو عدم امتلاكها لأى معنى حميم على الإطلاق .

لَا أَوْ مِنْ بِاللَّهِ لِأَنْتَى لَمْ أَرَهُ قَطُّ .
إِنْ كَانَ يَرْغَبُ فِى أَنْ أَوْ مِنْ بِهِ ، فَسَيَأْتِى ، وَلَا شَكَّ ،
لِلتَّحَدُّثِ مَعِى ،

وإذ يجتاز الباب للدخول إلى
المنزل سيقول : هَا أَتَدَا .

(أحيانا يكون لهذا كله وَقَعٌ مُضْحَكٌ
فى آذان أولئك الذين ، بسبب جهلهم بماهية النظر
لا يفهمون من يتحدَّث عن الأشياء
بالطريقة التى تجعلنا نتعلم عندما نمعن فيها
النظر ..)

لكن إذا كان الله هو الأزهار والشجر
الجبال ، الشمس والقمر

فَأَنَا إِذْنُ مُؤْمِنٍ بِهِ

مُؤْمِنٍ بِهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ

وَكُلُّ حَيَاتِي قُدَّاسٌ وَصَلَاةٌ لَهُ

كُلُّهَا اتِّصَالٌ مَعَهُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ .

لَكِنْ إِذَا كَانَ اللَّهُ هُوَ الشَّجَرُ وَالزَّهْرُ

الْجِبَالُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

فَلِمَاذَا أَدْعُوهُ اللَّهُ ؟

لِمَ لَا أَسْمِيهِ زَهْرًا ، أَشْجَارًا ، جِبَالًا

وَقَمَرًا وَشَمْسًا .

إِذَا كَانَ مَوْجُودًا كَيْ أَرَاهُ شَمْسًا وَقَمَرًا ،

أَزْهَارًا ، جِبَالًا ، أَشْجَارًا ،

وَإِذَا كَانَ قَدْ تَعَيَّنَ لِي كَذَلِكَ

فَلَأَنَّهُ أَرَادَنِي أَنْ أَتَعَرَّفَهُ بِاعْتِبَارِهِ

جِبَالًا ، شَجَرَةً ، قَمَرًا ، شَمْسًا وَزَهْرًا .

وَلِذَلِكَ ، فَأَنَا خَاضِعٌ لَهُ .

مَاذَا أَعْرِفُ أَنَا عَنْ اللَّهِ ؟

« أَكْثَرَ مِمَّا يَعْرِفُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ ؟ »

خاضع له ، بعفوية ، أعيش حياتي
كمن يفتح عينيه لينظر بهما .
وأسميه القمر ، الشمس ، الأزهار والأشجار
والجبال .
وأحبهُ بدون أن أفكر فيه .
وأفكر فيه ببصري وسمعي ،
ومعه أمضي في كل الأوقات .

أمس مساء

كان أحد ساكنة المدن
يتحدّث بباب الفندق
معى تحدّث أيضاً

عن العدالة تحدّث ، عن الكفاح من أجل العدالة
عن العمّال الذين يكابدون ،
عن العمل المتواصل الشاق ، عمّن يتضوُّرون
جوعاً ،
تحدّث عن الأغنياء الذين يديرون ظهورهم
لهذا كله .

حينما استندار نحوى ناظراً إلى الدموع فى عيني
تبسم ، ظاناً أننى أشعر بنفس مايشعر به من حقد

وبالشفقة نفسها التى يحسبُ أنه يشعر بها .

بالكاد كنتُ أصغى إليه !

ماذا يَعْنِينِي أنا من أمر الناس

وما يعانونه أو ما يَخَالون أنهم مُعانونه ؟

لو كانوا مثلى لما عَانُوا من شئ .

كل كوارث الدنيا تأتى

من تعذيب بعضنا للبعض

بنيةً فعل الخير أو نيةً فعل الشر .

أنا حسبى نفسى

حسبى الأرض والسماء

أن أرغب فيما هو أكثر

معناه أن أفقد كل هذا المُتاح لى

معناه التعاسة الأكيدة .

فى الحقيقة ، كنت مستغرقاً فى التفكير ، بينما

ساكن المدينة يتحدث ، (وهو ما دفعنى

إلى التأثر حتى البكاء) ..
فى أَنَّ صَوْتَ أَجْرَاسِ الْقَطْعَانِ النَّائِى
لَا يَشْبِهْ ، فى هَذِهِ الْعَشِيَّةِ بِالذَّاتِ ،
أَجْرَاسِ تِلْكَ الْكَنِيسَةِ الَّتِى تُصَيِّحُ السَّمْعَ
لِقُدَّاسِهَا الزُّهُورُ وَالْقَطْعَانُ
وَالْأَوْرَاحَ السَّانِجَةَ الشَّبِيهَةَ بِرُوحِى .
لِأَحْمَدَ اللَّهِ عَلَى أَنْنى لَسْتُ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ
لَأَنَّ أَنَا بِنَاىَ طَبِيعِيَّةً ،
هِيَ أَنَا الزُّهُورُ وَالْأَنْهَارُ الَّتِى تَوَاصَلَ سَيْرُهَا
مَنْشَغَلَةٌ ، بِدُونِ أَنْ تَدْرِى ،
بِالْأَزْهَارِ وَالْجُرَيَّانِ فَحَسَبَ ،
تِلْكَ هِيَ وَظِيفَةُ الْوُجُودِ الْوَحِيدَةِ .
الْوُجُودِ الْمَحْضِ .
مِمَارَسَةُ الْوُجُودِ بِدُونِ تَفْكِيرٍ فِى الْوُجُودِ .

سرُّ الأشياء

أين يُوجَد هذا السرُّ ؟

لو يظهر ، لنا نحن ، بالأقل ،
على أنه سرٌّ .

والنهر ؟ ماذا يعرفه النهر عن هذا ؟

ماذا تعرف الشجرة ؟

وأنا الذى لستُ خيراً منهما

ماذا أعرف ؟

حينما أنظر إلى الأشياء أضحك باستمرار

مفكراً فيما يفكر الناس بشأنها

أضحك بصوت النهر بآرداً

يسيلُ على الحصى .

المعنى السري الوحيد للأشياء
هو أنَّها خالية من أى معنى سري

« المعنى الخفى » هو أغرب من كل غريب
أغرب من أحلام الشعراء
ومن أفكار الفلاسفة
ذلك أنَّ الأشياء فى الواقع
هى فحسب ما هى عليه
وهى لا تنطوى على أى موضوع للفهم .

بهذه الطريقة أو تلك

بمهارة أو بدون مهارة ، أكتب
قائلاً ، ما أفكر فيه أحياناً ،
بينَ بين أحياناً أخرى وبدناءة ،
أكتب ، لا إرادياً ، أشعاري
كما لو كانت الكتابة فعلاً مُكوّناً من حركات ،
كما لو كانت الكتابة فعلاً لصيقاً بي ،
كَتَعَرُضِي لنور الشمس أثناء خروجي .
أسعى إلى ترجمة إحساسي
بدون تفكير فيما أحس ،
أسعى إلى إنجاب الكلمات عبر التفكير
بدون استخدام لتيّار التفكير في الكلمات .
لا أتوصلُ دائماً إلى الإحساس

بما عَلَى أن أحسّه
هُوَ ذَا تفكيرى ، بعد تطواف طويل ،
ساحباً يقطع النهر ،
مثقلاً بالثياب التى كَسَاهُ البشر بها .

أسعى إلى التجرُّدِ ممَّا تعلَّمت ،
إلى نسيان نمط التذكُّر الذى علَّمُونِيه ،
إلى محو الحبر الذى به دَهَّنُوا أحاسيسى ،
إلى تحرير انفعالاتى الحقَّة أسعى
إلى أن أتصفَّى وأكون أنا - لا ألبرطو كاييرو ،
بل ذلك الحيوان الإنسانى ، نتاج الطبيعة .
هكذا أوصل الكتابة ،
أريد الإحساس بالطبيعة
لأَكْمَأُ أحس بها كإنسان
بل على نحو طبيعى خالص ، ليس غير .

هكذا أكتب ، بشكل جيِّد أو ردىء ،
مصيباً فيما يسعى إليه قولى

أو مخطئاً ، أتعثّر هنا . أنهض هناك ،
مواصلاً طريقي ، طريق أعمى عنيد .

حتى بهذه الطريقة أنا أحد ما :
أنا مكتشف الطبيعة
وأرغون الأحاسيس الصحيحة ،
أهْبُ الكون كوناً جديداً ،
لأنني أهْبُه كونه الطبيعي .
هذا ما أحسه وأكتبه
مُدركاً ، بوضوح ، وبدون حاجة إلى استخدام
النظر ،
أنها الخامسة صباحاً ،
وأنَّ الشمس لم تَرْفَعْ بَعْدَ هَامَتِهَا
فوق جدار الأفق ،
وإن كانت رؤوس أصابعها ، تظهر اللحظة ،
ممسكةً بحافة الجدار الأفقي المكتظ بالجبال
الخفيضة .

من أعلى نافذة فى منزلى

ألوّحُ بمنديل الوداع لأشعارى
وهى فى طريقها إلى الناس .

لست بالفرحان ولا بالحزين
هذا هو مصير الأشعار .
لقد كتبتها وعلى أن أعرضها للجميع .
لا توجدُ طريقة أخرى ،
فلا الوردة قادرةٌ على إخفاء لونها
ولا النهر مجراهُ
ولا الشجرة ثمارها .

لقد ابتعدت الآن أشعارى
مثل عربة كبيرة ،

وأنا بغير إرادة
منى أشعر بالحزن
كما لو أنَّ الجَسَدَ يؤلِّنى .
من سيقراً أشعارى ؟
صوب أية أيدٍ ستَّجِه ؟
زهرةٌ أنا قطفونى من أجل مُتعة الأعين
شجرةٌ نَزَعُوا ثَمَارَهَا للأفواه
نهرٌ أنا وَقَدَرُ مِيَاهِى أن تُفارقنى ،
مقهور ، ومع ذلك ، تقريبا ، مسرور
كَمَنْ أَضْجَرَّتْهُ دَيْمُومَةُ حزنه .

لقد ذهبْتُ
ذهبْتُ تماماً ، هكذا ...
تذهب الشجرة ثم تبقى منثورة فى الأرض
تذوى الزهرة فيمكث سَحِيقُهَا على الدوام
يوغل النهر فى البحر ومياهه دوماً هى نفس المياه .
وأنا ذاهب وسوف أبقى ،
ذاهب ، مثلما الكون ، لأبقى .

أدخل ثم أغلق النافذة

يأتون بشمعة إلى قائلين : ليلة سعيدة .

صوتى مبتهج بهذه الليالى الرائقة .

ليت حياتى هكذا على الدوام :

النهار مشمسا كان أم ناعم المطر

أو حتى بإعصار نهاية العالم ،

المساء العذب والشرائط التى تتألى

متفحصةً عبر النافذة .

النظرة الصديقة الأخيرة للشجرة الساكنة .

وبعد ... إغلاق النافذة ، فإيقاد الشمعة

لاقراءة ، لانوم ، لاتفكير فى شئ ،

وحده الإحساس

بسريان الحياة بداخلى مثل قاع نهر .

وفى الخارج سكون هائل شبيه بإله نائم .

تقول : أنت أكبر من حجر أو نبات

تقول إنك تحس وتفكر وتعرف
إنك تفكر وتحس .

إذن ، أفِيَكْتُب الحجر قصائد ؟
أَلَدَى النبات أَفْكَارٌ عن العالم ؟

أَجَلْ ، ثُمَّةً فرق .

لا الفَرْقَ الذى تحَسُّبُ أنتَ :

امتلاكى لوعى ما ، لا يجبرنى على امتلاك
تصورات عن الأشياء :

بل يجبرنى فحسب على أن أكون واعياً .

أأنا أكبر من صخرة أو نبات ؟

لست أدرى . أنا مختلف ، أَجَلْ ،

ولست أدري أفي هذا ما هو أعلى أو أدنى .
هل امتلاك الوعي أرفع من امتلاك اللون ؟
أحياناً ، نعم ، أحياناً ، لا .
أعرف فقط أنَّ هذا مختلف ، مختلف وحسب ،
ما من أحد بقادرٍ على البرهنة
على ما هو أكثر .

أعلم أنَّ الحجر واقعي
وأنَّ النبات موجود ، وهذا لأنهما معاً موجودان
بالفعل
أعلم لأنَّ حواسي تقولُ ذلك .

أعرف أيضاً أنني موجود .
أعرف ذلك لأنَّ حواسي تقول لي
وإن كانت تقول ذلك بدرجة وضوح أقل
مِمَّا عن الحجر والنبات .
هذا كل ما أعرف .
أجل ، أنا أكتب قصائد ، أمَّا الحجر فلا ،

أنا أملك أفكاراً عن العالم لا يملكها النبات .
بَيِّدْ أَنَّ الأحجار لَسُنَّ بِشَاعِرَاتٍ :
الأحجار أحجار ،
والنباتات ليست عُقُولاً مفكرة
بل نباتاتٌ وحسب ،
فَهَلْ أَقُولُ بسبب هذا إننى أرفع منهنَّ مرتبة ؟
بإمكانى أن أقول العكس كذلك .
غير أننى لا أقول هذا ولا ذاك .
أَقُولُ عن الحجر : إِنَّهُ حجر
وعن النبات : إنه نبات
وأقول عن نفسى : كائن ، لا أكثر .
هل يمكن أن يُقال ما هو أكثر ؟

كلّ يوم أكتشف واقع الأشياء المرعب :

كل شيء هو ما هو .

كم يبدو صعباً أن يُقال هذا :

كَمْ يَسْرُنِي ، كَمْ يَكْفِينِي .

لأكون كاملاً

حسبى أن أوجد .

كُتِبَتْ قِصَائِدُ كَثِيرَةٍ

وعلىَّ بالطبع أن أكتب أخرى
كلُّ قصيدةٍ لى تَقُولَ الشَّيْءَ نفسه
كلُّ قصيدةٍ لى هى شَيْءٌ مختلف .
كلُّ شَيْءٍ هو طريقةٌ مختلفة لقول نفس الشَّيْء .

أحياناً أرى حجراً .
أعرف أنه لا يُحْسُ
لا أغالط إذ أدعوه أخى
وأحبه لأنَّه حجر ،
أحبه لِعَدَمِ إحساسه ، لِعَدَمِ شَبَّهِه بى .

أحياناً أصغى لهبوب الريح

أُحِسُّ أَنَّ لِي قِيَمَةً لَأُنْنَى وَلِدْتُ
فقط لأصغى إلى هبوب الريح .
لا أَعْرِفُ مَا سَيَفْكَرُ فِيهِ الْآخَرُونَ
عندما يقرؤون هذا .
أُعْتَقِدُ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ جَيِّدًا
لأنَّ تَفْكِيرِي فِيهِ يَتِمُّ بَدُونِ جَهْدٍ ؛
أَفْكَرُ فِيهِ بَدُونِ تَفْكِيرٍ فِي أَنْ آخَرِينَ
سوف يقرؤون تفكيري ،
بدون أفكار أفكره ،
مثلما تقوله كلماتي أقوله .

ذات مرة لقبوني بشاعر المادة

فوجئت تماماً : لم يسبق لى التفكير البتة
فى إمكان منحهم إياى هذا اللقب أو ذاك ،
لستُ حتى شاعراً ... ؛ أنظر فحسب .
إذا كان لما أكتب قيمة . فالقيمة ليست لى .
القيمة موجودة هناك ، فى أشعارى .
وهى كُلُّها مستقلة مطلقاً عن إرادتى .

لوفجأة متُّ

بدون أن أتمكّن من نشر أى كتاب ،
دون أن أرى المظهر الذى ستتخذه
أشعارى بحروف مطبوعة .
أتوسّل إليها ألا تغتمّ ،
إن كانت ستغتمّ بسبب هذا ،
لَوْ فَعَلْتُ ذلك ، فهو ما ينبغى أن تفعل .

حَتَّى لَوْ لَمْ يَطْبَعَ أشعارى أحد .
فسيكونُ لها حظُّها من الجمال ،
إن كانت جميلة .

لا بدُّ أن تُنشرَ إن كانت جميلة ،
فالجذور تحت الأرض تحيا ،

لكن الأزهار مخلوقة للهواء الطلق ولكل الأنظار .

هكذا هي ، مامن أحد قادر

على جعلها غير ما هي .

لَوْ فجأةً متُّ ، فلتستمعوا إلى هذا :

ما كنتُ إلا طفلاً كان يلهو

وَكُنِّيَا كنتُ كَمَا الشمس والماء ،

على الدين الذي وحدهم البشر يجهلونه .

سعيداً غادرتُ لأنني لم أطلب شيئاً

ولا بحثتُ عن شيء ،

ولا عثرتُ على شيء عداً

أن لفظة تَفْسِيرٍ لا تُفسَّر شيئاً .

رغبتى كانت أن أمكث قبالة الشمس

أو تحت المطر .

قبالة الشمس حينما تشرق الشمس .

تحت المطر حينما تمطر السماء .

(ليس أبداً على غير هذا النحو)

أن أحسَّ بحرارة وبردٍ وريح

وَألاً أمضى إلى ما هو أبعد .

لو أرادوا كتابة سيرتى

بعد موتى فليس ثمة ما هو أسهل :

يوجد يومان - يوم ميلادى ويوم وفاتى -
كُلُّ ما بينهما مِنْ أَيَّامٍ لَا يَخُصُّ أحداً سواى .

من السهولة بمكان التعريف بى ،
لقد عشتُ عيشةً فانٍ ،
بلا عاطفية أحببتُ الأشياء
لَمْ تكن لى رغبات غير قابلة للتحقيق .
لم تَعَمْ بصيرتى .
والسمع لى كان رقيقاً للنظر .
أدركتُ أَنَّ الأشياء واقعية ومختلفة .

بالعين لا بالتفكير .

إدراكها بالفكر مَعْنَاهُ جعلها متماثلة .

ذَاتَ يَوْمٍ حَلَّ بِي النُّومُ كَأَيِّ مَخْلُوقٍ .

أَغْمَضْتُ عَيْنِي مُسْتَغْرِقًا فِي الْكُرَى .

عَدَا هَذَا كُنْتُ شَاعِرَ الطَّبِيعَةِ الْوَاحِدِ .

« النقاء اللغوى المفرط » .

أما كامپوس فيرى أنَّ تركيباته الكلاسيكية تعكس
هَوَسَ الشاعر من أجل البقاء دائماً فى أعلى مستويات
الشعر ، وأنَّ التعبير شعرياً من موقع « العُلُوِّ » ينتج
شعراً منغلِقاً فى « فضاء الذُّرى المختزل » . وفى موضع
آخر يعيب على ريبس كونه يرغم أحاسيسه على أن
تُدسَّ فى أبيات من ستَّة أو سبعة مقاطع . وإن كان يرى
فيه ، رغم هذا ، « شاعراً كبيراً - إن كان يوجد فى هذا
العالم شعراء خارج صمت قلوبهم » .

إنَّ القصيدة بالنسبة إليه « هى موسيقى نصنعها
بالأفكار ، أى بالكلمات تبعاً لذلك ، كلما كانت أكثر برودة
كانت أكثر صدقاً » .

يتكوَّن الأثر الشعرى للدكتور ريبس من 727
نشيداً أغلبها قصير . الأول مؤرَّخ فى يونيو 1914 وهو
مُهدى لمُعلِّمه كاييرو .

أما الأخير ففى 23 نوفمبر 1935 ، أيام قلائل قبل
موت فرناندو پيسوا يقول فيه : (مازلت على قيد
الحياة / غير مكترث بأحد أنا مَنْ يجبر الجميع على
الصمت : أنا الذى يتكلم) .

أحب ورود حديقة أدونيس

أحب تلك الورد المتقلبة ، ورود ليديا .

فى اليوم نفسه الذى

تولد فيه تموت :

نور خالد نهارها ، به تتألق ، وفيه تحترق .

وقبل أن تختفى عربة أيولو المجنحة

تموتُ .

لنجعل من ليديا حياتنا ، حياة يوم واحد .

لِنَتَنَاسَ أَنْ اللَّيْلَ

مَوْجُودَ قَبْلَ وَبَعْدَ الْقَلِيلِ مِنْ

الزَّمَنِ الَّذِى نَدُومُهُ .

أنا لا أغنى الليل

ففيه يتوقَّف غنائى .
الشمسَ أغنى .
لا أتجاهل ما أنساه
من أجل نسيانه أغنى .
لو كان بإمكانى خارج الحلم ،
إيقاف عدو الشمس ، لو أمكننى
أن أتعرَّف ذاتى
مجنوناً ، توأماً
للساعة الخالدة .

لَا التَّذَكُّرُ أَرِيدُ

وَلَا تَعْرِفَ ذَاتِي .
حَسْبِي أَنْ أَرَى مَا نَحْنُ إِيَّاهُ .
مَنْ أَجَلُ أَنْ نَعِيشَ
حَسْبُنَا أَنْ نَجْهَلَ أَنَّنَا نَعِيشُ
مَا نَحْيَاهُ مَعَنَا يَعِيشُ كُلُّ لَحْظَةٍ
وَإِذْ نَعِيشُهُ ، مَعَنَا يَمُوتُ :
حِينَما يَمُرُّ ، نَعْلَمُ
أَنَّنَا الَّذِينَ نَمُضِي .
بِدُونِ قُدْرَةٍ ، مَعْرِفَتِنَا لِأَشْيَاءٍ .
الْحَيَاةُ الْأَفْضَلُ هِيَ
تِلْكَ الَّتِي تَمُرُّ بِدُونِ أَنْ تَقَاسَ .

آلهة تمرّ ، مخلصون إلهيون

تمرّ أحلامٌ مُخلّصة بدورها :
الأرض هامة قاسية .
لا آلهة أريد ، ولا مخلصين ،
ولا مثلاً باطلة بورودها : مالدئ
يكفى ، ماذا أريد أكثر ؟

أن تكون كبيراً هو أن تكون كاملاً :

لا تُبالغ ، لن تستطيع شيئاً .
كاملاً في كل شيء : هو كونك أيضاً ،
كبيراً ، فيما هو صغير .
هكذا القمر كُله ، في كل بحيرة ،
يَسْطَعُ : حياً في العلو .

لا أطلب من الآلهة

سوى أن يهبونى ألا أطلب منهم شيئاً .
عبودية هي السعادة .
نيرٌ هو الحظ :

مُضْطَهَّدٌ هُوَ كُلُّ يَقِينٍ .
لا ساكن ولا متحرِّك ، معلق في مَوْجَةِ الزمن ،
لتكن كينونتي متطابقة مع ذاتها .

ليديا : جاهلون . غرباء نحن

هناك حيث نطأ الأرض

ليديا : جاهلون . غرباء نحن

هناك حيث نموت .

الكل غريب ويتكلم لغة غريبة .

ضد الشتيمة والضجيج

نصنع من ذواتنا صومعة .

الحب . ما الذى يريده أكثر ؟

بيت قربان مقدس من أجلنا .

يحيا بلا ساعات

إذا ما قيس ثقلُ
وهو يُقَاسُ كُلُّما فُكِّرَ .

في جريانه الملتبس ، مثل النهر ،
موجأته هي ذاته . أَنْتَ
تَنْظُرُ إليه وهو يَمُرُّ وأثناء
النظر يَصْنُمُت .

الأزهار التي أقطعها أو أبقيتها

لا أُغَيِّرُ مُصِيرَهَا .

وإصلة هي الطريق التي أتابعها ،
وَلَوْ لَمْ أَوْ اصِلْهَا .

لَسَنَّا بِشَيْءٍ ذِي وَزْنٍ ،
بَاطِلٌ مَا نَحْنُ إِيَّاهُ .

يستطيع القدر أن يمنع عنيَّ كُلَّ شَيْءٍ

سوى أن أراه : رواقى بدون فضاظة .
حرفاً حرفاً ، سأتلذُّدُ بالحكم
الذى حَفَره القدر .

لا أدري ممَّنِ جاءني تَذَكُّرُ ماضِيٍّ
آخَرَ كُنْتُ ، لا أكادُ أتعرَّفُ على ذاتي
عندما أَسْتَشعرُ مع رُوحِي تلكَ الروحَ الغريبةَ
التي أَتَذَكَّرُها ساعتئذٍ .

مِنْ يَوْمٍ لآخر ، سوف نهجر أنفسنا
لأشْيءٍ مؤكِّداً يربطنا بذواتنا
نحن هُمْ ، مَنْ نحن الآن ؟
ما كُنَّا هُوَ ما يُرى من الداخل .

رعية لامجدية من كواكب مهيمنة

مثلى مسافرة ، بلا حب أو رغبة ،
فى سجن أنأى أحيا ، حياتى ملكى
لأننى هى ... لكن مع ذلك ، أتحرّر
من تفكيرى محدقاً فى النجوم ،
سيّدات الأعالى ، المجبرات
على السطوع وعلى تركنا ننظر إليهن . شساعة
فارغة ، أبدية متصنّعة
(موزونة بالأعين !)
أينبغى أن توهب الحرية لمن لا يملكها ؟

تحت وصاية خفيفة

لآلهة لامبالين

أريد استهلاك الساعات الممنوحة ،
ساعاتى حتى وهى ساعات مقترضة .

إذا لم أكن قادراً على شئ
ضد ما مَنَحُوهُ لى من كينونة
فليهبني القَدَر أنْفَتَه على الأقل :
السلم مقابل هذا المصير .

لا أريد الحقيقة

الحياة فقط أريد .

الآلهة يَهْبُون الحياة ،

لا يهبون الحقائق
ولا يعرفون ماهى الحقيقة .

تَوَجُّونِي بِالْوَرْدِ

تَوَجُّونِي فعلاً بالورد .
بِوَرْدٍ ينطقُ
على جبهةٍ سريعة الانطفاء :
حسبي أن
تتَوَجُّونِي بالورد
وبالأوراق القصيرة
حسبي .

بسرعة يمرُّ كلُّ ما يمرُّ

أمام الآلهة شابٌ يموت
كلُّ ما يموت . قليل هو كل شيء !
لا شيء يُعرف ، كل شيء يُتخيَّل .
طوَّق بالورد ذاتك ، اعشق ، اشرب
واصمت . ماعدا ذلك لا شيء .

أنتم ، أيها المؤمنون بكل مسيح ومريم

يامن تعكرون مياه ينبوعى الصافية
من أجل أن تقولوا لى فقط
بأن هناك مياهاً أخرى .

مستحماً فى المروج فى أحسن الأوقات
لماذا تحدثوننى عن مناطق أخرى ،
إذا كانت مياه ومروج الهنا
تروقنى ؟

الآلهة منتحتنا هذا الواقع .
ولكى يكون واقعاً أجود منحنأه خارجياً .

ماذا يمكن لأحلامى أن تكون
سوى صنعة للآلهة .

دَعُوا لى واقعية هذه الهنيهة
دَعُوا لى آلهتى الهادئين المباشرين
الذين يؤثرون الإقامة فى الوديان والمروج
على الأماكن الغامضة .

دعوا لى هذا المرور الوثنى بالحياة
مَصْحُوباً بالقرطمانات الرقيقة
التي من خلالها تُقدَّم أسلّات الضُفّاف
اعترافها للإله پان .

فَلْتَحْيُوا داخل أحلامكم
وَلْتَدْعُوا لى المذبح الخالد حيث عِبَادَتِي
حيث الحضور المنظور
لآلهتى الأقرباء .

يَا ذَوِى التطلُّعات اللامجدية إلى ماهو أفضل من

الحياة ،

دَعُوا الحياة للمؤمنين الأكثرِ قَدَمًا

من المسيح وصلبيه

ومن مريم وبكائها .

سيرسة ، سيدة الحقول تُسَلِّينِي

وأبولو وفينوس ، وَحَتَّى أورانوس الشيخ هنا معي .

ألبارودي كامپوس

وُلد فى طابيرا Tavira ، الميناء البحرى لـ Algarve يوم 15 أكتوبر 1890 . لم يُعَيَّنْ يوم وفاته الذى لاينبغى حتماً أن يكون سابقاً لشهر أكتوبر 1935 .

بين پيسوا وكامپوس ، انعقدت أواصر علاقة صداقة متينة ، إذ كثيراً ماخاطب الأول الثانى بعبارات ودية غير مألوفة لديه مثل « ولدى » و « صديقى المسكين التمس » . إن كامپوس هو الپيسوى الأكثر پيسوية من پيسوا .

بعد إتمامه دراسته الثانوية انتقل كامپوس إلى إنجلترا لدراسة الهندسة البحرية ، ثم عمل سنوات عديدة ، من بعد ، فى مؤسسة بناء السفن فى نيوكاستل . فى سنة 1934 عاد بصفة نهائية إلى لشبونة ليتفرغ للأدب بعدما تولى عن مهنة الهندسة .

كان كامپوس خلافاً لأُسْتَاذه كاييرو وصديقه ريبس ، ميّالاً إلى التأثر بالظواهر والتقليعات الأدبية

لعصره . مهتماً بوجه خاص بالقضايا التي أثارَها
الطليعة الأدبية (والتي لم يسايرها بدون شروط في أي
وقتٍ من الأوقات) .

كاميوس بالنسبة إلى ريبس « ناثُرٌ كبير ... مع علم
كبير بالإيقاع » « لأننى - يقول ريبس - لا أرى فرقاً
أساسياً بين الشعر والنثر » .

غير أن كاميوس - كبقية الأنداد - لم يحظ
بمقروئية واسعة في حياته بالرغم من الفضيحة التي
أثارها في عشرين من أعداد مجلة أورفى . وطوال العقد
العشرين اكتفى بنشر بضع قصائد في مجلات أدبية
أبرزها « المعاصر » . وفي بدايات الثلاثينات لم يكن
معترفاً به كشاعر كبير سوى من طرف دائرة محدودة
جداً من مثقفي مجلة « حضور » - غاسپار سيمويس ،
كسايس مونتيرو ، غييرمو دى كاستيلو^(١) ، وكذا من
قبل بعض الجماعات الأدبية الصغيرة في لشبونة
وأبرطو ، فضلاً عن كاتبين وناقدين فرنسيين هما بيبير
أوركاد وأرماند غيبير^(٢) الذى سيشرع ، فيما بعد ، فى
ترجمة أعماله إلى الفرنسية .

(1) Gaspar Simões, Regio, Casais Monteiro,
Guilherme de Castilho .

(2) Pierre Hourcade, Armand Guilbert .

نشيد الظفر

على الضوء المؤلم لمصابيح المصنع الكهربائية
الضخمة أكتب محمومًا .

صَارًا بأسناني أكتب ، مغتاظًا مثل وحش أمام كل
هذا الجمال ،

أمام كل هذا الجمال الذي لم يعرفه القدماء بتاتًا .

أوه ، أيتها العجلات ، التروس ، أيُّها الـ /- /- /- /
الخالد التشنج الفظُّ المحبوس للآليات المهيَّجة !

المهيَّجة بداخلي وبخارجي ،

على امتداد أعصابي المحنطة ،

وكحَلَمات كل ذلك الذي أحسه

شفتاي تَبَسُّتا ، لفرط سَمَاعِكَ عن كُثْبِ ،

أيها الضجيج الحداثي الهائل .

رأسى يتأجَّج اشتعالاً من أجل غنائكُنَّ

بِغُلُوٍّ تعبيرىٍّ بأحاسيسى المغالية كلها
بِغُلُوِّكِنَّ المعاصر أيتها الماكينات .

محموماً ، أنظر إلى المحركات كمَا لَوْ إلى طبيعة
استوائية - مدارات إنسانية هائلة من حديد ونار وقوة -
أغنى ، وأغنى الحاضر ، وكذلك الماضى والمستقبل ،
لأن الحاضر هو كل الماضى وهو كل المستقبل .
وهناك أفلاطون وفرجيل بداخل الماكينات والأضواء
الكهربائية فقط لأن الزمن القديم موجود هناك .
وفرجيل وأفلاطون كَانَا إنسانَيْنِ ، وثمة قِطْعٌ
من الإسكندر المقدونى من القرن الخمسينى ربما ،
نَرَاتٍ قد تُصاب بالحمى ذات يوم فى دماغ
أسخيلوس القرن المئة
تسرى عبر أحزمة الاتصال اللاسلكى هذه ، وعبر
هذه الماكبس ، وعبر هذه المقاوِد
مزمجرةً ، صارّةً ، مُفْرِئَةً ، مُخَرِّمَةً ، مدويّة
مُحْدِثَةً فى مداعبة مفرطة فى الجسد
بمداعبة مصنوعة فى الروح .

آه ، لو أستطيع التعبير تماماً كما يُعبّر محرّك !
لو أكون مضبوطاً تماماً مثل آلة !
لو أستطيع الماضي ظافراً عبر الحياة
كسيارة من آخر موديل !
لو أستطيع أن أتشربَ هذا كله فيزيقياً بالأقل ،
أن أتمزق كلية ، أن أنحل تماماً ، أن أصير مساماً
لكافةً عطور الكاربورات والحرارات وفُحوم
هذه الزهرة الفخمة ، السوداء ، الصناعية والشرهة .

متآخياً مع الديناميات كلها !
اهتياج مختلط جرّاء صيرورتى الجزء الوكيل
من الدوران الحديدى والكونى
للقطارات الباسلة ،
لنقل البضائع فى السفن ،
لدوران الروافع البطيئ والشّبق ،
للضّجة المؤدّبة للمصانع
ولما يكادُ يَكُونُ سكناً هامساً ورتيباً لأحزمة
الاتصال اللاسلكى .

ساعات أوربية منتجة مضغوطة

بين الماكينات والاندفاعات النافعة !
 مُدُن كبرى راسية بحذاء المقاهى * ،
 فى المقاهى - واحات اللامجدى الصاخب
 حيث يَتَبَلَّر ويَتَرَسِب
 ضجيج النافع وإشارات ،
 والعجلات ، والعجلات المسنَّنة ، وحوامل التقدم !
 منيرفا جديدة لاروح لها من أرصفة ومحطات !
 حماسات جديدة بحجم اللحظة !
 رافدات من صفيح حديد باسم ترقد فى المرافى ،
 أو تُرْفَع ، فجأة ، على الأسطح المائلة للموانئ !
 حركة دولية ، عابرة للمحيطات ،
 Canadian-pacific !
 أنوار وحمى ضائعة من زمن فى الحانات ، والفنادق ،
 فى الـ Long Champs وفى الـ Ascots وفى الـ
 Derbies ،
 وتتوغل فى شَوَارِعُ الأوبرا والبيكاديلى بمثابة
 روح فى الداخل !

* يقصد السفن الضخمة الرأسية .

هى - لا الشوارع ، هى - لا الساحات ، هى - لا -
هو الجنون !

كل ما يمرُّ وما يتوقَّف أمام الواجهات !
تجار ، مُشرِّدون ، مخنثون ، متأنقون بإفراط فى
لباسهم ،

أعضاء معروفون فى نِوادِ أرسنقراطية ،
هيات ضامرة مريية ، أربابُ أسر سعداء على نحو
مبهم ،

وأبويون حتى من خلال السلسلة الذهبية
التي تعبر صدريتهم من جيب إلى جيب !
كل مايمرُّ ، كلُّ ما يمرُّ ، وليس أبداً يمر !
حضور القوادات المبرز زيادة على اللزوم ؛
التفاهة المسلية (من يعلم ماذا يوجد فى الداخل ؟)
للبورجوازيين الصغيرتين ، الأم وابنتها ،
وهما تسيران فى الشارع بدون هدف ثابت ؛
التفنُّج الأنثوى الزائف للواطيين الذين يمرُّون ،
متناقلين ؛

وكل أولئك البشر الأنيقين
الذين يتجولون مستعرضين ذواتهم

والذين يملكون روحاً فى الداخل !

(أوه ، لكم أرغب فى أن أكون قوَّاداً لهذا كله !)
الجمال المدهش للفساد السياسى ، فضائح مالية
ودبلوماسية لذيدة ،

عنف فى الشوارع .

ومن حين إلى آخر العوبة قتل الملك
غامرة السماوات الروتينية واللامعة
للحضارة اليومية بأنوار المعجزة والصلف !

أخبارُ صحف مُفَنَّدَةٌ ،

مقالات سياسية صريحة فى عدم صراحتها ،
أخبار Possez-à- La Caisse ، جرائم كبرى
- فى عمودين ثم انتقل إلى الصفحة الثانية !-

الرائحة الطرية لمداد المطبعة !

لافتات ألصقت للتو ، مبلَّلة ماتزال !

صفراء تظهر للعيان ، بحزام أبيض !

كم أحبكنَّ جميعاً ، جميعاً

كم أحبكن جميعاً بكل الوسائل
 بالنظر والسمع والشم ،
 وباللمس (وهو ما يعنى لدى ، لمسهن مباشرة !) ،
 وبالذكاء الشبيه بهوائى تجعله يهتز
 أوه ، لكم تتهيج حواسى كلها من أجلكن !
 سمادات ، درأجات بخارية ، تقدم فى الفلاحة !
 كيمياء زراعية ، والتجارة تكاد تصير علماً !
 أوه فرسان الصناعة الجوالين ،
 التمديدات الإنسانية للمصانع والإدارات المتثاقلة !
 أوه للثياب فى واجهات المتاجر ، أوه للمانيكيات !
 لآخر صرعات الأزياء !
 لمواد لانفع فيها يرغب فى شرائها الجميع !
 مرعى ، بمخازن هائلة ذات شعب متعددة !
 مرعى ، بإعلانات كهربائية تظهر طارفة ثم تختفى !
 مرعى بكل ما يصنع اليوم ، وبكل ماهو اليوم
 نختلف عن الأمس !

إيه ، أيُّها الإسمنت المسلح ، البلاط ، الطرائق
الجديدة !

التقدم المجيد فى أسلحة الدمار !
المدرّعات ، الغوّاصات ، المدافع ، المدافع الرشّاشة ،
الطائرات !

أحبُّكن كُلكُن حُبَّ حيوان مفترس .
أحبُّكن حُبَّ أكلة اللحوم ،
مضللاً ونظري مشدودٌ إليكنَّ
أوه أيتها الأشياء الكبيرة ، المبتذلة ، النافعة ،
اللامجدية ،

يا أشياء جديدة بالكامل ،
يامعاصراتى الحميمات ، أيها الشكل الراهن
والقريب لنظام الكون المباشر .
يالها من ثورة إلهية جديدة من دينامية ومعدن !

أوه للمصانع ، المختبرات ، أوه لك Musaïc-Lalr ،
أوه لك Luna-Park

للمدرّعات ، أوه للجسور ، أوه للسدود العائمة

- فى ذهنى المضطرب المتوهج أضاجعكن
كمن يضاجع امرأة جميلة ،
أضاجعكن بالكامل ، مضاجعةً امرأة جميلة من غير
حب ،

امرأة نلتقيها مصادفة فتبدو لنا شديدة الإثارة .
Eh - Lá - há واجهات المتاجر الكبرى !
Eh - Lá - há مصاعد كبريات العمارات !
Eh - Lá - há تغييرات حكومية !
برلمان ، سياسات ، مقررٌ ميزانيات ،
ميزانيات مزورة !
(ما من ميزانية إلاّ وهى طبيعية تماماً مثل شجرة
وما من برلمان إلاّ وهو جميل كفراشة)

Eh - Lá . الاهتمام بكل شئ فى الحياة ،
لأنّ الحياة هى الكل ، من لمعان الواجهات
إلى الليل ، الجسر الخفى بين النجوم
والبحر القديم والمهيب الذى يغسل الشطآن
والذى هو نفسه ، يالشفقة ، منذ كان أفلاطون
واقعيًا هو أفلاطون

بحضوره الملموس حاملاً جسداً وروحاً فى داخله
وهو يُحدث أرسطو الذى ماكان ينبغى أن يكون
تلميذه !

قادر أنا على أن أموت مطحوناً على يد محرك
شاعراً بالاستسلام اللذيذ لامرأة تُضَاجَعُ .
فلتذفوا بى إلى الأفران العالية !
اطرحونى أسفل القطارات !
اجلدونى بحذاء السفن !
هى ذى المازوخية من خلال الماكينوية !
سَاديَّةُ الحداثى المجهول ، سَاديَّةُ الأنا والضَّجيج !

Up - Lá - hó jockey Ganacdar de Derlaer

من ذا الذى يستطيع قضم ذى اللونين

(طويل القامة أريد أن أكون حَدَّ عدم استطاعتى
اجتياز أىَّ باب !

آه ، النظر عندى عبارة عن شذوذٍ جنسى !

أيتها الكاتيراثيات , Eh-Lá eh - Lá, eh - Lá,
دَعَنْتِي أَهْشَمَ رَأْسِي عَلَى زَوَايَا كُنْ ، ثُمَّ فَلَيْتَعَذَّرْ
على الجميع التعرف على عِنْدَمَا أُسْحَبُ مِنَ الشَّارِعِ
وأنا أنزف دماً !

أوه ، أيتها الترامويات ، القُطْرُ الجبلية ، المترواوت ،
ادعكُنِّي جيِّداً حتى التشنُّج !

Hillai ! hilla ! hilla - hô !
اضحكُنْ مقهقهاتٍ ملءَ وجهي ،
أوه ، أيتها السيارات المكتظة بالداعرين والقحاب ،
أيتها الحشود اليومية ، فى الشوارع ، لا هى
بالفرحة ولا بالحزينة ،
أيها النهر المتعدد الألوان حيث بإمكانى الاستحمام
كيف أشاء !
آه ، كم من حيوات معقدة ، كم من أشياء ، هنالك فى
منازل ذلك كله !
آه ، أن أعرف حياة الجميع ، الصعوبات المالية ،

الدعاوى المنزلية ، الفوضى ، العوائد الداعرة التى
لا يمكن حتى الارتياح فيها ،

الأفكار التى تراود أياً كان منفرداً فى غرفته ،
والحركات التى يأتينا حين لا يستطيع أحد رؤيته !
ألا يُعرف شئ من هذا يعنى أن يُجهل بالكامل ،
أوه ، أيها السعار ، الذى ، كما لو كان حَمَى
واهتياجاً وسَغَباً

يستنفد وجهى ويُرجف تارة يديَّ
بتشنجاتٍ لَمَعْقُولَةٍ وسط
غَوْغَاءِ هذه الشوارع المكتظة بالتَّدَافعات !

آه ، ثُمَّ أولئك العوامُّ القذرون الذين يظهرون
دائماً مِثْلَما هُمْ ، ويتلفظون
بالبِذَائَاتِ كالألفاظ مألوفة ،
بينما أبناؤهم على أبواب المتاجر يتعلَّمون السرقة ،
وبناتهم فى سنِّ الثامنة - كل هذا جميل لدى
ومحبوب !-

يَسْتَدْرِجُن رجالاً ذوى مظهر محتشم
إلى الاستمناة فى فجوات سُلَّمِ العمارة !

أولئك الغوغاء الذين يجتازون السقالات
عائدين إلى بيوتهم عبر أزقة تكاد تبدو غير حقيقية
لضيقتها ونتاجتها !

بشر عجيب مثل الكلاب يعيش ،
تحت حضيض كل النظم الأخلاقية ،
مِمَّا لم تُخلق من أجله أيُّ ديانة ،
ولا أيُّ فنٍّ ،
ولا أيُّ سياسة !
لَكُمْ أَحَبُّكُمْ كُلُّكُمْ لِأَنْتُمْ هكذا ،
لا بدْعرةٍ أَنْتُمْ على ضَعَتِكُمْ ،
ولا بأخيار ولا أشرار ،
مُحصِّنِينَ في وَجْه كل أشكال التقدم ،
فوضى عجيبة فوضى عمق بحر الحياة !
(في ناعُورة روض منزلى يطوف الحمار ،
ويطوف ،
سِرُّ العَالَمِ يَعَادِلُ هذا الفعل .
امْسَحِ العرق بِكُمَّكَ ، أَيُّهَا الشَّغِيلُ الْمُتَبَرِّمُ ،

نور الشمس يخلق سكون الأفلاك

جميعاً علينا أن نموت ،

أوه ، غاباتِ الصنوبر المعتمدة في الغسق

حيث طفولتى شيئاً آخر كانت

غير مَنْ أنا الآن ...)

لكن ، آه مرةً أخرى هذا الغيظ الميكانيكى الثابت !

مرة أخرى ، الوسواس المتسلط لحركة
الأوتوبيسات .

ومرةً أخرى هَيَاجِ الانْوَجَادِ سائراً فى آن واحد ،

فى قطارات الجهات كلها فى العالم كله ،

الانوجاد ملوحاً بالوداع على جانب السفن كافة .

وهى اللحظة ، بصَدَدِ رفع المرساة أو مغادرة
الأرصفة .

أوه للحديد ، للفولاذ ، الألومنيوم ، صفائح المعدن
الْمَلْوَى !

أوه للأرصفة ، الموانئ ، القُطَر ، الرافعات ، الجَرَّارات !

Eh - Lá كوارث سَكْكِية كبرى !

Eh - Lá كوارث انهيارات فى ممرات المناجم !

Eh - L^á حوادث غرق سفن المحيطات الممتعة !

Eh - L^á ثورات هنا ، هناك وهناك !

تغيرات فى الدساتير ، حروب ، معاهدات ،
اجتياحات ،

ضوضاء . مظالم ، اعتداءات ، وربما بعد قليل تأتى
النهاية ،

اجتياح البرابرة الصفراء لأوروبا ،

وشمس أخرى فى الأفق الجديد !

لَكِنْ

فيم يهم هذا كله ؟ فيم يقيد هذا كُلُّه

بريق الصَّخْب المعاصر المحمَّر السَّاطِع ، بريق
حضارة اليوم ؟

هذا كُلُّه يمحو الكُلَّ ماعدا هذه اللُّحظة ،

لحظة الجذع العارى والساخن مثل وقاد بخارى ،

اللحظة الصَّارَّة ، الصاخبة ، الميكانيكية ،

اللحظة الديناميكية التى هى مُرور كل سِغِّيراتِ

الحديد والبرونز وسُكَّر المعادن كافة .

Ea ، القطارات ، Ea ، الجسور ، Ea ، الفنادق ساعة

الأكل

Ea ، أجهزة مِنْ أنواع شتى ، حديدية ، خشنة ،
صغيرة ،

آلات ضابطة ، طواحين ، حَقَّارات ،
مكابس ، خَرَّاطات ، مطابع رحويَّة .

Ea ! Ea ! Ea !

Ea كهرباء ، عَصَبٌ مَرِيضٌ بالمادة !
Ea تلغرافيا لاسلكية ، لطافة اللاشعوري المعدنية !
Ea أنفاق ، قنوات ، پنما ، كييل ، سويث !
Ea الماضي كله فى قلب الحاضر !
Ea المستقبل كله داخل أنفسنا ، Ea
Ea ! Ea ! Ea

ثمار حَدِيدٍ ومنافع الشجرة - المصنع الكونى !
Ea ! Ea ! Ea ! Ea - hâ - hâ - ô !
لأ وجود لى حتى من الداخل . أَلْفُ ، أُنْدَحْرَجُ وَأَغْدُو
آلَةً .

أَشْدُّ إلى جميع القطارات ،
أَرْقَعُ فَوْقَ كافة الأرصفة ،
أُدُورُ فى مراوح جميع السفن
Ea ! Ea ! hâ ! Êa !

Ea أنا الحرارة المعدنية وأنا الكهرباء !
Ea ، وقضبان السكة أنا وغرف الآلات ، وأورپا
بأسرها !

Ea برافو من أجلى ومن أجل الكل ، من أجل !
الماكينات المشتغلة ، ea

أن أثب مع الكل فوق الكل ! Lá - Hup

Hup - Lá , hup - Lá , hup - Lá, hup Lá !

há - Lá; há - há ! Nô - ô - ô - ô !

z - z- z - z - z - z - z - z - z !

آه ألا أكون الناس جميعاً ولا الجهات كُلُّها

لندن .

مقطعات من الأناشيد

(تتمة نشيدين ...)

I

.....

تعال ، أيها الليل الموغل فى القدم
أيها الملك المولود مخلوعاً عن العرش ،
أيها الليل المساوى للسكينة من الداخل ، ليل
النجوم الخرزية القصيرة
فوق حواشى ثياب اللانهاى .

غامضاً تعال ،

خفيفاً ،

تعال وحيداً ومهيباً ، بين يدين مسبلتين
على الجانبين ، تعال

وأحمل معك الجبال البعيدة عند أقدام الأشجار
القريبة ،

ذوب في حقلك أنت كل ما أشاهد من حقول ،
اجعل من الجبل كتلة وحيدة لجسدك ،
أمح كل الفوارق التي أتأملها من بعيد ،
كل الشعاب المصعدة إليها ،
كل الأشجار المتنوعة التي تجعلها من بعيد تبدو
خضراء معتمة ،

كافة الدور المتصاعد تُخَانُها بين الأشجار ،
ولتبقى على نور واحد فقط ثم على نور آخر
ونور آخر

ما يزال في المسافة المبهمة المعكّرة ،
المسافة التي فجأةً يتعذّر عليّ عبورها .

ياسيدة* الأشياء المستحيلة
التي سدىّ نبحت عنها ،

* اضطررتُ ، إبرازاً لإحياءات الخطاب الأمومية والدينية ، تحويل
صيغة الليل المذكورة في العربية إلى صيغة المؤنث ، في بعض السياقات ،
للتلاؤم مع التانيث الأصلي في لفظة ليل الإسبانية البرتغالية .

والأحلام التى تأتينا مع نُزول المساء عبر النافذة ،
والأهداف التى تداعبنا
فى كُبريات سطيحات أحد فنادق الكون ،
على إيقاع الموسيقى الأوربية والأصوات القرية
والناثية
التي تؤلنا لمعرفتنا جيِّداً بأنها لن تكون واقعية
أبداً ...

تعالى وهَدِّدِينَا
تعالى وداعبينا ،
قبْلينا وبصمت فى الجبهة
بخفة قبْلينا فى الجبهة حيث لم نَذُق التقبيل
اللهم إلّا من تزييف معين للروح
ومن نشيج غامض نابع بعذوبة
مِنْ أقدام مافينا ،
هنالك حيث جذرُ كل تلك الأشجار العجيبة
التي ثمارها هى الأحلام التى نداعبها ونحبها
خارج أية علاقة مع كل مافى الحياة .
تعال أيها الليل أنت

السيدة الفاتكة الجلال
السيدة المهية والكاملة
من إرادة نشيج خفية رُبما
لأنَّ الروح أكبر والحياة أضال
وليس الجسد مَصْدَرَ حركاتنا
وما ندركه لا يتجاوز مبلغ ذراعنا
مانراه لا يتخطى ماتدركه أبصارنا .
تعالى ، أيتها الأم المتألمة
الأمُّ العذراء حاملة هواجس الله ،
يا برج الحزانى المهانين العاجي ،
أيتها اليد الباردة على جبهة الوضيع المحمومة ،
يامذاق الماء على شفة المهدود اليابسة ،
تعال من عمق
الأفق الغامق ،
تعال واقتل عني
من حَضِيضِ اللاجدوى والقلق هذا حيث اخضرارى .
استحبنى من حَضِيضِ مثل أقحوانة منسية ،
ثم ورقة إثر ورقة اقرأ
أى مَصِيرٍ ينتظرنى ،

ولتضعنى بجانبك منزوع الأوراق
بجانب رضاك المفعم سكوناً وبرودة .
وَلْتَرُمْ بورقة من أرواقى إلى الشمال ،
حيث مُدُن اليوم التى طالما عشقتُها فيك ،
وَأَرْمُ أخرى نحو الجنوب ،
حيث البحار المفتوحة للملاحين
ثُمَّ أطلق واحدة أخرى باتجاه الغرب
حيث يتهيأ فى عنفوانه ذلك المستقبل
الذى أعْبُدُه على جهلى به ،
ولتقذف إلى الشرق بالورقة الأخرى ،
ببقية الورقات ، وبما تبقى منى إلى الشرق
الذى منه يأتى كُلُّ شَيْءٍ ، نَهَاراً كَانَ أم إيماناً ،
الشرقُ الأبْهَى ، المتعصَّبُ ، الساخن ،
الشرقُ المغالى الذى لن أراه أبداً ،
الشرق البراهمانى ، البوذى ، السانتستى ،
شرقُ كُلِّ ما ليس لنا ،
شرق كل ذلك الذى لسنا إِيَّاه ،
وحيث - المسيح - من يدرى ؟ - حياً ما يزال ربما ،

وحيث الله موجود ربما بالفعل ويهيمن على كل
شئ ...

تعال عبر البحار ،
عبر البحار العليا ،
معب البحار غير المحددة الآفاق ،
تعال ومرار على ظهر التنين يدك
وخفية هدته ،
أيها المروض النوم كل متهيج شديد .
تعال أيها الحاجب
أيها الأمومي ،
خطوة خطوة أيتها الممرضة الموعلة في القدم
يا من كنت جالساً جنب وسادة آلهة
العقائد الغابرة ،
وشاهدت ولادة جيوبا وجوبيتر
باسمة ، لأن كل شئ زائف لديك وقبض ريع .
تعال أيها الليل الساكن المنخطف

كى تُحِيلِ قلبى معطفاً أبيض ،
فى الليل .

صافياً كنسيم عشية خفيفة
هادئاً مثل مداعبة أمومية ،
بنجوم لآ معة فى يديك
وبقناع قمر سرى يسرى على وجهك
كل الأصوات بطريقة أخرى تَرِنُ
عندما تحل أنت .

والكل يخفض الصوت عندما تجئ
ولا أحد يراك داخلاً .

لا أحد يعلم بأنك حللت .

والأشياء كلها تفقد الأضواء والألوان
وفى السماء الشاهقة التى زرقاء ماتزال ،
صافية كانت ، دائرة بيضاء أم محض نور يصلنا ،
يبدأ

القمر فى التكوّن فعليا .

آه للشفق ، لهبوط الليل ، لإشعال الأضواء فى
المدن الكبرى

وَلَيْدِ السَّرِّ تَخْنُقُ الضَّجِيجَ ،

وذلك الإجهاد الشامل الذى يُفسد فينا

إحساسنا الدقيق والنشيط بالحياة .

وكل شارع قَنَاطَةٌ من قنوات البندقية مدينة الضجر .

وكم هو غامض ذلك العمق الذى يوحد الشوارع ،

لدى نزول الليل ،

أوه يا ئيساريو بيردى * ، أوه أيها المعلم ،

أوه يا إحساس الرجل الغربى ** !

يالها من قلق عميق ، يالها من رغبة فى أشياء أخرى

غير البلدان وغير الأزمنة أو الحيوان ،

يالها من رغبة أحياناً فى أنماط مغايرة لأوضاع

الروح

* شاعر برتغالى عاش فى النصف الثانى من القرن 19 .

** « إحساس رجل من الغرب » : عنوان قصيدة لنفس الشاعر

تعكس الروح البرتغالية بكل ثقلها التاريخى إزاء حداثة الغرب .

أَلَا فَلْتُبْلِّلْ مِنَ الدَّاحِلِ أُيُّهَا اللَّيْلُ هَذِهِ اللَّحْظَةُ
الْبَطِيئَةُ وَالسَّحِيقَةُ !

الرَّعْبُ الْمُسَرَّنُ بَيْنَ الْأَضْوَاءِ الْمَشْعَلَةِ ،
الرَّعْبُ السَّائِلُ الرِّخْوِ الْمُسْتَنْدِ إِلَى الزَّوَايَا
كَمْتَسَوَّلٍ أَحَاسِيْسٍ مُسْتَحِيلَةٍ
لَا يَعْرِفُ حَتَّى مِنْ يَسْتَطِيعُ مَنْحَهُ إِيَّاهَا ...

عِنْدَمَا سَأَمُوتُ أَنَا ،
عِنْدَمَا سَأَمْضَى بِحَقَارَةٍ مِثْلَ الْجَمِيعِ ،
عَبَّرَ ذَلِكَ الطَّرِيقَ الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ نَوَاجِهَ فِكْرَتَنَا عَنْهُ
مُبَاشَرَةً ،

عَبَّرَ ذَلِكَ الْبَابَ الَّذِي لَا أَحَدٌ يَطْلُ مِنْهُ حَتَّى
لَوْ تَيَسَّرَ الْإِطْلَالُ ،
عَبَّرَ ذَلِكَ الْمِينَاءَ الَّذِي رُبَّانُ السَّفِينَةِ يَجْهَلُهُ ،
لَيْكُنْ ذَلِكَ الْآنَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْجَدِيدَةِ بِمَا لَدَيَّ
مِنْ أَنْوَاعِ الضَّجَرِ
فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الصُّوفِيَّةِ الرُّوحِيَّةِ الْقَدِيمَةِ

فى هذه الساعة ربما قبل زمن أبعد مما يبدو
فى الأحلام رأى أفلاطون فكرة الله
ناحتاً جسداً ووجوداً متلائمين بصفاء تام
داخل فكره المجلى مثل حقل .

لتكن هذه الساعة مناسبة حملى إلى الدفن ،
هذه الساعة التى لا أعرف كيف أعيش فيها
ولا أية مشاعر ينبغى أن تكون لدى أو حتى أن
أظاهر بأنّها لدى ،

فى هذه الساعة التى رافقتها معذبة ومفرطة ،
وظلالها قادمة من أشياء ليست من الأشياء فى
شئ ،

ومُرورها لا يحاذى بثيابه أرضية الحياة
الحساسة

ولا يخلف أى عطر فى مسالك النظر .

ضع على الركبة يديك بهيأة صليب ، أوه أيها
الرفيق

الذى ليس لى حتى إمكانية امتلاكه ،

ضع على الركبة يديك وحدِّق في صامتاً
في هذه الساعة ، حيث لا أستطيع أن أرى أنَّك
ترانى ،
انظر إلى في سكون ، ولتسألنى خفية ،
- أنت الذى تعرفنى - مَنْ أكون

على مقود الشيفروليت

عبر طريق سينترا

على ضوء القمر وضوء الحلم عبر الطريق
الصحراوي ،

وحيداً أسوق ، ببُطء تقريباً أسوق ، وشيئاً فشيئاً

يبدو لي ، أو أُننى أحاول كي يبدو لي ، بأننى

أسير عبر طريق آخر ، عبر حلم آخر ،

عبر عالم آخر ،

وبأننى أتابع السير بدون أن أخلف لشبونة ورائتى ،

وبدون أن يكون على الوصول إلى سينترا التى

أمامى ،

وعلى أن أتابع .

وماذا أفعل بالذات سوى أن أتابع المسير

بالأأتوقّف وأن أتابع وأتابع ؟

سوف أمضى الليلة فى سينترا

لأننى لا أستطيع تمضيّتها فى لشبونة
لكن بمجرد وصولى إلى سينترا
سوف أشعر بالحزن لأننى لم أمكث فى لشبونة .

دائماً هذا القلق الذى بلاغاية ، ولانتيجة
هذا القلق المتقطع ، دائماً ، دائماً ، دائماً .
قنطُ الروح هذا المُجَاوِزُ كُلُّ حَدٍّ ، من أجل لاشئ ،
فى طريق سينترا ، فى طريق الحلم أو فى
طريق الحياة ...

مُنْقَاداً للحركات اللاشعورية التى بها أُدير المقود ،
من تحتى ومعى تقفز تلك السيارة التى
أعارُونى إياها .

أثناء لَفِّى نحو اليمين أبتسم للعلامة وأنا أفكر
فى عَدَدٍ

الأشياء المُعارة التى بها أمضى مطوّفاً عبر العالم !
كَمْ من أشياء مُعارة أسوقها كما لو كانت ملكى
الخاص !

ياوَيْحى ، ما أعارُونيه ، ليس سوى أناي بالذات .

على اليسار يوجد كوخ ، أجل ، كوخ على
حافة الطريق .

وعلى اليمين الحقل المنشور ، والقمر مطلا من بعيد .
السيارة التى بدأ منذ قليل أنها تمنحنى الحرية
هى ما أنا الآن فيه محبوس ،
ولست بقادر على سياقتها إلا هكذا .
لا أقدر على التحكم فيها إلا إذا كنتُ
أحتويها وكانت تحتوينى .

إلى الخلف ، على اليسار الآن ، يوجد الكوخ
الوضيع ،

الكوخ الأخط من وضيع ،
هناك ينبغى أن تكون الحياة سعيدة :
فقط لأنها ليست حياتى .
لو رأتى أحد من النافذة لقال :
سعيد هو ذلك الرجل .
بالنسبة إلى الطفل الذى ينظر
من خلف زجاج النافذة العلوية (بالسيارة التى

أَعَرْتُهَا (رُبَّمَا بَدَوْتُ شَبِيهَا بِحُلْمٍ ، شَبِيهَا بِجَنِيَّةٍ
واقعية .

بالنسبة إلى الفتاة التى أطلت ،
عند سماعها صوت المحرك ، من نافذة المطبخ ،
من الطابق الأرضى ، رُبَّمَا كُنْتُ مِثْلَ ذَلِكَ الْآمِيرِ
الذى يحتلُّ كُلَّ قَلْبِ الْفَتَاةِ التى ظَلَّتْ خَفِيَّةً مِنْ خَلَلِ
الأحمر المصقق بالزجاج ، تُتَابِعُنِي حَتَّى الْمُنْعَرَجِ
الذى اختفيت فيه .

أَحْلَاماً أَخْلَفَ مَنْ وَرَائِي ؟ أَمْ هِيَ السَّيَّارَةُ
التي تخلف من ورائها الأحلام ؟
أَنَا سَائِقُ السَّيَّارَةِ ؟ أَمْ أَنَا السَّيَّارَةُ الْمَعَارَةَ الَّتِي
أَسُوقُ ؟

فِي طَرِيقِ سَيْنْتِرَا ، عَلَى ضَوْءِ الْبَدْرِ النَّاصِعِ ،
مغموراً بالحزن أمام الليل والحقول ،
وأنا أسوق الشيفروليت المعارة ،
فِي طَرِيقِ الْمُسْتَقْبَلِ أَضْيَعُ ، أَغْرَقَ فِيمَا
أُدْرِكُهُ مِنْ مَسَافَةٍ ،

وبرغبة رهيبية ، فجائية ، عنيفة ، لا معقولة

أضاعف سرعتي

لكنَّ قلبي ظلَّ هناك ، فى كومة الأحجار

التي انحرفت عنها ناظراً إليها بدون أن أراها ،

منبوذاً جنب الكوخ

قلبي الفارغ

قلبي التعيس

قلبي الأكثر إنسانية مني ، والأكثر كمالاً من الحياة .

على طريق سينترا ، فى حافة منتصف الليل ،

على ضوء البدر ، على المقود

على طريق سينترا ، يالتَّعبِ المخيلة

على طريق سينترا ، أكثر فأكثر دُنوّاً من سينترا

على طريق سينترا ، أقلَّ فأقلَّ دُنوّاً من نفسى .

رسم تخطيطي

مثل كوب فارغ تحطمت روحى
هاوية من أعلى السُّلم حتى الحضيض .
من يدى خادم لامبالية هوتُ ،
متناثرة إلى شظايا أكثر بكثير
مما يحويه الكوب ذاته من شظايا .

أو غير معقول هذا ؟ أمستحيل ؟ ذلك ما حدث
بالفعل .

أمتلك من الأحاسيس مايفوق
جميع تلك التى امتلكتها عندما أحسستُ
بأننى هو أنا .
كومة أشياء أنا مُشتتة فوق بِساط سينفُض
سقوطي أحدث ضجة كُوب يتحطم .

الآلهة المتكئون على درابزين السُّلَّم
ظَلُّوا ينظرون بثبات إلى الحطام
الذى حَوَّلَتْنِي خَادِمُهُمْ إِلَيْهِ .
خادمهم التى لم تُثِرِ البتة غضبهم
فهم متسامحون .

كوب فارغ إذن ، أليس هو ماكنته ؟
إنهم ينظرون إلى الحطام واعين ، على نحو عبثى ،
بأنفسهم ذاتها ، لا بكونهم واعين .

ينظرون ويبسمون
يبسمون ، متسامحين تجاه الخادم
الذى لم تفعل ذلك عن عمد .
السُّلَّمُ الأعظم المفروش بالنجوم يتمدد ،
ثمت حطام يلمع ، ممسوساً باللمعان الخارجى
وسط النجوم
حطام تُحْمَلِقُ فيه الآلهة بتأنٍ
لا تدري ماذا يفعل هناك .

أحشاء على طريقة أوبرطو

ذات يوم ، فى مطعم ، خارج المكان والزمان ،
قدّموا لى الحُبّ وجبةً من أحشاء باردة .
قلت بكثير من الرّقة لرئيس الطباخين
إننى أفضل الأحشاء ساخنة ،
لأنّها (وكانت على الطريقة البرتغالية)
لا تؤكل أبداً باردة .

نقد صبرهم معى ،
لا يمكن أن تكون على حق أبداً
حتى فى مطعم .
ولم أخجل ، لم أطلب شيئاً آخر
أدّيت الثمن ، ومضيتُ أتجول فى الشارع

من يدري مامعنى هذا كله ؟
لقد حدث لى أنا الذى لست أدري ...
أعرف جيداً أن الناس جميعاً كانت لديهم ،
فى الطفولة ، حديقة خاصة أو عمومية أو لأحد
الجيران .

أعرف جيداً أنَّ اللَّعب كان شأننا الأوحد
وأنَّ الحزن وليدُ اليوم ،
هذا ما أعرفُهُ زيادةً على اللزوم ،
لكنى ، إذا كنتُ قد طلبتُ حُباً ، فلماذا
أتونى بأحشاء باردة ، على طريقة أوبرطو ؟
مَاهى بِصُحْنِ يَمَكُن أَكْلُهُ بارداً ،
بَارداً أَتُونِى بِهِ
لَمْ أَتَشْكْ ، غير أنه بَارداً كان
لايَمَكُن أَكله بارداً لكنه بَارِد
أَتَانِى بَارداً .

Lisbon Revisted

لا شئ يشدنى إلى شئ .
خمسین شیئاً أريد فى وقت واحد .
لدي اشتياق مصحوب بقلق من يعانى
من جوع فى اللحم لا أعرف ماهو .
فَلَقاً أنام ، وأحيا الحلم القَلِق
لِمَنْ على قلق ينام متقاسما أحلامه .

كل الأبواب المجردة والضرورية أغلقت فى وجهى
أسدلت الستائر فى وجه كافة الفرضيات
التي كان باستطاعتي مشاهدتها فى الشارع .
فى الزقاق حيث كنتُ لا يوجد البتّة
رقم المنزل الذى أعطونيه .

الحياة التى نُؤمِتُ فيها استيقظت فى نفسى
حتى جيوشى الحُلُمِية تكبُدت الهزيمة
حتى أحلامى أحسَّت ببطولانها
حين كنت أحلم بها .
حتى الحياة ، حتى الحياة لمجرد أنها مشتهاة
تشعرنى بالامتلاء ،
حتى تلك الحياة .
وَأع بكل المسافات اللأمتصلة .
ومن أجل لحظات الإجهاد أو اصل الكاتبة .
ضَجَرُ الضجرِ نفسه هو ما يقذف إلى الشاطئِ بى .
لا أدرى أىَّ هدف وأىَّ مستقبل
ينتظر قلقي الذى لا دَقَّة له .

لا أعرف أىَّ جزر من الجنوب المستحيل
تترقَّب عَرَقى ،
ولا أية صفحة أدبٍ ستهبنى
بيتاً من الشعر بالأقل .
لا أعرف هذا ، ولا ذاك ، ولا أىَّ شئ على الإطلاق

وفى قرارة روحى ، حيث أحلم بما استُهلِكَ من
أحلام

فى الحقول الأخيرة للنفس ، حيث أسترجع
الذكريات بلا مبرر ،

وحيث الماضى ضبابية طبيعية من دموع مصطنعة ،
فى طرق الغابات البعيدة .

حيث كينونتى المفترضة ، هنالك ،
تفرُّ محطمةً ، البقايا الأخيرة للوهم النهائى ،
جيشى المحلومة المهزومة بدون هزيمة ،
كتائبى لأنها ممزقة فى ذات الله .

مرةً أخرى أعود إلى رؤيتك
يامدينة طُفولتى الضائعة بطريقة رهيبة .

أيتها المدينة الحزينة والفرحة
مرة أخرى أحلم ، هنا أحلم
أنا ؟ لكن ، أنا نفسى الذى هنا عشت
والى هنا عدتُ ، وعدتُ

كى أعود وأعود وأعود وإلى
هنا أعود من جديد كى أعود ؟

أَمْ أَنْ كُلَّ الْأَنْوَاتِ * الَّتِي عَشَتْهَا أَوْ عَاشَتْ
هَنَا كُنَّا كُنَّا سِلْسِلَةً خَرَزَاتٍ - كَائِنَاتٍ
مَنْظُومَةٍ فِي خِيَطٍ - ذَاكِرَةٍ ،
سِلْسِلَةِ أَحْلَامٍ فِي دَاخِلِي
مَنْ أَجَلَ شَخْصٍ مَوْجُودٍ خَارِجَ ذَاتِي ؟

مَرَّةً أُخْرَى أَعُودُ كَيْ أَرَاكَ ،
بِقَلْبٍ أَنَايَ مِمَّا كَانَ ، وَبِرُوحٍ أَقْلٍ انْتِمَاءً إِلَى
مَرَّةً أُخْرَى أَعُودُ كَيْ أَرَاكَ
- كَيْ أَرَى لَشَبُونَةٍ وَالتَّاجِ وَكُلِّ شَيْءٍ -
إِنَّهُ مُرُورٌ غَيْرُ مُجْدٍ مِنْكَ وَمِنْئِي ،
أَجْنِبِي هُنَا كَمَا فِي الْجِهَاتِ كُلِّهَا ،
طَارِيءٌ فِي الْحَيَاةِ كَمَا فِي الرُّوحِ ،
شَبَّحَ ضَالٌّ فِي صَالُونَاتِ الذِّكْرِيَّاتِ
بِضَوْضَاءِ الْجِرْذَانِ وَالْأَخْشَابِ الصَّارَةِ
فِي قَلْعَةِ الْعَيْشِ الْمَلْعُونَةِ ...

* جَمْعٌ : أَنَا .

مرّة أخرى أعود كي أراك
ظلاً يَمْرُقُ عبر الظلال ، يسطع
لهنّيهةٍ علي ضوء جنائزى مجهول
ثمّ يُوغِلُ فى الليل
مثلنا يضيع مُخور المركب فى الماء ...

مرة أخرى أعود كي أراك
لكن ، آه ، لن أعود إلى رؤية ذاتى ،
لقد تكسّرت المرآة السحرية التى
اعتدتُ العودة إلى رؤية ذاتى فيها .
فى كل شظية متناثرة مشؤومة
لا أرى سوى فلذة منى -
فلذة منك ومنى .

1926

فى ساحات المستقبل

أية إكسيلات سَيَقَعُ الإشهار لها
فى ساحات المستقبل - نفس ساحاتنا ربما - ؟
بإتيكيتات مغايرة ، نفس إتيكيتات مصر الفرعونية ؛
بأساليب أخرى تَحُثُّ على شراء
نفس مَالِدِينَا الآن .
ثُمَّ الميتافيزيقات الضائعة فى زوايا
مقاهى الأمكنة كلها ،
والفلسفات المتوحدة ،
من فرط الإقامة فى غرف أسطُح الإخفاق ،
وأفكار قُرط مصادفة العَرَضى المتواتر
وحدوس السيد لا أحد المتكاثر ،
كُلُّها قد تشكَّل ، ذات يوم ، بعُصارة مُجرّدة

وَبِمَادَّةٍ غَيْرِ مُسْتَسَاغَةٍ ، إِلَهًا تُمَّ تَسْتَوَلِي
عَلَى الْعَالَمِ ، لَكِنْ لَا سَلَامَ
مِنْ أَجَلِي الْيَوْمِ ، أَتْنَاءَ التَّفَكِيرِ فِي خَوَاصِّ الْأَشْيَاءِ
فِي الْمَصَائِرِ الَّتِي لَمْ أَقْضُ مُضْجِعَهَا بَعْدُ ،
فِي مِيتَافِيزِيْقَايَ الْخَاصَّةِ . مِيتَافِيزِيْقَايَ
طَالَمَا أَفَكَّرْتُهَا وَأُحْسِنْتُهَا .
لَا سَلَامَ .

عَلَى الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ نَصَبَ الشَّمْسِ
ثَمَّتَ الْكَثِيرُ مِنَ السَّكُونِ الصَّافِي
أَوْ ثَمَّتَ سَكُونٌ بِالْفِعْلِ ؟
فِي الْجِبَالِ الْوَاقِعَةِ نَصَبَ الشَّمْسِ
لَا وَجُودَ لِمَا يُشْبِهُ الرُّوحَ ،
مَا كُنْتُ لَتَكُونُ جِبَالًا ، نَصَبَ الشَّمْسِ
لَوْ امْتَلَكْتُ رُوحًا .
هُوَ ذَا أَتَعَبَ الْفِكْرَ الَّذِي يَمْضِي حَتَّى قَرَارَةَ الْوُجُودِ ،
قَدْ غَمَرَنِي بِالشَّيْخُوخَةِ مِنْذَ مَا قَبْلَ الْأَمْسِ
مَعَ بُرُودَةِ تَمَلُّؤِ الْجَسَدِ .

ماذا عن الأهداف الضائعة والأحلام المستحيلة ؟

ولماذا تحتمُّ وجود أهداف مَيِّتة

وأحلام لا عقل لها ؟

أيام المطر البطيء ، الرتيب ، المتَّصل

تحملنى على النهوض من المقعد الذى

عليه جلست بغير انتباه ، بينما

الكون فراغ مطلق حوالىَّ

والسَّام الذى يُقَوِّم عظامنا

يُبَلِّل كينونتى .

ثمت ذاكرة شىء لا أتذكَّره

تُبرد روحى .

لا شك أن هناك احتمالات حلُّم عديدة

لِجُزُر بحار الجنوب

ورمال الصحارى تعوِّض الخيال بشكل مَّا ؛

لكننى فى قلبى بالذات يَقَعُ إحساسى

قلبى بالذات بلا بحار ولا جُزُر ولا صحارى

وفى روحى الخاوية أوجد .

ومع ذلك ، وكما لو كنت مجنوناً ، مُسَهَّباً ،

أواصل السرد بلامعنى .

ثورانُ القدر الباردُ ،

تقاطعُ كل شيء ،

اختلاطُ الأشياء ، وأسبابها ونتائجها

عاقبةُ امتلاك جسد وروح ،

وصوتُ المطر ينحل فى ذاتى ، يصير أناى ،

وهو شديد القتامة .

فبراير 1923

بعد غَدٍ ، نعم ؛ لكن فقط بعد غد .
غداً سأَصْرِفُه مَفْكَراً فى بعد غد
وبذلك يصبح الأمر ممكناً ؛ أما اليوم فلا ..
لا .. اليوم لا شئ ؛ اليوم لا أستطيع .
هناك الإلحاح الغامض لِدَخِيلَتِي المرئية ،
حلم حياتى الواقعية ،
التعب المُسبق واللانهاى ،
تَعَبُ عوالم الصعود فى ترام ..
هذا الطراز من الروح ..
فقط بعد غد
أما اليوم فأريد التهيؤ .
المخطط جاهز لـدي ؛ ذلك أفضل

اليوم لن أرسم مخططات .
غداً سيكون يوم التخطيطات .
غداً سأجلس أمام طاولة العمل من أجل أن أفتح
العالم ،

لكن سأفتح العالم فقط بعد غد .
لدىَّ رغبةٌ فى البكاء فجأةً ، من الداخل ...
لا .. لا ترغبوا فى معرفة أكثر ، لأن الأمر
سرى ولن أبوح به .
فقط بعد غد ..

عندما كنت طفلاً كان سيرك الأحد
يسلّينى أسبوعاً بكامله ،
اليوم يسلّينى فقط سيرك أحد كُلاً أسبوع طفولتى .
بعد غد سأكون آخر
ظافرة ستصير حياتى ،
كل مزاياى الواقعية ، مزايا الذكى ، المثقّف العملى
سوف تُستحضر بقرار رفيع .
لكن بقرار من الغد .
اليوم أريد النوم . غداً سوف أكتب ..

واليوم ؟ ماهى الفُرجة القادرة على

أن تُعيد إلى طفولتى ؟

بالرغم من أننى مُجبرٌ على اقتناء تذاكر الغد

لما بعد غد حيث ستكون الفُرجة ممتعة .

قبل ذلك لا ..

بعد غد سيكون لدى العرض العمومى

الذى سأبحثه غداً .

بعد غد سأكون فى النهاية

ذلك الذى لست قادراً على أن أكونه بأى شكل .

فقط بعد ...

أشعر بالرغبة فى النوم

بارداً برودة كُلب سائب ،

لدى رغبة فى كثير من النوم

غداً سأبوح لك بالسر ، أو بعد غد ،

نعم ، ربما فقط بعد غد

المستقبل ..

نعم ، المستقبل .

14 أبريل 1948

غيوم

أَوْثَمَةٌ فِي النَّهَارِ الْكُئِيبِ ،
حَيْثُ قَلْبِي الْأَشَدُّ كَأَبَةٍ مِنَ النَّهَارِ
وَاجِبَاتٌ أَخْلَاقِيَّةٌ وَمَدْنِيَّةٌ ؟
تَعْقِيدَاتٌ مُتَرَتِّبَةٌ عَنِ الْوَاجِبَاتِ ،
وَالْعَوَاقِبِ ؟
كَأَنَّ .. لَا شَيْءَ .

النَّهَارُ كُئِيبٌ ، الرِّغْبَاتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ضَعِيفَةٌ
لَا شَيْءَ .

بَعْضُهُمْ يَسَافِرُ (أَنَا أَيْضًا سَافَرْتُ) ،
آخَرُونَ تَحْتَ الشَّمْسِ يَقْبَعُونَ (كَذَلِكَ تَحْتَ الشَّمْسِ
كَنتُ أَوْ ظَنَنْتَنِي كَذَلِكَ)
جَمِيعُهُمْ يَمْلِكُونَ الصَّوَابَ ، أَوْ الْحَيَاةَ
أَوْ الْجَهْلَ الْمُقَنَّ ،

الغرور ، الفرح وحسن المعاشرة ،
 ويهاجرون كي يعودوا ، أو كي لا يعودوا
 فى سُنن تتكَلَّف تلقائياً بنقلهم ،
 غير شاعرين بما يكمن من موت
 فى كُلِّ إقلاع ،
 وبما يكمن من أسرار فى كل وصول ،
 وبما تُمَتَّ من رهبة فى كل جديد ...
 إنهم لا يحسُّون ؛ لذلك هُم ما هُم عليه ،
 نواب ورجال مال ، مستخدمون تجاريون
 يذهبون إلى كافَّة المسارح ويعرفون الناس جميعاً .
 يفتقرون إلى الإحساس :
 من أجل ماذا يتحتم عليهم الإحساس ؟
 قطيع مَكْسُوٍّ من حظيرة الآلهة ،
 دَعُهُ يَمْرُ ، مُكَلَّلًا بالغار ... قرباناً تحت الشمس
 باسمًا ، حياً . مسروراً بكونه يُحَسُّ .
 دَعُهُ يَمْرُ ، لكن ، آه ، أنا مَعَهُ مَاضٍ
 بدون إكليل غار
 نحو نفس المصير !

معه أمضى بغير الشمس التى أحس بها ،
بغير الحياة التى لدى ،
معه أمضى دون أن أجهل ...

فى النهار الحزين ، بقلبي الأشد حزناً من النهار
فى النهار الكئيب ، الكئيب كُكل النهارات
فى النهار الأشد كآبة

13 مايو 1928

تَكْتُمَات

أريد أن أرتب حياتي ، أن أضع رفوفاً للإدارة
والفعل ،

أريد ذلك الآن ، كما أردت دائماً ، بالنتيجة إياها ،
إذن ، ما أفضل امتلاك هذا الهدف الواضح ،
واثق الإرادة من فعل شيء ما ، فى تمام الوضوح !

سأَ لَمْ حَقَائِبِي مِنْ أَجْلِ اللانهائِي ،
سأَرتب أَلبارودي دى كامپوس جيداً .
وأواصل كينونتى غداً تماماً كما قبل أمس
— ما قبل أمس الذى هو كل الأيام ...

أبتسم لمعرفة المسبقة بالاشئ الذى سأكونه .

أبتسم على الأقل ؛ فالابتسام هو دائماً شئ ما .
هكذا يُصنَع الأدب ...

أيُّها الإله المقدس ، هكذا تصنع حتى الحياة ذاتها .

الآخرون هم روما نطيقيون أيضاً ،
الآخرون أيضاً لا ينجزون شيئاً ، أغنياء أم فقراء
الآخرون أيضاً .. يُمضون الحياة فى تأمل
الحقائب

التي عليهم أن يكموها .
الآخرون أيضاً ينامون بجانب أوراق تصف
مكتوبة ،
الآخرون هم أيضاً أنا .

أيُّها البائعة المتجولة ، يامن تنادين
على بضاعتك بغناء شبيه بنشيد لاشعورى ،
أيُّها العجيلة المُسنَّة لساعة الاقتصاد السياسي ،
أيُّها الأم الراهنة والمستقبلية
للميتين سلخاً فى المستعمرات ،
صوتك يصلُّنى مثل نداءٍ مُوجَّه إلى اللامكان ،

مثل سكون الحياة ...

أَنْقُلُ النَّظْرَ مِنَ الْأوراقِ الَّتِي أَنْوَى تَرْتِيبَهَا
إِلَى النَّاظِذَةِ الَّتِي لَمْ أَرَ مِنْ خِلَالِهَا الْبَائِعَةَ
الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا أَصَخْتُ السَّمْعَ ،
بَيْنَمَا ابْتَسَامَتِي الَّتِي مازالت مُرْتَسِمَةً
تَتَضَمَّنُ نَقْدًا مِيتَافِيزِقِيًّا ...

أَمَامَ طَاوِلَةِ شَغْلٍ مُرْتَبَةٍ
تَخَلَّيْتُ عَنِ الْإِيْمَانِ بِجَمِيعِ الْأَلْهَةِ ،
أَبْصَرْتُ وَجْهًا لَوْجَهُ كَافَّةُ الْمَصَائِرِ
وَأَنَا أَتَسَلَّى بِالْإِصْغَاءِ إِلَى مُنَادٍ يَمُرُّ
وَتَعَبَى قَارِبٍ عَتِيقٍ يَتَعَفَّنُ
فِي الشَّاطِئِ الْقَاخِلِ .

وبهذه الصورة ، صورة أيُّ شاعر آخر
أَغَادِرُ الطَّاوِلَةَ وَالْقَصِيدَةَ ... مثل إله ،
لَمْ أُرْتَبِّ لَاهَذَا الشَّيْءِ وَلَا ذَاكَ .

15 مايو 1929

شاسعة هي الصحارى

شاسعة هي الصحارى ، صحراء هو كل شيء
لا بسبب أطنان من الأحجار واللبنة العالية
يظل الحضيض مقنعا ، مثل هذا
الحضيض الذى هو كل شيء .

هائلة هي الصحارى ، قاحلة هي الأرواح وكبيرة ،
قاحلة إذ ما من أحد يجتازها سواها -
وكبيرة إذ من هناك يظهر كل شيء ،
وكل شيء قد مات .

هائلة هي الصحارى ، ياروحى
هائلة هي الصحارى

لم أحصل على تذكرة الدخول إلى الحياة ،
أخطأت بوابة الإحساس .

لم تُوجد قَطُّ رغبة ولا فرصة لم أهدرها
لم يبق لى اليوم ، (بانتظار السفر) ، مع
الحقيبة مفتوحة بانتظار ترتيبها المؤجل ،
جالساً على المقعد صحبة قمصان غير لائقة ،
لم يبق لى اليوم (بمعزل عما يُسببه
لى جلوسى هكذا من ضيق)
سوى أن أعرف هذا :

كبيرة هى الصحارى ، كل شئ صحراء ،
كبيرة هى الحياة ، ولا قيمة بثباتاً لأنْ توجد الحياة .
سأرتب الحقيبة ، بعينى سأرتبها على نحو
أفضل :

التفكير فى ترتيبها خَيْرٌ من ترتيبها بيديَّ
المصطنعتين

(أقول ، وأؤمن جيداً بما أقول)
أشعل السيجارة كى أوْجل السفر ،
كى أوْجل جميع الأسفار ،

كى أَوْجَل الكون بتمامه

عُدْ غَدًا إِلَى أَيُّهَا الْوَاقِع

أَيُّهَا النَّاسُ ، حَسْبُكُمْ هَذَا الْيَوْمَ .

أَيُّهَا الْحَاضِرُ الْمَطْلُوقُ ! أَعْرِفْ ، هُنَاكَ يَوْمَ آخِرِ

أَلَّا أَكُونُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَكُونُ هَكَذَا !

فَلتَشْتَرُوا شَوْكُولَاتَاتٍ لِلطِّفْلِ

الَّذِي كُنْتُ خَطَاً

اسْحَبُوا الْأَفْتَةَ ، لِأَنَّ اللَّانْهَائِيَّ

غَدًا سَيَجِيءُ ،

وَلَكِنْ يَتَحَتَّمُ أَنْ أَلْمَّ الْحَقِيقَةَ ،

أَنْ أَلْمَّ بِالْقُوَّةِ الْحَقِيقَةِ ،

الْحَقِيقَةِ .

لَا أَسْتَطِيعُ حَمْلَ الْقُمْصَانِ فِي الْخِيَالِ

وَالْحَقِيقَةِ فِي الْعَقْلِ

أَجَلْ ، لَقَدْ أَمْضَيْتُ حَيَاتِي كُلَّهَا بِدُونِ إِعْدَادِ

الْحَقِيقَةِ

أَمْضِيَّتُهَا جَالِساً عَلَى طَرَفِ
كُومَةِ الْقَمِصَانِ
أَجْتَرُّ الْمَصِيرَ ، كَثُورٌ لَمْ يَصِلْ بَعْدَ إِلَى هَاطِسِ

عَلَى أَنْ أَلُمَّ حَقِيبَةَ الْوُجُودِ
عَلَى أَنْ أُوجِدَ لَأَمَّا حَقَائِبِي
رَمَادَ السَّيْجَارَةِ يَسْقُطُ فَوْقَ قَمِيصِ
كُومَةِ الْقَصِمَانِ .
أَنْظُرُ حَوَالِيَّ وَأَتَأَكَّدُ مِنْ اسْتِغْرَاقِي فِي النَّوْمِ
أَعْرِفُ فَقَطْ أَنَّ عَلَى أَنْ أُهَيِّئَ الْحَقِيبَةَ ،
وَأَنْ الصَّحَارَى شَاسِعَةٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ صَحْرَاءُ
وَأَنْ هُنَاكَ ...

فَجَاءَ أَنْهَضُ ، كُلُّ الْقِيَاصَةِ بِدَاخِلِي يَنْهَضُونَ .
سَوْفَ أُهَيِّئُ الْحَقِيبَةَ ، عَلَى نَحْوِ نَهَائِي
هَاهُ ، لَقَدْ رَتَّبْتُهَا وَأَحْكَمْتُ إِقْفَالَهَا .
عَلَى أَنْ أَرَى كَيْفَ سَيَمْضُونَ بِهَا مِنْ هُنَا .

كبيرةٌ هي الصحارى ، كل شئ صحراء ،
عدا ما جاء خطأ أو سهواً بالطبع .
ما أبأس الروح الإنسانية لا واحات أمامها
سوى فى الصحراء المواجهة
سيكون من الأجدى أن أَلْمُ الحقيقية

4 مايو 1930

فرناندو پيسوا
ثانياً : مختارات شعرية I
ترجمة : المهدي أخريف

(تقديم)

تعود صلتى ببيسوا إلى بداية الثمانينات حينما قرأت « نُتْقاً » من شعره فى إحدى المجالات الأدبية الإسبانية ، مترجمة عن البرتغالية . كنت قد سمعت عنه أو مررتُ بإشارات تخص « حالته » النادرة .. لا أتذكر . وحينما قرأت « نشيد الظفر » فى ترجمة إسبانية أخرى ألهمتُ إحساسى نكهتها المتميزة ضمن أشعار المستقبلين . ومنذ ذلك اللقاء بدأت « حالة » بيسوا تغزوني بالتدريج مع اتساع اطلاعى على أشعاره وأشعار أنداده الذين ابتكرهم بضرب من اللعب فإذا هم يتحولون إلى « شعراء حقيقيين » لكل واحد منهم طريقه المستقل داخل ذاته هو ، موصولين به ، منفصلين عنه فى آن ، عبر لعبة تناوب تمثيلية باهرة تحول هو نفسه فيها إلى مجرد اسم من جملة أسماء ، شاعر ضمن شعراء خرجوا من رَحْم تخیلية واحدة ، تعبيراً عن تعدد دَوَاتى شعري لا مثيل له فى تاريخ الشعر الإنسانى .

لقد أنارَ طريقى عكوفى على قراءة رسائله وبعض كتاباته النثرية التى نَشَرَ كَمَا هائلاً عنها باسم عشرات الأقنعة والأسماء المستعارة . كَمَا أَنَّ اُطْلَاعى على بعض الدراسات الأساسية حول « ظاهرة بيسوا » وآثاره الأدبية - خاصة دراسة أوكتاڤيو باث المستبصرة التى تنصّر هذه المختارات - قد أتاح لى فهماً أفضل لإنتاجه الشعري .

وهكذا وجدت نفسي أنتقل تلقائياً من الافتتان
والإنصات إلى حالة من « التماهى » مع عوالم الشعر
المقروءة تمثلت فى تجربة الترجمة التى انخرطت فيها
بشغف منذ ثلاث سنوات ، والتى انصبّت حول نصوص
متنوعة للشاعر البرتغالى وأنداده مع عناية خاصة
بألبارودى كامپوس .

تجربة مضنية ممتعة أثمرت بعض النجاح ، كما
أسفرت عن إخفاقات عديدة ، لكنها غَمَرَتْ قَلْبِي
الشعرى الخاص بفيض من الكشوف والأسئلة . لقد
سعدتُ بالإقامة فى مناطق وعرة من الشعر الجذرى ،
ومن شعر الشعر ، الشعر الصدى ، الشعر الخواء ، حيث
الجراح السريّة عارية ، حيث الصور ، الهذيانات ،
المونولوجات ، الأصوات الخانية العاتية ؛ كلها تشظّيات
حيّة لكنونة متفرّدة متعددة متمردة على شرطها
الوجودى تعيش الوهم واقعاً والواقع وهماً .

كان طموحى أن أهَيِّ للنشر مختارات موسّعة
متكاملة لأشعار بيسوا وأنداده ، لكنّ بروزَ صعوبات
غير متوقّعة أملّ تذليلها مستقبلاً ، أجبرنى على الاكتفاء
بنشر هذه المختارات الخاصة بألبارودى كامپوس ،
وتضم ثلاث قصائد ذات تمثيل عالٍ لعالم هذا النديد
الأكثر جسارة وغزارة وتعقيداً من كل الأنداد .

وإنّنى لَمَدِينٌ للصديق د . محمد برادة بالعديد من

التصويبات والتنقيحات التي أدخلت على هذه الترجمة ؛
وذلك خلال المراجعة المَدَقَّة التي قام بها للنصوص
الشعرية وللدراسة ، والتي عملنا فيها معاً على
« معالجة » أبرز الاختلافات الموجودة بين النص
الفرنسي - الأدق في جوانب معينة - والنص الإسباني
معالجة أفادت النص العربي وقومته .

كما أننى مدينٌ للصديق الشاعر محمد الأشعري
بما أمدنى به من اقتراحات نيرة ومن تحفيز ومؤازرة
هما من صميم « تواطئنا الشعري المشترك » .

ولا يفوتنى أخيراً أن أعبر عن امتناني للأصدقاء :
بيدرو فيلاسكيـز دُورو ، وإدمون عمران المـليـح
وفرانسيـسكو طاركـيني والشاعر محمود درويش
لتشجيعهم ومساعدتهم .

المهدى أخريف

المجهول من لدن ذاته

أوكتافيو باث

ليس للشعراء بيوغرافيات ، أشعارهم هي بيوغرافياتهم ، ويسوا الذى كان دائم الارتياب فى واقعية هذا العالم سوف يوافق ، دُون تردّد ، على المضى إلى أشعاره مباشرة ، متجاهلا حوادث ومصادفات وجوده الأرضى . لا يُوجد فى حياته شئ غير متوقّع ، لاشئ ، باستثناء أشعاره . لا أعتقد أن « حالته » ينبغى أن تخضع لهذه المفردة الثقيلة « حالة » . سأفسّر لكم : على ضوء أشعاره ، أرى أن هذه « الحالة » تنتفى تماما . وماتبقى من السرّ مكتوب فى اسمه : لأن Pessoa تعنى « شخص » فى البرتغالية ، وقد تحدّرت من لفظة Persona قناع الممثلين الرومانيين . إنّه ، إذن ، قناع ، شخصية خيالية ، لا أحد : بالإمكان اختزال حياة بيسوا فى العبور بين لا واقعية حياته اليومية وواقعية تخيلاتهِ . هذه التخيّلات تتمثّل فى هؤلاء الشعراء : ألبَرطو كاييرو ، ألبَارودى كامپوس ، ريكاردو ريبس . وفوق كل شئ فرناندو بيسوا نفسه . وهكذا فإنّ التذكير بالوقائع البارزة لحياته ليس عديم الجدوى ، شريطة أن نعلم أنّ الأمر يتعلق فحسب بآثار ظلّ ما . بيسوا الحقيقى هو شخص آخر .

فى لشبونة وُلد عام 1888 . فَقَد أباه وهو صغير ، فتزوَّجت أمّه من جديد ، وانتقلت سنة 1896 مع أبنائها إلى دوربان بإفريقيا الجنوبية ؛ حيث أرسل زوجها

الثانى إلى هناك كقنصل للبرتغال . وهناك تلقى بيسوا
تربية إنجليزية . عاد إلى لشبونة عام 1905 وقد أنهى
دراسته الثانوية وهو على وشك الالتحاق بجامعة الكابو .
شاعر مزدوج اللغة . سوف يغدو التأثير الساكسونى
مكوناً ثابتاً فى فكره وكتابته . فى عام 1907 يترك كلية
الآداب فى لشبونة وينشئ مطبعة صغيرة . إن لفظة
« فشل » سوف تتكرر باستمرار فى حياته . اشتغل فيما
بعد كمحرر متجول للمراسلات التجارية بالإنجليزية
والفرنسية . شغل متواضع سيمنحه القوت طيلة حياته
تقريباً . أكيدٌ أن أبواب الجامعة قد فُتحت أمامه بحذر
ذات مرّة . لكنه بكبرياء الخجلين رفض العرض . لقد
كتبتُ « بحذر وكبرياء » ، ولربما كان ينبغى أن أقول :
بفتور وواقعية : عام 1932 يتقدّم بطلب الحصول على
منصب موثق فى إحدى المكتبات فيرفض طلبه . لكن ما
من تمرّد فى حياته : وحده التواضع الشبيه بالأنفة .

منذ عودته من جنوب إفريقيا لم يغادر لشبونة قط .
سوف يعيش فى البداية فى دار عتيقة مع خالة عانس
وجدة مجنونة . ثم مع خالة أخرى بعد ذلك ، ثم
سيمضى فترة مع أمّه وقد ترمّلت من جديد . وماتبقى
سيعيشه فى منازل مشبوهة . يرى الأصدقاء فى المقهى
وفى الشارع . شريب متّوحد فى حانات الحى القديم .
تفاصيل أخرى ؟ .. عام 1916 خطط للعمل كمنجم . وفى

عام 1920 سوف يعرف الحب أو سوف يظن أنه أحب
مستخدمة تجارية : لم تَدُم العلاقة طويلاً : « إنه قَدَرى »
يقول فى رسالة القطيعة « إنها تنتمى إلى شريعة أخرى
لا ترتاب أنت فى وجودها » . لا يُعرف شئ عن تجارب
عاطفية أخرى له . ثمة تيار لوطية معذبة يسرى عبْرَ
قصيدتيه « نشيد بحرى » و « تحية إلى ویتمان » ، وهما
العملان الكبيران اللذان يحملان على التفكير فى
غارسيا لوركا الذى سيكتب ، بعد خمس عشرة سنة
« شاعر فى نيويورك » . غير أن ألبارودى كامپوس ،
محترف الاستفزاز ، ليس كُلُّ پیسوا . ثمة شعراء
آخرون فى پیسوا . ذلك العفيف الذى أهواؤه كلها
محض تخيُّلات . أو بالأحرى : من عيبه الأكبر هو
التخيُّل ؛ لذلك فهو لا يتململ من مقعده . وهناك پیسوا
آخر لا ينتمى إلى الحياة اليومية ولا إلى الأدب ؛ هو
التلميذ ، والمبتدئ . لا شئ حول هذا الـ پیسوا يمكن أو
ينبغى أن يُقال : كشف ؟ خداع ؟ تزييف ذاتى ؟ ربما كُلُّ
هذا مجتمعا . إن پیسوا ، مثل معلِّم إحدى سونيتاته
الهرطقية ، يعلمُ ويصُمّت .

أنكلومان ⁽¹⁾ . حسير النظر . مهذب . مِيَال إلى
الهروب . داکن الثياب ، كتوم وعائلى . كَوْنى يبشر
بالقومية . بحأثة جليل فى أمور تافهة . هَازِلٌ كبير لا
يبتسم ألبتة . ويجمّد فينا الدم . مبتكر شعراء آخرين

ومدمّر ذاته . خالقُ مفارقات كالماء صافية ومدوخة
كالماء : أن تتنكر هو أن تتعرّف .. وهو الغامض الذى لا
يزرع الغموض . غامض كقمر منتصف النهار . صموت
هو شبح منتصف النهار البرتغالى . من هو بيسوا ؟

بيير أوركاد الذى عرفه فى أخريات حياته يكتب
عنه « لم أجزؤ أبداً حين ودّعته على أن أستدير بوجهى .
كانت بى خشية من أن أراه وقد تلاشى وذاب فى
الهواء » . أو نسيتُ شيئاً ؟ لقد توفى عام 1935 فى
لشبونة من تشمع فى الكبد . تاركاً كراستين من
القصائد بالإنجليزية ، وكتاباً نحيلاً من الأشعار
البرتغالية ، وصندوقاً مليئاً بالمخطوطات .

ينبغى أن نصف حياته الخارجية بكونها سائرة فى
الظل الفاتر . أدب الهوامش . منطقة مضاءة سيئاً حيث
تتحرك - متواطئة أم مجنونة ؟ - الظلال الحائرة
لألبارودى كامپوس ، ريكاردو ريبس وفرناندو بيسوا
الذين تضيئهم للحظة معينة الأنوار المفاجئة للفضيحة
والجدل . ثم لا شئ بعدئذ غير العتمة من جديد . إنه
المجهول - تقريباً المشهور - تقريباً . لا أحد يجهل اسم
فرناندو بيسوا ، لكن ما أقل من يعلم مَنْ هو ، وماذا يعمل .
إنّه لَدُو صيت برتغالى إسبانى وإسبانى أمريكى :
« لا سمكم رنة معروفة لدى . سيادتكم صحفى أم
مخرج سينمائى ؟ ! » . لا أتخيّل بيسوا حزيناً لهذا

التلبيس . ربّما يكون شكّل درساً له بالأحرى . لقد عرف دائماً مواسم من الفوران الأدبي موصولة بمواسم من الخمود . وإذا كانت لحظات ظهوره « الأدبي » معزولة ومتشّنجة ، عبارة عن ضربات بالكفّ لإرعاب القطط الأربعة للأدب الرسمي ، فإنّ عمله المتوحدّ تميّز بالثبات والاستمرارية . ولسوف يمضي ككُلّ الكسالى الكبار حياته فى وضع جرد بأسماء كتب لن يكتبها أبداً . وعلى غرار ما يحدث للخامدين أيضاً إذا ما كانوا مشبوبي العاطفة والخيال ، ولكى لا ينفجر ، لكى لا يُصاب بالجنون ، وخفية تقريبا ، وعلى هامش مشاريعه الكبرى ، يكتب كلّ يوم قصيدة ، مقالة ، خاطرة تأملية . تشتيت وضغط . جذبٌ وشد .. وكل شئ موسوم بالعلامة نفسها : بدافع الحاجة كتبت تلك النصوص . وهذه القدريّة هى التى تميّز كاتباً حقيقياً عن آخر يمتلك شيئاً اسمه ببساطة : العبقرية .

فى الإنجليزىة سوف يكتب أشعاره الأولى بين 1905 و 1908 . فى تلك الفترة كان يقرأ ملتون ، شلى ، كيتس ، إدغار بو . فيما بعد سيكتشف بودلير ، ويخالط عدداً من الشعراء البرتغاليين الثانويين . وبطريقة لا شعورية سوف يعود إلى لُغته الوطنىة ، وإن لم يتخلّ قطُّ عن الكتابة بالإنجليزىة . وحتى سنة 1912 كانت كُفّة التائر بالقصيدة الرمزية والـ Saudasismo ⁽²⁾ هى

الراجعة . فى تلك السنة نُشر محاولاته الأولى فى مجلة AAgua لسان حال « النهضة البرتغالية » . وتمثَّلت مساهماته فى سلسلة من المقالات حول الشعر البرتغالى . وإنَّها لظاهرة ييسويَّة حقاً أن يبدأ بالنقد الأدبى حياته ككاتب . ليس أقل دلالة من ذلك عنوان أحد نصوصه Na Flareta de Al - beamento . إن موضوعه الانخراط والبحث عن الذات فى الغابة المسحورة أو فى المدينة المجردة لَهى أكبر من مجرد موضوع . إنَّها جوهر عمله . وتلك كانت سنوات بحث لديه ، ولن يتأخر فى لبتداع ما ابتدعه .

سنة 1913 يتعرف على شابَّين سوف يغدوان رفيقيه الأكيدين فى مغامرته المستقبلية القصيرة الأمد : الرسام ألامادا نيغريرا والشاعر ماريودى ساكارنيرو وصداقات أخرى : أرماندو كورتيس رودريغيز ، لويس دى مونطالبور ، وخصوصى ياشيكو الذين كانوا ما يزالون سجناء القصيدة « المنحطَّة » ، والذين سيحاولون بغرور تجديد التيار الرَّمزى . ييسوا سيبتكر الـ El Pau-lismo . وبسرعة ومن خلال ساكارنيرو المقيم فى باريس ، والذى جمعته به مراسلات محمومة سيأتى الإعلان عن التمرُّب الحداثى الكبير : مرينيتى . إن خصوبة المستقبلية لا يمكن أن تنكر ولو أنَّ تألُّقها قد خبا فيما بعد بسبب تنازلات مؤسستها .

صدى الحركة كان لحظياً ، ربما لأنها كانت تمرُّداً أكثر من كونها ثورة . كانت الشرارة الأولى ، الشرارة التي أطلقت البارودة ، ثم سرت النار من طرف إلى آخر ، من موسكو إلى لشبونة . ثلاثة شعراء كبار : أبوللينر ، ماياكوفسكى وبيسوا . السنة الموالية : أى 1914 ستكون بالنسبة للشاعر البرتغالى سنة الاكتشاف أو بعبارة أدق : سنة الولادة : ظهور ألبرتو كاييرو وتلامذته . المستقبلى ألبارودى كامپوس والنيوكلاسيكى ريكاردو ريبس .

إن هجوم « الأنداد »⁽³⁾ هو حدث داخلى بمثابة تحضير للحدث الخارجى العلنى : انفجار « أورفى » . إذ فى أبريل من سنة 1915 سيظهر العدد الأول من المجلة المعنونة باسم « أورفى » ؛ فى يوليو يظهر العدد الثانى والأخير . أقليل هذا ؟ بل هو بالأحرى زائد على اللزوم . فالمجموعة لم تكن متجانسة ، والاسم نفسه يدل على أثر الرمزية .

لقد لاحظ النقاد البرتغاليون عند كارنيرو ، رغم عنفيته ، الإصرار « الانحطاطى » . أما لدى بيسوا فالانقسام خالص : ألبارودى كامپوس مستقبلى خالص . أما فرناندو بيسوا فيظل باستمرار شاعراً ياولياً .

الجمهور استقبل المجلة بالسخط ، نصوص
ساكرنيرو وكامپوس أثارت هياج الصحفيين المؤلف .
بعد الشتائم جاءت السخرية ثم الصمت .

لقد اكتملت الحلقة إذن . ماذا تبقى منها ؟ فى العدد
الأول ظهرت قصيدة « نشيد الظفر » . فى العدد الثانى :
قصيدة « نشيد بحرى » تمتلك الأولى رغم
كلماتها المكرورة وإسما لاتها ، النغمة المباشرة لقصيدة
طبكيرية ، بما تنطوى عليه من إحساس بضالة وزن
الإنسان فى مواجهة الثقل المتوحش للحياة الاجتماعية .
أما القصيدة الثانية فهى أكبر من مجرد ألعاب نار
اصطناعية للشعر المستقبلى ، إنها روح عظيمة تهذى
بصوت عالٍ وصرختها ليست حيوانية بتاتاً ولا فوق
إنسانية والشاعر ليس « إلهاً صغيراً » ، بل هو كائن
سقوط . والقصيدتان معاً تذكّران بويتمان أكثر من
مرينيتى ، بويتمان منزو ونكّار . ليس هذا كل شئ :
فالتناقض هو جوهر النسق ، وهو شكل تماسكه
الحيوى : فى نفس الوقت ، وقت كتابة النشيدين سيكتب
أيضاً : « راعى القطيع » : الكتاب اليتيم لألبرطو كاييرو ،
القصائد الملتئنة لريكاردو ريبس و Epithalamium y Antinous
« وهما - كما يقول پيسوا - قصيدتان من شعرى
الإنجليزى ، جدّ مخالفتين للمألف ، ولذلك لا يمكن
نشرهما » .

فجأة توقفت مغامرة مجلة «أورفى» ، بعضُ محرريها فضّل الإنسحاب بسبب هجمات الصحفيين ، وبفعل الذعر ، ربما ، من مغالاة ألبارودى كامبوس .. ساكارنيرو المتقلّب دائماً سيعود إلى باريس ، لينتحر بعد عام من ذلك ... محاولة جديدة تظهر للوجود عام 1917 : العدد الوحيد من مجلة المستقبلية البرتغالية بإدارة ألامادا نيغريرا ، والذي تضمّن الـ Ultimatum لألبارودى كامبوس . واليوم من العسير قراءة تلك التشهيرات بعناية ، رغم أن ثمة من لا يزال يحفظ لُوذعيّتها المفيدة :

« من دانونزيو ، إلى دون جوان ، إلى برنارد شو ذلك الورم البارد ، إلى كبلنج الإمبريالى المهتم بسقط المتاع » .

قصة مجلة أورفى تنتهى إذا بتفرّق المجموعة وبموت واحد من مُرشديها . وينبغى انتظار خمس عشرة سنة وجيلاً آخر جديداً . ليس فى هذا الأمر ما يُدهش . المدهش هو كون المجوعة ظهرت سابقة زمنها ومجتمعها . تُرى ما الذى كان يُكتبُ فى إسبانيا وفى أمريكا اللاتينية خلال تلك السنوات ؟

الفترة الموالية كانت فترة خُمول نسبى نشر فيها
پيسوا كُرأستى شعر بالإنجليزية - 35 Sonnets y Auti

nous علّقتُ عليهما « التايمز » اللندنية و « كلاسكو هيرالد » بكثير من المجاملة وقليل من الحماس . فى سنة 1922 تظهر مساهمة پيسوا الأولى فى مُعاصِر ، مجلة أدبية جديدة تحت عنوان : « رجل البنك الفوضوى » .. وإلى تلك السنوات تنتمى أهواؤه السياسية : مدائح للقومية وللنظام الاستبدادى . إنَّ الواقع دائماً يخيب ظنَّه ويُجبره على التكذيب : سوف يُضطرُّ مرَّتين إلى مواجهة الرأى العام من جهة والكنيسة والأخلاق السائدة من جهة أخرى . فى المرة الأولى من أجل الدِّفاع عن أنطونيو بوطو مؤلف : قصائد حب أورانوسية . فى المرة الثانية ضد « رابطة العمل الطلابى » التى كانت تشدد الخناق على التفكير الحرِّ بدعوى القضاء على ما يسمى بـ « أدب سدوم » . إنَّ القيصر أخلاقى دائماً . ألبارودى كامپوس سوف يوزع ورقة تحت عنوان : تنبيه من أجل الأخلاق . فرناندو پيسوا سينشر بياناً ؛ أمَّا المُعتدِّى عليه راوول ليال فيكتب منشوراً بعنوان : « درس أخلاقى لطلبة لشبونة ولا رتيابية الكنيسة الكاثوليكية » . لقد انتقل مركز الثقل من الفن الحرِّ إلى حرية الفن . فالطبيعة المحافظة لمجتمعنا تجعل المبدع محكوماً عليه بالهرطقة والاعتراض . ولا شك أن الفنان اللامع لا يسعى إلى تجنب هذه المخاطرة الأخلاقية .

٢٠٤

فى عام 1924 صدرت Atena : مجلةٌ جديدة استمرَّتْ لخمسة أعداد فقط ، الواقع أن Atena هى جسر رابط بين أورفى وبين شباب مجلة حضور (1927) . كل جيل سيختار ، على ما يبدو ، تقليده الخاص . لقد تمَّ اكتشاف بيسوا من طرف المجموعة الجديدة : فى النهاية عثر على مخاطبين ، متأخراً جداً كما هى العادة . بعد ذلك بزمان قصير وقبل سنة واحدة على وفاته ، يقع الحدث المضحك ، حَدَثُ المسابقة الشعرية المنظمة من طرف لجنة الإشهار الوطنى . موضوع المسابقة حُدِّد بوضوح : التغنى بأمجاد الوطن والإمبراطورية . أرسل بيسوا « رسالة » وهى عبارة عن قصائد تنطوى على تأويل « تنجيمى » ورمزى للتاريخ البرتغالى . ولا شك أنَّها تركتُ الموظَّفين المكلفين بالمسابقة فى غاية الحيرة . مَنَحوه جائزة من « الدرجة الثانية » . فكان ذلك آخر اختبار أدبى له .

كل شئ يبدأ فى الثامن من مارس من سنة 1914 . لكن من الأفضل نقل فقرة من رسالة لبيسوا إلى أحد شبَّان مجلة حضور اسمه أدولفو كاسايس مونثيرو : « حوالى سنة 1912 راودتنى فكرة كتابة قصائد ذات صبغة وثنية . لَفَّقْتُ بعض الأبيات على نمط الشعر الحر (ليس وفق أسلوب ألبَارودى كامپوس) . تخليتُ عن المحاولة فيما بعد . ثم فى غمرة ما يشبه

الظلال الغامضة تَبَيَّنَتْ صورة مُبْهَمَةٌ للشخص الذى كنتُهُ فى تلك الأثناء (كان ريكاردو ريبس قَدْ وُلِدَ ، من غير أن أعلم) . بَعْدَ عام ونصف أو عامين عَن لى أَن أَمَازَح « ساكارنيرو » باختراع شاعر رعوي ، معقِّد بعض الشئ وأبرزه للوجود كمخلوق حقيقى ، لا أتذكر الآن على أيِّ نحو . أمضيتُ بضعة أيَّام ، مُحَاوِلًا ، من دون أن أحقِّق شيئًا . ذات يوم عندما كنتُ قد تَخَلَّيتُ بصفة نهائية عن المشروع - وكان ذلك يوم 8 مارس 1914 - دَنَوْتُ من خزانة عالية وتناولتُ حزمة أوراق . شرعت فى الكتابة واقفًا كما أفعل دائما قدر مستطاعى . وهكذا كتبتُ ثلاثين قصيدة ونيفًا بتتابع ودون توقُّف ، فى لحظة انخفاف لا أستطيع تحديد طبيعتها . لقد كان يومَ الظَّفَر فى حياتى ، ولن يتكرر عندى مثله قط . انطلقت من عنوان محدَّد : راعى القطيع . أمَّا مَا تَلَّاهُ فقد كان انكشافًا لأحد ما فى داخلى أطلقتُ عليه مباشرة هذا الاسم ألبرطو كاييرو . لتغفر لى لا معقولية هذه الجملة : فى ظَهَر مُعَلِّمى : هذا هو الإحساس الفورى الذى خامبرنى . وهكذا ما إنْ أنهيتُ كتابة الثلاثين قصيدة حتَّى كتبتُ فى أوراق أخرى قصيدة مطر زائع ، كتبتها كاملة وعلى الفور منسوبة لفرناندو بيسوا ... فكانت عودة من فرناندو بيسوا - ألبرطو كاييرو إلى فرناندو بيسوا الصَّرْف . أو بالأحرى : كانت رَدُّ فعلٍ من فرناندو

ييسوا ضدَّ انتفاء وجوده من خلال ألبرطو كاييرو ...
 بظهور كاييرو سَعِيَتْ فيما بعد بطريقة غريزية
 ولاواعية إلى اكتشاف تلامذة له . وهكذا انتزعت من
 وثيَّته الزائفة ريكاردو ريبس المستتر الذى اكتشفتُ
 اسمه الذى كنتُ أراه به فى تلك اللحظة فأُصقته به .
 بغتة ومن اشتقاق معارض لا تُجاه ريكاردو ريبس انبثق
 باندفاع مخلوق آخر من آلية الكتابة بلا توقُّف ولا
 تعديلات تدفَّق نشيد بحري لألبارودى كامپوس : نشيد
 موسوم باسمه المنسوب إلى شخص مُسمًى . لا أدرى
 ما الذى يمكن أن يُضاف إلى هذا الاعتراف .

يُقَدِّم لنا علم النفس تفسيرات شتَّى « لهذه الظاهرة » .
 ييسوا نفسه الذى اهتم بحالته يطرح علينا تفسيرين أو
 ثلاثة . أحدها ذو طبيعة مَرَضِيَّة فَظَّة : « يُحتمل أن أَكُونُ
 هستيريا نوريسطينيا ... وهذا ما يفسرُ ، جيِّداً أم سيئاً ،
 الأصل العضوى لأندادى » عَلَى أن أقول « أقلَّ » بدلاً من
 القول « جيِّداً أم سيئاً » . عَيْبُ هذه الافتراضات لا يكمن
 فى كونها باطلة : إنها غير مكتملة . المختل عَصَبِيًّا هو
 شخص ممسوس . لكن أنْعُدَّ المتحكِّم فى اختلالاته
 مريضاً ؟

يعانى المختل من ضغط وساوسه . أما المبدع
 فيتملَّكها ويحوِّلها : يحكى ييسوا كيف أنه مُنذ كان طفلاً
 وهو يعيش وسط شخوص متخيَّلين .

« لا أدري إن كانت الشخصوس هى العديمة الوجود
أم أننى أنا الذى لا وجود له . لا ينبغى أن نكون
دوغمائيين فى مثل هذه الحالات » .

أندادُ پيسوا مُحاطون بكتلة من أنصاف مخلوقات :
بارون الـ Teive ؛ جان سيول الصحفي الفرنسى
الهجاء ؛ برنارد سوارس شبح الشبح الأكبر فيسنطى
غيدس ؛ باشيكر ، النسخة الرديئة من كامپوس ..
ليسوا كتاباً كلهم : هناك م . ر . ر . غروس المشاركون
مكّل فى مسابقات الألغاز والكلمات المتقاطعة فى المجلات
الإنجليزية (نصف معصوم حسب پيسوا ...)
والكساندر سيرش وآخرون .. وهذا كله - فضلاً عن
عزلته وإدمانه الكحولى المتفطنّ وأمور أخرى عديدة -
يمنحنا أضواء حول مزاجه المتميز ، لكنه لا يفسّر لنا
أشعاره التى هى بحق الشئ الوحيد الذى يهمنى .

نفس الشئ يحدث مع فرضية « المنجم » التى
لا يستخدمها پيسوا الميال إلى التحليل زيادة على
اللزوم ، بما يكفى من انفتاح ، وإن كان لا يكفى عن
استحضارها .

· معلوم أن الأرواح التى ترشد أقلام الوسطاء ، حتى
وإن كانت أرواح يورويپيدس أو فكتور هيغو توحى
ببلادة أدبية مضلّة . ثم آخرون يجازفون بالقول إن

الأمر يتعلق بتزييف . الخطأ هنا ينطوي على فظاظة مضاعفة . فلا ييسوا كذاب ولا عمله خدعة . ثمة شيء ما على درجة فظيعة من الابتذال في العقلية الحديثة : الناس الذين يتساهلون مع كل أشكال الأكاذيب الشنيعة في الحياة الواقعية ، وكل .. الواقعيات .. القميئة لا يطبقون وجود الأسطورة : وتلك هي حقيقة عمل ييسوا : إنه أسطورة وتخيل . أن ننسى أن كاييرو ورييس وكامپوس مخلوقات شعرية معناها أننا ننسى أكثر من اللازم . وكما هو الشأن في كل إبداع فإن أولئك الشعراء قد ولدوا من اللعب . الفن ضرب من اللعب ، فضلاً عن أمور أخرى ، لكن لا يوجد فن بدون لعب .

إن صحة وجود الأنداد متوقفة على تماسكها الشعري ، وعلى احتمالياتها وبهذا المعنى فهي مخلوقات ضرورية . إذا لم يكن على ييسوا أن يكرس حياته كي يعيش مخلوقاته ويبدعها ؛ ما يحكيه الآن لا يتعلق بما إذا كانوا ضروريين لنا نحن أيضاً . فייيسوا قارئهم الأول ، لم يَرْتَبْ في واقعتهم . لقد توصل ربييس وكامپوس إلى قول ما لم يكن ليقوله هو . بمناقضتهم له أظهروه ، وبإظهارهم له أجبروه على الابتكار . نحن نكتب من أجل أن نكون من نحن أو من أجل ذلك الذي لسنا إياه ؛

وسواء فى هذه الحالة أو تلك فإننا عن ذواتنا نبحث .
وإذا حالفنا الحظ فى أن نعثر على ذواتنا - كعلامة على
الإبداع - نكتشف أننا عبارة عن مجهول . دائماً الآخر ،
دائماً هو ، غير مفصول ، غريب مع وجهك ووجهى ،
وأنت دائماً معى ودائماً وحيد .

إن الأنداد ليسوا بأقنعة أدبية : « مايكتبه فرناندو
بيسوا ينتمى إلى صنفين من الأعمال نستطيع
تسميتهما : heteronimos y ortonimos ⁽⁴⁾ . لا ينبغي
اعتبار الأنداد من قبيل الأعمال المجهولة المؤلف
أو المنتحلة ؛ لأنها ليست كذلك فى الحقيقة . العمل
المنتحل أو المستعار الاسم ينتمى للمؤلف بشخصه
الحقيقى إلا إذا وقَّعه باسم آخر . أما التَّديد فهو المؤلف
خارج شخصيته ... » . جيراردو نرفال هو الاسم
المستعار لـ جيرارد لافرونى . كاييرو هو شخص آخر فى
بيسوا : يستحيل أن نقع فى الخلط . حالة أنطونيو
ماشادو هى الأقرب إلينا . أبيل مارتين وخوان دى ما
يرينا ليسا كل أنطونيو ماشادو : إنهما قناعان : لكنهما
قناعان شفافان : لا يختلف أى نص لماشادو عن آخر لما
يرينا . وعلاوة على ذلك فماشادو ليس ممسوساً من
قبل تخيلاته ، فهى ليست مخلوقات مقيمة بداخله
تناقضه وتنفّيه .

وعلى العكس من ذلك ، فكاييرو ، ريبس وكامپوس

هم أبطال رواية لم يكتبها پیسوا أبداً « أنا شاعر
 دراماتيكي » یصرِّح پیسوا فی رسالة له إلى ج . غ
 سیمویس . ومع ذلك فعلاقة پیسوا بأنداده لا تتطابق مع
 تلك التي تجمع الكاتب المسرحی أو الروائی بشخصياته .
 إنَّه ليس مخترع شخوص - شعراء ، بل مبدع أعمال
 لشعراء . الفارق إذن رئيسی . كما یقول كسايس
 مونتيرو : « لقد ابتكر سیراً للأعمال ولم یبتكر أعمالاً
 للسیر » تلك الأعمال - بالإضافة إلى قصائد پیسوا
 المكتوبة فی مواجهتها ولأجلها وضدها فی نفس الآن -
 هی أثره الشعري . وهو نفسه سیتحول إلى مجرد عمل
 من جملة أعماله الشعرية ، من دون أن یملك حتی
 امتیاز أن یصیر ناقداً لتلك الزُمرَة من مخلوقاتهِ الندية
 أو المستعارة . فرييس وكامپیوس یعاملانه بنوع
 من التعجرف . بارون الـ Teive لَمَّا يُحييه . فیسنطی
 غیدس الوثائقی یشاکله كثيراً إلى حدِّ أنَّه عندما
 یصادفه فی حانه أحد الأحياء یشعر بقليل من الرأفة
 تُجاه ذاته . فهو الساحر والمسحور بسحره ، المسسوس
 كلية من طرف أشباحه حیث یشعر بنفسه أسيراً
 لنظراتها ، ربما تحتقره ، ربما تشفق علیه . إنَّ
 مخلوقاتنا تحکم علینا .

ألبرتو كاییر هو معلِّم . یشكل هذا التأكيد الحجر
 الأساس لكل أثره الأدبی . وبإمكانی أن أضيف : إن عمل

كايريرو هو التأكيد الوحيد الذى قَدَّمه پيسوا . كايريرو هو الشمس وحولها يدور ريبس وكامپوس وپيسوا نفسه . جميعهم ينطوون على ذرَّات من النفى واللاواقعية : ريبس يؤمن بالشكل . كامپوس بالإحساس . پيسوا بالرموز . أما كايريرو فلا يؤمن بشئ : إنه موجود فحسب . الشمس هى الحياة مترعة بذاتها . ليس للشمس نظر . كل إشعاعاتها هى نظرات متحوّلة إلى حرارة ونور ؛ وليس للشمس وعى بذاتها ، لأن التفكير والكينونة فعل واحد فى ذاته .

كايريرو هو نقيض پيسوا ، هو اللاپيسوا . وعلاوة على ذلك كل ما لا يستطيع أن يكونه أىُّ شاعر حديث : الإنسان المتصالح مع الطبيعة ، قبل المسيحية ، أجل ، ولكن قبل ظهور العمل وقبل التاريخ وقبل الوعى . يرفض كايريرو ، لأجل الفعل الصرّف للوجود ، ليس الإسْطيطيقا الرمزية لپيسوا فحسب ، بل كافّة الإسْطيطيقات ، كافّة القيم ، كافّة الأفكار . أوْلَمْ يتبقَّ شئ ؟ يبقى كل شئ منقى من أشباح وهَلَلِ الثقافة . إنّ العالم موجود لأنّ حواسى تقول لى ، ذلك . وتقول لى فى نفس الآن ، إننى أيضاً موجود . أجل . سأموت . وسوف يموت العالم . غير أنّ الموت أيضاً حياة . تأكيد كايريرو يُلغى الموت . إذ بإبطاله الوعى ، يُبطل العدم . وهو لا يجزم بأنّ كون كل شئ

موجود هنا معناه الإقرار بفكرة ما . يقول : الكل يوجد .
الكل موجود . وأكثر من ذلك يقول : إنه فحسب ما هو
موجود . وما تبقى محض أوهام . يتكفل كامبوس
بوضع النقطة فوق الحرف : « لم يكن معلّمى وثنياً ، كان
الوثنية بعينها » أمّا أنا فأقول : لقد كان فكرة ما عن
الوثنية ..

لم يتردد كاييرو حتى على المدارس ⁽⁵⁾ ، وحينما
بلغه أنهم يطلقون عليه لقب « شاعر المادة » أراد أن
يعرف ما هذا المذهب الذى نُسب إليه . عند سماعه
تفسير كامبوس لم يُخفِ اندهاسه : « إنها فكرة
قساوسة من غير دين . تقولون إنهم يقولون الفضاء
غير متناه ؟ أودُّ أن أسألكم فى أى فضاء شاهدوا ذلك ؟ »
وأمام ذهول تلميذه أكّد كاييرو أن الفضاء متناه : « ما لا
حدود له ليس له وجود ... » فردّ عليه الآخر : « وماذا
عن الأرقام ؟ بعد رقم 34 يأتى 35 ثم 36 وهكذا على
التوالى ... » ظلّ كاييرو ينظر إليه بشفقة : « لكنها مجرد
أرقام ! » ثم تابع قائلاً بطفولية عجيبة : « هل يوجد رقم
34 فى الواقع ؟ » . هناك طرفة أخرى : سألوه ذات مرة :
« أسعيد أنت مع نفسك ؟ » فأجاب : « لا .. أنا سعيد » .
كاييرو ليس فيلسوفاً : إنّه حكيم . المفكرون إنما يملكون
أفكاراً ، بالنسبة إلى الحكيم : العيش والتفكير فعلاً لا
ينفصالان ؛ لذلك يستحيل عرض أفكار سقراط على

لا وتسو . لم يَخْلَفَ الحكماء عقائد ، بل حَفَنَ من التعاليم والألغاز والقصائد . شاوَنَغَتْسَى أكثر أمانة وصدقاً من أفلاطون . فهو لا يدَّعى إبلاغنا فلسفة ما ، بل فقط يقصُّ علينا بضع حكايات . الفلسفة غير منفصلة عن الحكاية . هى الحكاية ذاتها . مذهب الفيلسوف يحثه على النقض ، بينما حياة الحكيم لا تقبل أى نقض أو دحض . مامن حكيم قال بإمكان تَعْلُم الحقيقة . مَا قَالَهُ كُلُّ الحكماء أو جُلُّهم ، هو أن الشئ الوحيد الذى يستحقُّ أن يعاش هو تجربة الحقيقة . نقطة الضعف فى كاييرو لا تمكن فى أفكاره (التى هى مصدر قوته) بل هى مُتَضَمِّنَةٌ فى لاواقعية التجربة التى تقول بالتجسيد .

آدم فى إحدى المزارع البرتغالية بدون امرأة ، بدون أطفال وبدون إله : بلا وعى ولا عمل ولا دين . إحساس من ضمن أحاسيس ، كينونة من بين كينونات شتى . إذا كان الحجر حجراً فإنَّ كاييرو هو كاييرو فى هذه اللحظة . أمَّا فيما بعد فكل واحد سيصير غير ما كانه أو يبقى مثلما كان . سيان هو أم مختلف : الكل سيان لأن الكل مختلف ، إن التسمية هى الكينونة . فاللفظة التى نسمى بها الحجر ليست الحجر ، لكنها تملك واقعية الحجر ذاتها . لا يقترح كاييرو تسميات للكائنات ؛ لذلك لا يقول قط ما إذا كان الحجر عقيقاً أم حصاة . وهل الشجرة شجرة صنوبر أم شجرة بلوط . كما أنَّه لا

يحاول تحقيق أيّ علائق مع الأشياء . إنَّ لفظة « كَأَنَّ »
لأَتَرْدُ ألبتة في معجمه . كُلُّ شَيْءٍ مغمور بواقعيته
الخاصة . وإذا كان كاييرو يتكلم فلأنَّ الإنسان حيوان
ناطق مثل العصفور الذى هو حيوان مجنح . ينطق
الإنسان تماماً مثلما يجرى النهر مثلما يهيم المطر .
الشاعر الفطرى ليس بحاجة إلى تسمية الأشياء ؛
كلماته أشجار ، غيوم ، عناكب وسحالي . لا تلك
العناكب التى أشاهدها ، بل تلك التى أتلَفُظُ بها . يُصابُ
كاييرو بالدهشة أمام فكرة كون الواقع يتعدَّرُ الإمساك
به : إنه هناك . فى مواجهتنا ، حَسْبُنَا لمسه ، حَسْبُنَا
النطق .

لن يكون عَسيراً أن نثبت لكاييرو أنَّ الواقع
ليس أبداً فى متناولنا ، وأنَّ علينا أن نسعى لتملُكُه (مع
ما فى ذلك أيضاً من مجازفة أن يتبخَّر فى أيدينا مع
فعل الإمساك به أو يتحوَّل إلى شَيْءٍ آخر : إلى فكرة ، أداة
إلخ) . إنَّ الشاعر الفطرى أسطورة ، لكنه أسطورة
تؤسس القصيدة . يعلم الشاعر الواقعى أنَّ الكلمات
والأشياء لا تتماثل ، ولذلك ومن أجل استعادة وحدة
مؤقته بين الإنسان والعالم ، يلجأ إلى تسمية الأشياء
بواسطة الصور والإيقاعات والرموز والمقارنات .
الكلمات ليست أشياء ؛ إنها الجسور التى نمدها بيننا
وبين الأشياء . أمَّا الشاعر فهو وعى الكلمات أى : أنه

نوسطالجيا واقعية ، واقع الأشياء . أكيد أن الكلمات قبل أن تصير أسماء كانت أشياء . كذلك كانت فى أسطورة الشاعر الفطرى قبل ظهور اللغة . إن الكلمات الغامضة لدى الشاعر الواقعى تستحضر فى طياتها النطق السابق على ظهور اللغة ، تستحضر ذلك التقابل الفردوسى المتوائم . النطق الفطرى الأول : الصمت الذى لا يقال فيه شئ ؛ لأن كل شئ قد قيل . كُلُّ شَيْءٍ يُنْقَالُ . من هذا الصمت الذى هو نطق بكر تتغذى لغة الشاعر . لقد كان ييسوا الشاعر الواقعى والإنسان المتشكك فى حاجة إلى خلق شاعر فطرى كى يُبرّر قصيدته هو .

إن ريبس وكامپوس وپيسوا يتلفظون بكلمات مئة ومؤرخة ، كلمات ضياع وتشتيت ، هى بمثابة هاجس أو نوسطالجيا الوحدة المفقودة . ونحن نسمعها من أعماق صمت تلك الوحدة . ليس من قبيل الصدفة أن يموت كاييرو شاباً . قبل أن يبدأ تلامذته فى إنتاج أعمالهم ، فهو الأساس الذى عليه يقومون ، وهو الصمت الذى يتغذون منه .

أكثر أنداد ييسوا طبيعية وبساطة هو أقلهم واقعية . وهو كذلك لأنه واقعى أكثر من اللازم . إن الإنسان ، الإنسان الحديث خاصة ، ليس مكوناً من كل

ما هو واقعى فحسب . ليس كائنات متلاحماً كالطبيعة أو الأشياء ؛ الوعى بالذات هو حقيقته المتهافئة . كاييرو هو التأكيد المطلق للوجود . ومن ثم تبدو لنا كلماته بمثابة حقائق من زمن آخر ، من ذلك الزمن الذى كان الكل فيه واحداً غير متجزئ والكل فيه نفس الكل . أما الحاضر فما أشد رهافته وزئبقيته : مانكاد نسميه حتى يتبخّر ! إن قناع السذاجة الذى يعرضه علينا كاييرو ليس هو الحكمة : أن نكون حكماء معناه أن نكفّ عن معرفة أننا لسنا سُدُجاً . پیسوا الذى كان يعرف ذلك كان الأقرب إلى الحكمة .

ألبارودى كامپوس هو الطرف الآخر . يعيش كاييرو فى الحاضر اللازمى للأطفال والحيوانات . بينما المستقبلى كامپوس يعيش فى اللحظة . بالنسبة للأول قريته هى مركز العالم . أما الآخر فهو كونى لا مركز له ، وهو منفى فى ذلك اللامكان الذى هو كل الأمكنة . ومع ذلك فهما يتشابهان : معاً يستخدمان الشعر الحر ، معاً ينتهكان اللغة البرتغالية ، معاً لا يتجنبان الركاكة ، ولا يؤمنان سوى بما تلمسه أيديهما ، معاً يزدريان الأفكار وخارج التاريخ يعيشان . كاييرو الشاعر الفطرى ، هو من لم يستطع پیسوا أن يكونه ؛ كامپوس المتصعلك هو من كان بإمكانه أن يكونه ولم يكنه . إنهما يمثلان الإمكانيتين المستحيلتين الأساسيتين اللتين أتيحتا لپیسوا .

تمتلك قصيدة كامبوس الأولى نشيد الظفر أصالة خادعة . فهي في الظاهر صدى لامع لويتمان والمستقبلين . هي نشيد لا يمكن أن يُقارَن إلاً بتلك القصائد التي كانت تكتب في نفس تلك السنوات ، في فرنسا وروسيا وأقطار أخرى⁽⁶⁾ ، لكن الفارق ملموس . فويتمان آمن فعلياً بالإنسان وبالآلات ، أو بعبارة أفضل : آمن بأن الإنسان الطبيعي لم يكن مُعادياً للآلات . عقيدة وحدة الوجود لديه تستوعب حتى الصناعة . والقسم الأكبر من أخلافه لا يَسِيرُ في نفس اتجاه تخيلاته ، بعضهم يرى في الآلات لعباً مدهشة . إننى أفكر في فاليري لاربو⁽⁷⁾ وفي Su Barnabooth الذى له أكثر من شبه مع ألبارودى كامبوس . إنَّ موقف لاربو تُجاه الآلة هو موقف أبيقورى . موقف المستقبلين منها موقف رؤيوى ، فهم ينظرون إليها كما لو كانت الدركى المدمر للإنسانية الزائفة و « للإنسان الطبيعى » تبعاً لذلك . لا يقترحون أنسنة الآلة ، بل بناء نوع إنسانى جديد مشاكل لها . الاستثناء هو ماياكوفسكى . لا ، ولا حتى مايكوفسكى . أما « نشيد الظفر » فليست قصيدة أبيقورية ولا رومانطيقية ولا ظفرية : إنها نشيد غضب واندحار ، وفي هذا تكمن أصالتها .

المصنع هنا عبارة عن « منظر استوائى » مأهول بحيوانات عملاقة وشهوانية ، بجماع لانهائى للعجلات والرُّزم والبكرات ، حيث الإيقاع الميكانيكى يتضاعف

وجنة الحديد والكهرباء تتحول إلى قاعة تعذيب .
الآلات هي أجهزة الجنس الهدامة : لكم أحب كامپوس
أن تطحنه تلك اللوالب الفوارة : هذه الرؤية الشاذة
هي ، فى الواقع ، أقل فانتسطيكية مما تبدو وهي
ليست مجرد وسواس خاص بكامپوس . الآلات هي
التناسل والتبسيط وتكاثر الأنساق الحيوية . وهي
تفتتُنَّا وتبعث فينا القشعريرة : لأنها تمنحنا الانطباع
الآني للذكاء واللاشعور : كُلُّ مَا تَفْعَلُهُ تَفْعَلُهُ بإتقان ،
لكنها لا تعرف ماذا تفعل . أليست هذه سمة من سمات
الإنسان الحديث ؟ غير أن الآلات هي فقط أحد وجهي
الحضارة المعاصرة . الوجه الآخر هو الاختلاط
الاجتماعي .

بالصراخ تنتهى « نشيد الظفر » ؛ إذ يفقد
ألبارودى كامپوس ، وقد تحول إلى حزمة ، طرد ، عجلة ،
القدرة على استخدام الكلمات : فيلجأ إلى الصغير ، إلى
الصَّريير ، يقرع الأجراس ، يدق بعنف ويدوى ثم ينفجر .
كلمة كاييرو تستدعى وحدة البشر والحجر والحشرات .
أمَّا كلمة كامپوس فتستحضر الصخب المتقطع
للتاريخ . ألوهية الكون وألوهية الآلة ، إذن ، شكلان
لإلغاء الوعي .

قصيدة طبكيرية هي قصيدة الوعي المستعاد . إذا
كان كاييرو يتساءل : ماذا أكون ؟ فإن كامپوس

يتساءل : من أكون ؟ من غرفته يتأمل الشارع :
السيارات ، المارة الكلاب . الكل حقيقى والكُلُّ وهمى .
الكل قريب والكل بعيد . فى المقابل يظهر صاحب
الطبكيرية ويختفى واثقاً من نفسه مثل إله ، معمى
مبتسماً مثله .. وهو يفرك يديه كأنه الأب الربُّ وقد
فرغ لتوه من عملية الخلق المريعة . يصل إستيبا إلى
مغارته - معبده - كوخه ، إستيبا اللامبالى الذى بلا
ميتافيزيقا يتكلم ويأكل . له عواطفه وآراؤه السياسية
وهو يحرس أيام العطل الجديرة بأن تُحرس . ومن
نافذته ، من وعيه يتابع كامپوس المهرجّين فيرى من
خلالهما ذاته . أين تُوجد الحقيقة ؟ فى ذاتى أم فى
إستيبا ؟ يتسم صاحب الطبكيرية ولا يجيب . إنَّ
كامپوس الشاعر المستقبلى يبدأ بالتاكيد على أنَّ
الإحساس هو الواقع الحقيقى الأوحى ؛ بعد سنوات
سوف يتساءل عما إذا كان هو نفسه ذا وجود واقعى
بالفعل .

بالغاء كاييرو لوعيه بذاته ، يلغى التاريخ ؛ أما الآن
فالتاريخ هو الذى يُقصى كامپوس . حياة هامشية تماماً
: فإخوته ، إن كان له إخوة ، هم المشردون ، والمومسات
والمتكيس ، والشحاذ ، وأوباش العلية والأسافل . ليس
لتمردّه أيّة صلة بأفكار الخلاص أو العدل : « كلا ، كل
شئ مقبول ماعدا أن نكون على حق ! كل شئ ماعدا أن
تقلبنى بشئون الإنسانية ! كل شئ ماعدا الانقياد

للإنسانية ! « كامبوس يتمرد كذلك على فكرة التمرد ذاتها . فهو ليس نتاج فضيلة أخلاقية ، أو وضع مُعَيَّن للوعي ، إنه الوعي الصادر عن إحساس خاص : « ريكاردو ريبس وثني عن إيمان : أنطونيو مورا عن ذكاء : أنا وثني عن تمرد وهذا عن جبلة » . عطفه على البؤساء مصطفى ببعض الازدراء ، ازدراء يجسه تجاه نفسه قبل كل شيء :

أشعر بعطف نحو جميع أولئك الناس
خاصة عندما لا يستحقون أيَّ عطف
أجل ، أنا أيضاً صعلوك وشحاذ .
أن تكون صعلوكاً وشحاذاً لا يعني أنك صعلوك
شحاذ .

يعني أنك موجود خارج التراتب الاجتماعي ...
يعني ألا تكون قاضي القضاة ولا الموظف المسمّر
في وظيفته ،
ولا المومس ، أو العديم المهابة ، العامل المستغل ،
المريض
بداء عضال ، أو المتعطش للعدالة ، أو قبطان
الفروسية ،
يعني ألا تكون ، في النهاية ، واحداً من تلك

الشخصيات الاجتماعية لدى الروائيين الذين أ تخموا
حروفاً ؛ لأنّ لهم موضوعاً يستثير دموعهم .

والذين يتمردون على الحياة الاجتماعية ؛ لأنهم
يظنّون أن لهم أسباباً للتمرد »

إنّ تصعلكّه وكُدَيْتَه لا تَقَع تبعتهما على أىّ ظرف
من الظروف ؛ إذ لا فكاك منهما ولا علاج لهما . أن أكون
صعلوكاً هكذا هو : « أن أكون وحيداً مع رُوحى » وفيما
بعد ، وبذلك الحفاظة الفضائية التى ميّزت بيسوا : « لا
أتوفّر حتى على تعلّة هى ملكة اكتساب آراء اجتماعية ...
أنا واع . لا مجال للإستطبيقا مع حكايات القلب هذا . أنا
واع . خراء . واع أنا . » .

إن الوعى بالمنفى هو علامة ثابتة للقصيدة الحديثة
منذ قرن ونصف . لقد جعل جيراردو نرقال من نفسه
أميرا لأكيتانيا ؛ أما البارودى كامپوس فقد اختار لنفسه
قناع المتصعلك . الانتقال هنا كاشف . تروبادور هو أم
شحاذا ؟ ماذا يخفى هذا القناع ؟ لا شىء ربما . ما الشاعر
إلّا وعيه بذاته ، وعيه بلا واقعيته التاريخية . ولا يَغْرَقُ
المجتمع فى لاشفافيته الخاصة إلّا عندما ينسحب ذلك
الوعى من التاريخ . ويعود إستيبا أو صاحب الطبكيرية
إلى موقعه . لن نعدم من سيقول : موقف كامپوس ليس
« إيجابيا » . كسايس مونتيرو قدّم جواباً مفحماً
بخصوص مثل هذه الآراء النقدية : « أعمال بيسوا هى

فى الواقع أعمال سلبية لاتصلح كنموذج أو قدوة لا تعلمنا أن نكون حاكمين ولا أن نكون محكومين . بل هى تصلح للنقيض تماما : لإفساد النفوس .

كامپوس لا ينطلق ، مثل كاييرو ، ليكون كل شئ ، بل ليكون الجميع ويوجد فى جميع الجهات . إنَّ ثَمَنَ السقوط فى التعدد يُؤدَّى بفقدان الهوية . ريكاردو ريبس⁽⁸⁾ يختار الإمكانية المضمرة فى قصيدة أستاذة . إذا كان كامپوس صعلوكاً فإن ريبس ناسك . ونسكه فلسفة وشكل . فلسفته خليط من الرواقية والأبيقورية . أما الشكل فهو الهجاء والنشيد والثرثاء على غرار الشعراء النيوكلاسيكيين . ، وتظهر النيوكلاسيكية فقط من حيث هى نوع من النوسطالجيا ، أى من حيث هى رومانطيقية مجهولة أو متنكرة .

بينما كان كامپوس يكتب مونولوجاته المطولة الأقرب ، كُلُّ مرة ، إلى التأمل الباطنى منها إلى النشيد ، كان صديقه ريبس يحكُّ أناشيد قصيرة حول اللذة ، هروب الزمن ، ورود ليديا ، حرية الإنسان الخادعة ، بطلان الآلهة . لقد تلقى تعليمه فى معهد (الجزويت) اليسوعيين ، واحترف مهنة الطب . فلكى النزعة . نفى إلى البرازيل منذ 1919 . وثنى متشكك عن عقيدة . لا تينوى عن تعلم . خارج الزمن يعيش ريبس . يبدو ، وهو ليس كذلك ، إنساناً من الماضى : لقد اختار أن يحيا فى حكمة لا زمنية . منذ زمن قريب أشار سيورن إلى

أنَّ قرننا هذا الذى اخترع الكثير من الأشياء ، لم يتوصل إلى ابتكار ما نحن بأمسِّ الحاجة إليه . وليس من الغرابة فى شىء أن يلجأ البعض إلى البحث عن هذا الذى ينقصنا فى التقليد الشرقى : فى الطاوية ، بوذية الزن ، الواقع أن رواقية ريبس هى صيغة تخلُّ عن الوجود فى العالم من دون تخلُّ عن الوجود فيه . وإنَّ لأفكاره السياسية معنى مشابهاً : فهى ليست مشروعاً أو برنامجاً ، بل نفيّاً لوضع معين لأشياء معاصرة . هو لا يكره المسيح ولا يحبه ؛ يبغض المسيحية وإن كان يُقرُّ فى النهاية عندما يفكر فى يسوع بكون « أسلوبه المظلم المؤلم قد حَمَلَ إلينا ما كان ينقصنا » . إنَّ القدر هو الإلاه الحقيقى عند ريبس ، والجميع بشراً وأساطير خاضعون لجبروته .

الشكل لدى ريبس عجيب رتيب ، مثل كل شىء مصنوع بإتقان . إنَّ تلك القصائد القصيرة تُشعر بوجود مزيج خبير ومقطَّر من النيوكلاسيكية البرتغالية ومن الأنطولوجية الإغريقية المترجمة إلى الإنجليزية . ومسألة تقويم لغته أفلقت پیسوا غير ما مرَّة ، يقول : « يكتب كاييرو البرتغالية سيثا . كامپوس يفعل ذلك بطريقة معقولة ، رغم ارتكابه لهنات مثل « yopropio » بدل « yo mismo » ؛ ريبس أفضل منى مع نقاوة أعتبرها مفرطة » . إنَّ المبالغة المُسرَّنة لكامپوس تتحوَّل بفعل حركة طبيعية جداً من

التعارضات إلى دقة ريس المبالغ فيها .

لا الفلسفة ولا الشكل بقادرين على تبرير وجود ريس . إلا إذا كانا يُريدان تبرير الشبح وحده . لأن الحقيقة هي أن ريس لا وجود له وهو يعلم ذلك . بإشراق أكثر مضاءً من ذلك الذى عبّر عنه كامپوس نجد ريس يتأمل :

لا أدري ممن جاءنى تذكر ماضى .

آخر كنت ، لا أكاد أتعرف على ذاتى .

عندما أستشعر مع روحى تلك الروح الغريبة .

التي أتذكرها ساعتئذ .

من يوم لآخر ، سوف نهجر أنفسنا

لا شئ مؤكداً يربطنا بذواتنا

نحن هم من نحن الآن

ماكنأه هو ما يرى من الداخل .

المتاهة التى يضيق فيها ريس هى ذاته بعينها . والنظر الداخلية للشاعر ، وهى شئ مختلف تماماً عن التأمل الباطنى ، تقربه من پيسوا . وهما وإن كانا يستعملان أوزاناً وأشكالاً ثابتة فليست التقليدية هى ما يجمعهما لأنهما ينتميان إلى تقليدين مختلفين . ما يوحدهما هو الإحساس بالزمن ، لا كشئ يَمُرُّ أمامنا ،

وَأِنَّمَا كَشَى يَغْدُو نَحْنُ هُوَ .

كاييرو وكامپوس أسيرا الزمن الآنى يؤكدان
الكينونة أو غياب الكينونة عبر الجرح نفسه .. رئيس
وييسوا فى المسالك الوعرة لفكريهما يضيعان . وفى
أحد المنعرجات يدرك أحدهما الآخر . وبذوبانهما فى
ذاتيهما معاً يغرقان فى معانقة الظل . إنَّ القصيدة ليست
تعبيراً عن الكائن ، بل هى إحياء لذكُرى لحظة ذلك
الذوبان ، ذلك الأثر الخواء . پيسوا سَيُشِيدُ معبداً
للمجهول . رئيس القنوع يكتب هجاء هو بمثابة كتابة
قبرية :

يمكن للقدر أن يمنع عنى كل شئ

سوى أن أراه : رواقى بدون خشونة

سأتلذذ ، حرفاً حرفاً ، بالحكم

الذى أصدره القدر .

يستشهد ألبارودى كامپوس بجملة لريكاردو
رئيس : أكره الكذب لأنَّه عديم « الدقة » وهى جملة يمكن
أن نطبِّقها على پيسوا شريطة عدم خلط الكذب بالتخيل
و« الدقة » بالصرامة : قصيدة پيسوا فائقة الدقة مثل
رسم خطى . مثل الموسيقى دقيقة ومركَّبة . إنَّه شاعر
مركَّب ومتعدد يتحرك فى اتجاهات مختلفة : النثر ،
الشعر بالبرتغالية ، والشعر بالإنجليزية (ينبغى أن

ننسى قصائده المكتوبة فى الفرنسية) أعماله النثرية التى لم تُنشر كاملةً بعد . يمكن بعد تصنيفها إلى صنفين كبيرين : ما وقَّعه باسمه ، وما كتبه بأسماء مستعارة نذكر منها أساساً : بارون الـ Teive الأرستقراطى ، وهرنارد سواريس متعاطى التجارة ... وفى فقرات متعددة يشددُ بيسوا على أنهما ليسا من الأنداد .. « كلاهما يكتب بأسلوب هو أسلوبى ، جيداً كان أم رديئاً ... » الوقوف عند القصائد الإنجليزية ليس ضرورياً : لأنها - حسبما يبدو لى - ذات صلة قويّة بالشعر الإنجليزي ، بدون التقليل من أهميتها الأدبية والسيكولوجية .

أما الأعمال الشعرية بالبرتغالية منذ 1902 حتى 1935 فتضم « رسالة » القصيدة الغنائية ، وكذا القصائد الدرامية وهى ذات قيمة هامشية حسب رأى ، إذ حتّى لو أقصيناها فسيبقى عمل شعري متنوع وشاسع فى متناولنا . لكنّ هناك فارق أولى : جميع « الأنداد » يكتبون فى نفس الاتجاه وفى نفس التيار الزمنى . أما بيسوا فيتفرّع كالدلتا وكل ذراع من ذراعيه تقدّم لنا صورة أو صوراً للحظة واحدة .

فى « رسالة » تتفرّع القصيدة الغنائية ، وفى ديوان الأغانى (مع تلك القصائد المتفرّقة وغير المنشورة) والقصائد الهرمسية . إنَّ الترتيب ، كما يحدث دوماً ، غير مطابق للواقع « فديوان الأغانى »

كتاب رمزي مشبع بالهرمسية وإن كان الشاعر لا يستخدم التقليد الباطني من الناحية التعبيرية . و « رسالة » هي فوق كل شيء كتاب في علم أشعة الأشراف heraldica الـ heraldica تمثل قسماً من السيمياء ... وتبقى القصائد الهرمسية في شكلها وروحها قصائد رمزية : وإدراك محتواها لا يتطلب أن يكون المرء معلماً من الأقطاب ... إنها تتطلب كسائر آثاره أصعب وأرفع درجات التفهم الروحي .

أن نكون على بينة من اهتمام رامبو بالقبالة وبمطابقته بين القصيدة والسيمياء هو شيء مفيد ولا شك ، لأنه يقربنا من عمله الذي يتطلب منا إلى جانب ذلك وبُغية التغلغل في عالمه ، شيئاً أكثر وشيئاً أقل : لقد حَدَدَ بيسوا ذلك المطلوب على هذا النحو : خَفَةُ روح ، حدس ، فهم ، نكاء ؛ ثم ما هو أصعب : تساهل ... لربما يبدو هذا التعداد مغالياً بعض الشيء . غير أنني لا أدرى كيف يمكن أن نقرأ بدون هذه الشروط الخمسة حقاً بودليير وكولردج وييتس . وفي جميع الأحوال فإن الصعوبات القائمة في قصيدة بيسوا هي أقل ممَّا تُصادف في شعر هولدرلين ونرغال وملارمي من صعوبات ... القصيدة لدى الشعراء الحداثيين هي نظام من الرموز والتناظرات مشابه لنظيره في العلوم الهرمسية ، مشابه لا مطابق . القصيدة كوكبة علامات هي سيِّدة سطوعها الخاص .

لقد تصوّر بيسوا رسالة بمثابة طقس أو شعيرة ،
أى باعتبارها كتاباً سرّياً ... وبالنظر إلى جانب الإتيان
الخارجى يمكن أن نُعدّها عمله الأكثر اكتمالاً بيد أنّها
كتاب مصنوع صنعا ، لا أقصد القول بعدم شفافيته ، بل
الإشارة إلى أنّه ليس وليدَ حدوس الشاعر بل ، وليد
التأملات وإعمال الفكر ... يبدو الكتاب للوهلة الأولى
نشيداً يسبح بأمجاد البرتغال متنبئاً بإمبراطورية
جديدة (الخامسة) سوف تكون روحيةً هذه المرة
لأمادية كما فى السابق ، وسوف تمتد هيمنتها إلى
ما هو أبعد من المكان والزمن التاريخى (سيذكر
القارئ المكسيكى « الجنس الكونى » لـ
فاسكونساليس) . إن الكتاب عبارة عن معرض
لشخصيات تاريخية وأسطورية منقولة من واقعها
ومحوّلة إلى مجازات تنتمى إلى واقع آخر . ومن غير أن
يكون واعياً تماماً بما يفعل يُجرّد بيسوا تاريخ
البرتغالى الفعلى ، ويحلّ محلّه تاريخاً آخر روحياً
خالصاً ينفيه . ولعل الطبيعة السرية لـ رسالة تمنعنا من
قراءتها كمجرد قصيدة وطنية ، كما يُريد ، بعض النقاد
الرسميين . لكن علينا أن نضيف أنّ رمزيّته لا تنقذه من
وضوح مراميه . فلكى تكون الرموز رموزاً بحق لابدّ أن
تتخلّى عن رمزيّتها وأن تصير مخلوقات حية حساسة
لا موميאות فى متحف .

فى « رسالة » كما فى كافة الأعمال التى يتدخل فيها

الجهد الإرادى أكثر ممّا يتدخّل الإلهام لا نجد إلا قصائد قليلة ترقى إلى تلك الدرجة من العذوبة المميّزة للشعر المنتمى للأدب الجميل . لكن القصائد القليلة تلك إنّما تحيا فى نفس الفضاء السّحرى الذى تحيا فيه أفضل قصائد « ديوان الأغانى » إلى جانب بعض السوناتات الهرمسية . ما الذى يحويه هذا الفضاء ؟ يستحيل معرفة محتواه الفضاء هو فضاء القصيدة الخالصة ، هو منطقة حقيقية مَلْمُوسَة . مضاءة بضوء آخر . لا يهم أن تكون تلك القصائد قليلة . لقد قال جوتفريد بن : لا أحد ، ولا حتّى أكبر شعراء عصرنا خلّفوا أكثر من ثمان أو عشر قصائد فى غاية الاكتمال . من أجل ستّ قصائد ، ثلاثون أو أربعون سنة من التنسُّك ، من المعاناة ومن الكفاح .

ديوان الأغانى هو عالم مكوّن من قليل من الكائنات وكثير من الظلال . لكن تنقصه الشمس المركزية ، تنقصه المرأة . فى غيابها يضمحلّ العالم المحسوس ، لا أرض ولا ماء ، ولا إمكانية لتجسّد اللامحسوس . تنقصه الملذات المرعبة والمحرمّة . ينقصه الحب الذى هو الرغبة فى كائن أوحد أيّاً كان . هنالك شعور مبهم بالأخوة تجاه الطبيعة : أشجاراً ، غيوماً ، حجراً . تجاه كل ما ينفلت وكل ما هو معلّق فى فراغ الزمن . إنّ لا واقعية الأشياء هى انعكاس للاواقعيّتنا نحن . ثمّت إنكار وضجر وغمّ .

فى كتاب القلق الذى لا نعرف عنه سوى بعض المقاطع ⁽⁹⁾ يصف پيسوا وضعه الأخلاقى قائلاً : أنتمى إلى جيل ترعرع مجرداً من الإيمان بالمسيحية . ثم افتقد هذا الإيمان فى كل المعتقادات الأخرى ؛ لم نكن متحمسين للمساواة الاجتماعية أو للجمال أو التقدم ؛ ولأ كُنَّا نبحث عن طرائق دينية أخرى فى المشرق أو المغرب (« مامن حضارة إلّا وهى منتسبة إلى الدين الذى يمثلها : بفقداننا ديننا فقدنا أنفسنا جميعاً ») . بعضنا تفرغ لغزو اليومى . بعضنا الآخر من طينة أفضل : انسحب أو بالأحرى انسحبنا من الانشغال بالقضايا العامة بدون أن نتعلّق بشئ أو نرغب فى شئ . آخرون منّا استسلموا لعبادة الصخب والإلهام : يحسبون أنهم يحيون إذ ينصت بعضهم إلى بعض ، ويحسبونهم حباً احتكاكهم بقشور الحب ... أما بعضنا الآخر ممن ينتمى إلى السلالة الأخيرة ، سلالة نهاية الحضارة أو الحد الروحى الأقصى لساعتنا الميئة فقد اخترنا العيش فى نفى دائم برّم مغموم » . هذه الصورة ليست صورة پيسوا بيد أن القعر الذى يبرز فيه وجهه متداخلاً أحياناً عديدة معه . الحد الروحى للساعة الميئة . أجل : إن الشاعر إنسان خاوي يلجأ ، وقد تخلّت عنه العناية ، إلى خلق عالم خاص به كى يكتشف هويته الحقيقية ... كل عمل من أعمال پيسوا هو سعى محموم وراء الهوية المفقودة . يقول فى إحدى قصائده المستحضرة بكثرة :

« مُرَاء هو الشاعر يبلغ من المراءة حَدًا يجعله يدعى بأنه أَلَم فظيع هو ذلك الألم الذى يُحسُّه بالفعل » . وهو « إذ يقول الحقيقة يكذب . وإن يكذب يَقُول الحقيقة » . لسنا أمام اسطيطيقا معينة ، بل نحن ببساطة أمام فعل إيمان . القصيدة هى بمثابة كشف عن لا واقعية هذا الفعل :

بين ضوء القمر وأوراق الشجر

بين الهدوء وممر الأشجار

بين الليل المخيم والنسيم العليل

يمرُّ سرُّ

فتتبعه رُوحى مقتفية أثره .

أهو ييسوا ذاك الذى يمرُّ أم شخص آخر ؟ سؤال يتكرَّر طوال توالى القصائد والأعوام . وهو لا يدرى إن كان ما يكتبه ينتسب إليه حقاً ، أو بالأحرى يدرى إن كان هو بالفعل فإنه ليس أبداً هو . « لماذا أحكم مخادعاً بأن ما هو لى إنما هو لى ؟ » إن البحث عن الأنا - مفقوداً وموجوداً ومفقوداً مرة أخرى - ينتهى إلى الاشتمزاز :

« إنه الغثيان ، اللاشئ : أن نُوجد لأجل الأ نموت » .

من خلال هذا المنظور فقط نستطيع إدراك المدلول القبالى « للأنداد » . فهم ابتكار أدبى وضرورة

سيكولوجية معاً . غير أنهم أكثر من ذلك . إنهم بصيغة من الصيغ أولئك الذين كان باستطاعة ييسوا أن يكونهم أو من كان يريد أن يكونهم ؛ ولنقل بتعبير أعمق : إنهم بالذات مالم يكن يرغب فى أن يكون : مجرد شخصية من الشخصيات ... فى الحركة الأولى يصنعون قطيعة مع المثالية ومع المعتقدات الفكرية لصانعهم . وفى الحركة الثانية يظهرون أن الحكمة الفطرية والساحة العمومية والزهد الفلسفى ماهى إلا محض أوهام . إن الآتى مثل المستقبلى غير صالح للإقامة ؛ والرواقية دواء قاتل . ومع ذلك فإن تدمير الأنا الذى ما هو إلا « الأنداد » أنفسهم يُثمر خصوبة سرية . الصحراء الحقيقية هى الأنا ليس فحسب لكونها تسجننا داخل ذواتنا حاكمة علينا بأن نحيا مع مجرد شبح ، بل لأنها تُذبل كل ما تمسّه . إن تجربة ييسوا تندرج ، ربما حتى من غير أن يكون هو قد طرح ذلك ، ضمن التقليد الذى خطه شعراء الحداثة الكبار منذ نرثال والرومانطيين الألمان . الأنا يعوق . الأنا هو العائق . لذلك فإن كل رأى يقتصر على الجانب الإسطييقى لأعماله هو رأى قاصر قطعاً . وإذا كان صحيحاً أن جميع ما كتبه ليس على مستوى واحد من الإجابة ، فإن جل ما كتبه إن لم نقل كله موسوم بآثار بحثه ومسعاها المضنى . أعماله هى خطوة نحو المجهول ، وشغف بتملكه .

لا ينتسب بيسوا لا إلى هذا العالم ولا إلى العالم الآخر .. وحدها كلمة « غياب » فى مقدورها أن تعرفه ، إذ فهمناها على أنها تعنى حالة سيولة حيث الحضور يتلاشى وحيث الغياب يكون إيداناً بماذا ؟ بلحظة لم يُعَدُّ للحاضر فيها وجود ولما يكْدُ يبرز ذلك الذى ربما سيكون .. إن الصحراء المتمدّنة تتغطّى بالعلامات : الحجر ينطق .. الريح تتكلم .. والأشياء كل الأشياء تقول لا هذا الذى أقول بل شيئاً آخر . دائماً شئ آخر نفس الشئ الذى لا يقال أبداً . إنّ الغياب ليس حرماناً فحسب ، بل هاجس حضور لا يظهر مكتملاً ألبتة . ثمت قصائد هرمسية وأناشيد تتفق مصادفة : فى الغياب ، فى اللاواقع الذى نحن فيه . ثمت حضور شئ ما .

وسط الناس والأشياء الغفيرة منذهلاً يسير الشاعر عبر شارع فى الحى القديم . يدخل إحدى الحدائق . تتحرك الأوراق كأنها على وشك أن تقول ... لا ... لا لم تقل شيئاً ... تلك هى لا واقعيّة العالم فى الشُّعاع الأخير للمساء . كل شئ ساكن ... كل شئ فى حالة انتظار ... يعرف الشاعر أخيراً أنه بلا هويّة ، وأنه شبيه بتلك الأشياء . المذهبة تقريباً ، الواقعية تقريباً . شبيه بتلك الأشجار المعلّقة فى الزمن اللحظى ... يغادر هو الآخر ذاته ... من غير أن يظهر الآخر ، الآخر الصَّنو ، بيسوا الحقيقى لن يظهر أبداً للعيان : لا يوجد آخر . ما

يتراءى ، مُلمَّحاً ، هو شئ آخر ... هو ما لا اسم له ، وما
ليس يقال ، وما تتمسك به كلماتنا الفقيرة . هل هو
القصيدة ؟ كلا : القصيدة هي ما يتبقى ، ما يمنحنا
العزاء . الوعى بالغياب . وَمِنْ جديد ثَمَّتْ صوت ، حفيفُ
شئ ما : پيسوا أو انبثاق المجهول .

باريس 1961

ثلاث قصائد
لأليارودي كاميو

نشيد بحرى

وحدى ، فى هذه الصبيحة الصيفية ، على
الرصيف الخالى أنظر إلى عارضة النهر ، إلى
اللامحدّد .

أنظر وأنا مبتهج بمراى سفينه محيطات ، صغيرة ،
سوداء ، واضحة تدخل الميناء .

بعيدة ما تزال ، جليّة ، كلاسيكية على
شاكلتها ، تاركة وراءها فى الهواء القصى ذيلها الدخانى
المبهم .

هى ذى تدخل الآن ، فيدخل بمعيّتها الصباح ، وفى
المرفاء النهري تستيقظ الحياة البحرية ، هنا وهناك ،
أشرعة تُرفع ، جرّارات تتقدّم ،

مراكب صغيرة تنبثق من وراء السفن الراسية فى
الميناء .

ثمت نسيم غامض .

بيد أن نفسى مع مالا يُرى إلا من بعيد ،

نفسى مع سفينة المحيط وهى تدخل الميناء ،

لأنها تنتمى إلى المدى ، إلى الصباح ،

إلى الوجهة البحرية لهذه اللحظة ،

لأنها مع العذوبة المؤلمة المتصاعدة كالغثيان

فى داخلى ، كبداية دوخة ، لكن دوخة فى الروح .

أنظر إلى سفينة المحيط آتية من بعيد وأنا مفعم

بتحرر هائل فى الروح ، وهناك بداخلى

محركٌ يشرع ببطء فى الدوران .

سفن المحيطات اللاتى يدخلن عارضة الميناء فى

الصباح

يَجْلِبْنَ معهنَّ كلَّ شئٍ حتى عينيَّ ذاتيَّهما .

يجلبن الأسرار الحزينة والمفرحة لمن يصل ومن

يرحل .

يَجْلِبْنَ ذَاكرات أرصفة بعيدة ، وذاكرات لحظات

أخرى ،

لأنماط أخرى من نفس الحياة الإنسانية فى مناطق
مختلفة .

كُلُّ رُسُوٍّ وَكُلُّ إِقْلَاعِ

— أحسُّ به إحساسى بدمى نفسه — .

محملٌ لا شعوريا برمزية طاغية ، وهو يتوعدنى
بدلالات ميتافيزيقية تُخلخلُ فى من كُنْته من
قبل ...

آه ، الرصيف كُله لوعةٌ من حجر !

عندما تغادر السفينة الرصيف

فحنسٌ ، فجأة ، أن مسافةً متزايدة قد انفتحتُ

بين الرصيف والسفينة ،

ينتابنى ، بدون أن أعرف لماذا ، قلق طارئ ،

ضباب من مشاعر الحزن

يلمع تحت شمس هواجسى المتجددة

مثل النافذة الأولى التى يطرقها الصباح ،

ضبابٌ يَلْفُنِّى كذكرى شخص آخر

كان جزءاً منى فى الخفاء .

آه ، من يدري ، من يدري

إن لم أكنُ رحلتُ ، فى الزمن القديم ، قبل مجيئى ،
من أحد الأرصفة . إن لم أكنُ خَلَفْتُ ، مركباً تحت
الشمس

ثملاً بالشروق ؟

صنفاً آخر من الموانئ ؟

مَنْ يَدْرِى إن لم أكنُ خَلَفْتُ ، قبل أن تشرق من
أجلى

ساعة العالم الخارجى وفق رؤيتى ،

رصيفاً هائلاً مكتظاً بأناسٍ قلائل

فى مدينة نصف مستيقظة

مدينة تجارية ، هائلة ، مهددة ،

إن كان ممكناً حدوث ذلك خارج المكان والزمان ؟

أجل ، من رصيف حقيقى ؛ رصيف ماذى على
نحو ما ،

واقعى ، مرئى كرصيف

ذلك الرصيف المطلق المُحاكى فى اللاشعور ،

والذى نستوحيه بدون وعى نحن الرجال

حينما نشيدُ أرصفتنا على الموانئ ،

أرصفتنا من الأحجار الراهنة فوق المياه الحقيقية ،

أرصفتنا التى ما إن يكتمل بناؤها حتى تظهر فجأة .

كما لو أنها أشياء - حقائق ، أشباح - أشياء ،

أشياء - كيانات من حجر - روح ،

إزاء لحظات معينة من الإحساس - الجذرى

عندما فى العالم الخارجى ، وكأن باباً ينفتح ،

يبدو كل شئ مختلفاً

بدون أن يتغير شئ .

آه يا للرصيف الأكبر الذى منه أقلعنا فى السفن

الدولية !

الرصيف الأكبر السابق ، الإلهي والخالد .

من أي ميناء ؟ وفى أية مياه ؟ ولماذا أفكر فى هذا

كله ؟

الرصيف الأكبر كبقية الأرصفة ، الرصيف الفريد .

الملئ مثلها بالوشوشات الصامتة كل صباح

والمشرع مع الصباح لصخب الرافعات ،

ووصول قطارات البضائع
تحت السحابة السوداء العابرة والخفيفة
للدخان الصّاعد من مداخن المعامل القريبة
والذى يظلّل الأرض المسوّدة بالرماد الفحمي
اللامع

كما لو كان ظلاً لسحابة ما لدى مرورها فوق المياه
القائمة .

آه ، أى سِرّ جوهري ، تُرى ، وأى مَعْنى يخبئُهما
الانخطاف الإلهي الكشف
فى ساعات السكينة والقلق
من كَوْنٍ لآجِسٍ هناك يفصل أى رصيف عن
الرصيف !

الرصيف المنعكس ، مُحَلُولَكَا ، على المياه الساكنة ،
ثمت دَوَى على ظهر السفن ،
أوه لروح الركاب الشاردة القلقة ،
روح الناس الرمزيين الذين يمرون ، مع أولئك
الذين لا يمكنون لحظة واحدة ،

وإذن ، كلما عادت إلى الميناء سفينة
لا بدّ من توقع حدوث جديدٍ على متنها !
أوه للهروب المتواصل ، الذهابِ الذهابِ ، نشوةِ

المتنوع !

يا لروح البحّارين الخالدة ويا لروح الإبحار !
قُبَّعات معكوسة ببُطءٍ على المياه
عندما تُقلع من الميناء السفينة !
أنْ نطفو كأنّنا روح الحياة . أن نرحل مثل صوت
أن نعيش اللحظة ارتعاشاً ، فوق المياه الخالدة ،
أن نُفَيِّقَ على نهارات أقومَ من أيام أوروبا .
أن نشاهد موانئ سرية فوق عزلة البحر ،
أن نطوى أطرافاً نائية صوب مشاهد فسيحة غير
متوقّعة

لأنحدارات مدهشة لا تحصى
أوه يا للشواطئ القصية ، الأرضفة المرئية من بعيد
الشواطئ الدانية ، الأرضفة المرئية عن كثب !
سرُّ كل زهاب وكل إياب ،
اللاثبات والاستغلاقُ المعذبان
لهذا الكون المتسحيل .
كل ساعة بحرية جديدة فى الجلد نفسه تُحسُّ
والنشيغ العبثي الذي تَذْرِفه أرواحنا

على امتداد بحار مختلفة ذوات جزر نراها من
بعيد ،

على الجزر البعيدة للشواطئ المتجاوزة عند
المرور ،

على ذلك التنامي البين للموانئ بمنازلها وسكانها
أمام السفينة التي تقترب .

أوه ، لطرواة الأصباح التي يتم الوصول فيها
وشحوبُ الأصباح التي يُرحل فيها ،

عندما تقلص أحشاؤنا

وينتابنا إحساس غامض يشبه الخوف

– الخوف السحيق المتوارث من الابتعاد والرحيل ،

الارتباب المتوارث والسرى من الوصول ومن

الجديد –

يُقْطَبُ جُلْدُنَا وَيُغْثَيْنَا ،

وَكُلُّ جِسْدِنَا الْجَزَعُ يُحْسُ

كما لو كان هو روحنا بالذات ،

برغبة لا تفسير لها في أن يستطيع الشعور بذلك

على نحو مختلف :

أهو حنين إلى شيء ما ،

أم ارتباك فى المشاعر ؟ نحو أيّ وطن مبهم ؟
نحو أيّ ساحل ؟ أية سفينة ؟ وأيّ رصيف ؟
ويمرض الفكر فينا

ولا يبقى فى داخلنا سوى فراغ هائل ،
امتلاء أجوف بلحظات البحر
ونهمّ غامض كان سيكون حجراً أو ألماً
لو عرّف كيف يكونه ...
الصباح الصيفى بارد قليلاً مع ذلك ، ثمّت
سبات خفيف من ليلة الأمس ما يزال عالقاً بهبّات
الهواء .

فى داخلى يتّسارعُ دوران المقود .
سفينة المحيط تدخل الآن ؛ لأنها داخلية ولا ريب .
ولو لم أرها تتحرك فى مدّاهَا البعيد .
تبدو قريبة فى المخيلة ومرئية تماماً
بجميع الامتدادات الخطية لكوّاتها ،
كُلُّ ما فى يرتعش ، كل اللحم وكل الجلد ،
لأجل ذلك الكائن الذى لن يصل أبداً فى أية سفينة
والذى جئت اليوم لانتظاره على الرصيف تلبية
لتوكيل غامض .

السفن التى تلجُ العارضة ،
 السفن التى تغادرُ الموانئ ،
 السفن التى تمرُّ من بعيد
 (أفترض رؤيتَهُنَّ من شاطئٍ مقفر)
 - كل تلك السفن ، المجردة تقريباً فى مَخُورها
 العباب ،
 تهزُننى كما لو كانت شيئاً آخر ،
 لا مجردَ سفن ، سفن تمضى وتجئ .
 لأنَّ السفن المشاهدة عن قرب وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بقصد
 الإبحار فيهنَّ ،
 المشاهدة من أسفل ، من التَّنْكَات ، أعالى الأسوار
 الصفيحية ،
 والمرئية من الداخل ، عبر القُمُرات ، الصالونات ،
 غرف الطعام ،
 الصواري وهى ترفرف فى الأعالى ،
 وقد جُرُفت الحبال وأنزلت السلالم المُتعبة ،
 واستُنشِقَ كل ذلك المزيج الطلائى المعدنى
 والبحرى
 - تلك السفن ، مرئية عن قرب . هى نفس السفن

وهى شئ آخر ،

إنها تَهَبُ نفس الحنين ونفس الجزع بصيغة
مختلفة .

يا حياة البحر كلها ! كل شئ فى الحياة البحرية !
لقد تشرب دَمى كل ذلك الإغواء الرهيف
وأغرق فى تأمل جميع الأسفار بلا تحديد .
أوه . يا لخطوط السواحل البعيدة المسقوفة
بالأفق !

أوه . للأطراف ، الجزر ، الشطآن الرملية !
عزلات البحار كعزلة تلك اللحظات فى المحيط
الهادى
التي تجعلنا نشعر ، فى أعصابنا ، لا أدرى بتأثير
من أية
أوهام تلقيناها فى المدرسة .

بكون ذلك المحيط هو الأكبر بين المحيطات
وبالعالم كله وبطعم الأشياء وهى تتحول
إلى صحراء قاحلة داخل أنفسنا !

يا لشساعة المحيط الأكثر إنسانية والأكثر
تلوثاً !

والمحيط الهندي الأكثر غموضاً من كل المحيطات ،
والمتوسط ، العذب ، الخالي من أى غموض ، البحر
الكلاسيكى

الجدير بأن يتكسّر على سهول تتأملها من حدائق
قريبة ، منحوتات بيضاء !

كلُّ البحار ، كلُّ المضائق ، كلُّ الخلجان
أريدُ أن أضُمَّها إلى صدرى ، أن أحسَّ بها جيّداً . ثم
أموت .

وأنتنَّ يا أشياء البحر ، يا لعبى الحُلُمِية العتيقة ،
شكّلنَّ حياتى الباطنية خارج ذاتى !
أيتها الرافدات ، دَفُات السفن ، الصواري ،
الأشرعة ،

عجلات القيادة ، الحبال ، المداخن ، المراوح ،
البيارق ،

أشرعة الصواري ، الكُؤات السفلية ، الغلايات ،
المصارف ، الصَّمَامات

تَسَاقَطُنَ أكْداساً فى داخلى ، ولتتكوْمُنَ

مَثَلُ المَخْزُونِ الغَامِضِ لَصَنْدُوقٍ مُفْرَعٍ عَلَى
الأَرْضِ !

وَلَتَكُنَّ كَنْزَ شُحِّي المَحْمُومِ ،
كُنَّ أَنْتَنَ ثَمَارَ شَجَرَةٍ مَخِيلَتِي ،
مَوْضُوعَ أَغَانِيٍّ ، الدَّمُ السَّارِي فِي شَرَايِينِ نِكَائِي ،
وَلَتَكُنَّ الْآصِرَةُ الَّتِي تَصُلُّنِي عَبْرَ الْجَمَالِ بِمَا هُوَ
خَارِجِي ،

زَوَّدَنِي بِالْإِسْتِعَارَاتِ ، بِالصُّورِ ، بِالْأَدَبِ .
لَأَنَّ مِشَاعِرِي ، فِي الْحَقِيقَةِ ، وَبِكُلِّ جَدِيَّةٍ وَحَرْفِيَّةٍ ،
مَجْرَدُ مَرْكَبٍ بِدَقَّةٍ مُعَلِّقَةٍ فِي الْهَوَاءِ .
مَخِيلَتِي مَرَسَاةٌ مَغْمُورَةٌ لِلنِّصْفِ بِالمِيَاهِ ،
قَلَقِي مَجْذَافٌ مَكْسُورٌ ،
وَنَسِيجُ أَعْصَابِي شَبَكَةٌ عَلَى الشَّاطِئِ تَجْفُ !
فِي صُدْفَةِ النِّهْرِ ثَمَّتْ صَفَارَةٌ تَرْنُ ، صَفَّارَةٌ
وَحِيدَةٌ .

أَرْضِيَّةٌ دَخِيلَتِي كُلُّهَا تَرْتَجِفُ .
وَسُرْعَةُ الْمَقَوْدِ تَتَزَايِدُ فِي دَاخِلِي أَكْثَرَ فَاكْثَرَ .

أَوْه . يَا لَسَفْنِ المَحِيطَاتِ ، الْأَسْفَارِ ، الْأَيُّ عَرَفَ مَكَانُ

قُلَانِ الثُّقَلَاتِي ، البَحَّار ، المعروف لدينا !
أوه يا لَمَجْد أَنْ نَعْرِفَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ معنا
قَدْ ماتَ غَرِيقًا حَذَاءَ إِحْدَى جُزُرِ المَحِيطِ الهَادِي !
نحن الذين معه كُنَّا سوف نَتَحَدَّثُ عَنْ ذَلِكَ مع
الجميع .

بالزهو المشروع ، بالثقة اللامرئية
بأنَّ لَذَلِكَ كُلَّهُ معْنَى أَجْمَلٍ وَأَشْمَلٍ
مَنْ مَجْرَدُ فَقْدِ المَرْكَبِ الَّذِي كَانَ مُبْحَرًا فِيهِ
أَوْ مِنْ كَوْنِهِ قَدْ مَضَى إِلَى الأعْمَاقِ لِأَنَّ رِثَّتِيهِ غَصَّتَا
بالمياه .

أوه ، سفن المحيطات ، البواخر الفحمية ، السفن
الشراعية !
لقد صارت نادرة - يا ويحيى - السفن الشراعية
فى البحر .

لأننى أنا الذى أعشق الحضارة الحديثة ، الذى
أَقْبَلُ الآلاتِ بِرُوحِي ،
أنا المهندس ، أنا المتحضر ، أنا الذى تَرَبَّى فى
الخارج ،

لا أريدُ أن أرى أمام عينيَّ سوى السفن الشراعية
والمراكب الخشبية

ولا أرغب فى أن أعرف عن الحياة البحرية أكثر مما
هو معروف

عن حياة البحار القديمة.

لأنَّ البحار القديمة هى المدى المطلق

هى البعد الخالص مُحَرَّراً من ثقل الراهن ...

أوه ، لَكُمْ يُذَكِّرُنِي كُلُّ شَيْءٍ هُنَا بِتِلْكَ الْحَيَاةِ
المثلى ،

بتلك البحار السالفة لأنَّ الإبحار فيهنَّ كان
أبطأ .

تلك البحار العامرة بالأسرار إذ ما كَانَ يَعْرِفُ عَنْهَا
إِلَّا الْقَلِيلُ .

كُلُّ بُخَارٍ بَعِيدٍ هُوَ سَفِينَةٌ شَرَاعٍ تَدْنُو .

كُلُّ سَفِينَةٍ نَرَاهَا الْآنَ مِنْ بَعِيدٍ هِيَ سَفِينَةٌ قَدْ
شَوَّهَتْ قَرِيبَةً فِي الْمَاضِي .

كل الملاحين اللأمريئين على متن السفن فى الأفق

هم الملاحون المرثيون من زمن السفن القديمة

من العهد الشراعى البطئ للملاحات الخطرة ،
عَهْدَ الخَشَبِ والخيش والأسفار التى كانت تستمرُّ
شهوراً .

شيئاً فشيئاً يغزونى هَذَيَانُ الأشياءِ البحرية ،
الرصيف ومناخه يخترقانى فيزيقياً ،
مكر نهر التاج يغمر حَوَاسِى
فَأَبْدَأُ فى الحلم ، أبدأ فى ارتياد حلم المياه ،
وتبدأ خيوط الاتِّصال فى إيصال الحركة إلى
روحى .

بينما سرعة المحرِّك تخضُّنى بِجَلَاءِ .

وتنادينى المياه ،
تنادينى البحار ،
تنادينى الأقاليم بصوتها الجسدي
كل العصور البحرية المحسوسة فى الماضى
تنادينى
أنت أَيُّهَا البَحَّارُ الإنجليزى ، جيم بارنس ،
ياصديقى ، كنت أنت
من علَّمتنى تلك الصيحة الإنجليزية الموهلة فى

القدم ،

والتي تُلَخَّصُ ، بتسمُّم بالغ ،

للأرواح المعقَّدة مثل روى

نداء الحياة الغامض ،

الصوت غير المسبوق والضماني لأشياء البحر

قاطبة ،

صوت السفن الغريقة ، الأسفار السحيقة ،

الرحلات الخطيرة .

صيحتك تلك . صيحتك الإنجليزية حَدَّثُ كوني في

دمي

من دون صياح ، ولا شكل إنساني ولا صوت ،

تلك الصيحة المروعة التي تبدو آتية

من داخل مغارةٍ قَبُوها في السماء ،

كأنما تحكي عن كل الأشياء الكارثية

التي يمكن أن تحدث في البعيد ، في ليل البحر ...

(دائماً تتظاهر بمناداة سفينة ما

قائلاً هكذا ، ويدك على مجموع فمك ،

ويداك المدبوغتان المسودتان مكبر صوت :

Ah6 - 666666666666 - yyyy...

Schooner ahó - ó - ó - ó - ó - ó - ó - ó - ó - ó - yyy ...

إليك أٌصِيخُ السَّمْعَ مِنْ هُنَا السَّاعَةَ ، مُسْتَيْقِظاً لِأَجْلِ
شَيْءٍ مَا .

تَرْتَعْشُ الرِّيحَ ، وَالصَّبَاحَ يَصْعَدُ رَوِيداً رَوِيداً ،
وَالدَّفْعُ يَتَفَتَّحُ .

أَشْعُرُ بِتَوَرُّدٍ فِي الْخَدَّيْنِ .

عَيْنَايَ الصَّاحِيَتَانِ تَتَّسَعَانِ

يَتَصَاعَدُ الْإِنْخِطَافُ فِيَّ ، يَنْمُو ، يَتَقَدَّمُ

وَبُضْجِيحِ تَمَرُّدٍ أَعْمَى يَشْتَدُّ

الدُّورَانِ الْحَيُّ لِلْمَقُودِ .

أَوَّهْ ، أَيُّهَا النَّدَاءُ الْمَدْوِيُّ

بِفَعْلٍ سَعِيرِكَ وَاحْتِدَامِكَ فِي دَاخِلِي تَغْلِي

كُلُّ الْأَشْوَاقِ فِي وَحْدَةٍ مُتَفَجِّرَةٍ ،

أَحَاسِيسِ الضَّجْرِ غَدَّتْ كُلُّهَا دِينَامِيكِيَّةً !

أَيُّهَا النَّدَاءُ الْمَوْجَّةُ إِلَى دَمِي

مِنْ حُبٍّ غَابِرٍ ، لَا أُدْرِي أَيْنَ ، يَعُودُ إِلَيَّ

وَهُوَ مَا زَالَ يَمْتَلِكُ الْقُدْرَةَ عَلَى دَفْعِي إِلَى كِرَاهِيَةِ

هَذِهِ الْحَيَاةِ

الَّتِي أَمْضِيهَا بَيْنَ اللَّاشْفَافِيَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالْفِيزِيْقِيَّةِ

للبشر الواقعيين الذين معهم أعيش .

أوه ، الرحيل الرحيل ، كائنًا ما كان الحال ، وأيًا
كان الاتجاه ،

الرحيل ، الذهاب إلى الأمواج ، إلى الخطر ، إلى
البحر ،

المضيُّ إلى عُرْض البحر ، المضي إلى الخارج ، نحو
المدى المجرد ،

بلا تحديد ، عبر ليال مُبْهِمة عميقة ،

محمولاً كالعجاج مع الرياح ، مع العواصف !

الذهاب ، الذهاب ، الذهاب ، الذهاب مرّة واحدة !

كُلُّ دَمِي سَعَار من أجل الأجنحة !

جسدي كله ينقذف نحو الأمام !

وأنا أقفز كالسيل طوال تخيُّلاتي !

أدوسُ ، أزمرج ، أتهاوى .

رغباتي تتفجّر رغوّة

ولحمي يغدو موجة تتكسر في الوهاد الساحلية !

وإذ أفكر في ذلك - يا اللغيظ ! - إذ أفكر في ذلك -
يا للغضب ! -

وإذ أفكر في ضيق حياتي هذه المفعمة قلقاً
يجتاحني فجأة ، مرتجفاً ، متخطياً كلَّ حدٍّ ،
بذبذبة داعرة ، عنيفة ، شاسعة ،
لمقود مخيلتي الحي ،
الشبق المظلم والسَّادى لحياة البحر الخارقة ،
مُصفراً مدوّخاً .

إيه ، أيها البحّارة ، خَفَرَةُ الصواري ! إيه ، أيها
النوتيون ، الربابنة !

المَلّاحون ، القوَّادُ ، البحّارة ، المغامرون !
إيه ، يا ربابنة السفن ! رجال الدَّفَّة والصواري !
الرجال النائمون على أسرَّة خشنّة !
وأنتم من تنامون مع الحَطر مراقبين كلَّ شئ من
الكوى !

أيُّها الرجال النائمون مع الموت على وسادة واحدة !
الرجال ذوو المظلات ، ذوو الجسور التي منها
تشاهدون

الشساعة الشاسعة للبحر الشاسع !
أيها الرجال ، حمّالي رافعات الشحن !
إيه ، يامنزلي الأشرعة ، وقّادي الآلات ، النوادل !
يا مَنْ تشحنون الأقبية بالبضائع الواردة !
مَنْ تجذبون الحبال على ظهر السفينة !
من تنظفون معدن البُويّيات السفليّة !
رجال الدّفّة ! رجال الماكينات ! رجال الصواري !

Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

رجال الخُوذ المَقُونْسَة ! رجال القمصان المتّخذة
من الشّبّاك !

أصحاب المخاطف والرايات المطرّزة بالصليب على
الصدور !

الموشومون ! أصحاب الغلايين !
يا من اسودّوا من فرط تعرّضهم للشمس ،
واندبغت جلودهم من فرط الأمطار ،

أنقياء الأعين بفضل الشساعة المترامية المتاحة
لأبصارهم ،

نوى الأوجه الجريئة لكثرة ما تلقّوا من سياط
الرياح ،

Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

أيُّها الرجال الذين شاهدتم باطاغونيا !
الرجال الذين مرَّرتُم بأستراليا !
يَا مَنْ مَلَأْتُم أَبْصَارَكُمْ بالنظر إلى سواحل لن
أشاهدها أبداً !

وَحَلَلْتُم أَرْضاً بِأَرْضٍ لَنْ أَحُلَّ بِهَا الْبَتَّةُ !
يَا مَنْ اشترَيْتُم أشياء بدائية في مستعمرات جنب
الغابات !

وكلُّ ذلك فعلتموه كمن لا يفعل أيَّ شئ ،
كما لو كان ذلك طبيعياً تماماً ،
كما لو كانت الحياة هي ذلك بالذات ،
كَمَا لَوْ لم تكونوا بصدد إنجاز أيَّة مَهْمَّة على
الإطلاق .

Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

رجالَ البحر الراهن ! رجال البحر الماضي !
يا كوميساريَّ السفينة ! عبيدَ المراكب القديمة !
محاربى الليبانطو !

قراصنة عهد روما ! بحارة اليونان !
أيُّها الفنيقيون ! القرطاجنيون ! البرتغاليون

المنطلقون من ساغريس صوب المغامرة اللامحددة ،
صوب البحر المطلق ، لتحقيق المستحيل !

Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

أيها الرجال ! يا من رفعتُم نُصُباً تذكارية ، وأطلقتُم
على رؤوس البحار الأسماء !

الرجال الذين تاجرتم مع الزنوج للمرة الأولى !
مَنْ تاجرتم في البداية برقيق العالم الجديد !
مَنْ منحتم الزنجيات الذاهلات أولى تشنجات اللذة
الأوروبية !

أنتم مَنْ جَلَبْتُمُ الذهب ، الحلي الرخيصة ، الخشب
المعطر ، السهام المتخذة من النباتات الأخضر !
أيها الرجال الذين نهيتُم بلداناً إفريقية آمنة ،
وجعلتُم أولئك الناس يسمعون ضجيج المدافع ،
يا من قتلتم ، عذبتُم ، سرقتم ، فزتم بالجوائز على
بدعة ذلك المحنّي الرأس (1)

الذي كان يُهاجم أسرار البحار الجديدة

Eh-eh-eh-eh-eh !

إليكم كُلُّكُمْ فى واحد ، أنتم كُلُّكم فى الكلِّ كأنَّكُمْ
الواحد ،

أنتم كُلُّكُمْ ممزوجون ، متبادلون ،
إليكم جميعاً أيُّها السفاكون ، القساة ، الممقوتون ،
المرعبون ، المقدَّسون ،
إليكم جميعاً تحياتى ، تحياتى ، تحياتى !

Eh-eh-eh-eh-eh ! Eh-eh-eh-eh-eh !Eh-eh

Eh-eh-eh-eh-eh !

EL Lahó - Lahó - Lahó - Lahá - á- á- á- á- á!

أريدُ الذهابَ معكم ، أريدُ الذهابَ معكم ،
معكم كلُّكم فى نفس الوقت ،
إلى جميع الأماكن التى ذهبتُم إليها !
أريد أن ألقيَ وجهاً لوجه ما لأقيتم من مخاطر ،
أن أحس فى وجهى بالرياح التى خَدَدَتْ
وُجُوْهَكُمْ ،
أن أبصقَ من شَفَتَيَّ مِلْحَ البحار التى لثمتها
شفاهكم ،
أن أشارككُمْ أفعالكم ، أقاسمكُمْ ، عواصفكم ،

أَنْ أَصِلَ مَثَلَكُمْ ، فِي النِّهَايَةِ ، إِلَى مَوَانِي رَائِعَةٍ ،
أُرِيدُ الْفِرَارَ مَعَكُمْ مِنَ الْحَضَارَةِ !
مَعَكُمْ أُرِيدُ أَنْ أَفْقِدَ الْحَسَّ الْأَخْلَاقِي !
أَنْ أَحْسَّ بِتَغْيِيرِ إِنْسَانِيَّتِي هُنَاكَ فِي عَرْضِ الْبَحْرِ !
أَنْ أَتَشَرَّبَ مَعَكُمْ ، فِي بَحَارِ الْجَنُوبِ ، هَمَجِيَّاتٍ
جَدِيدَةٍ ،

خَضَّاتٍ جَدِيدَةٍ لِلرُّوحِ ، نِيرَانًا جَدِيدَةً لِرُوحِي
الْبِرْكَانِيَّةِ !

أُرِيدُ الْمَضِيَّ مَعَكُمْ وَالتَّجَرُّدَ - أَوْهُ لَتَغْرُبُ مِنْ هُنَا ! -
مِنْ بَدَلَةِ الْمُتَحَضِّرِ ، مِنْ رَخَاوَةِ أَفْعَالِي ،
مَنْ خَوْفِي الْفَطْرِي مِنَ السَّجُونِ ،
مَنْ حَيَاتِي الْمَسَالِمَةِ ،

مَنْ حَيَاتِي الْقَعِيدَةِ ، الْجَامِدَةِ ، الْمَضْبُوطَةِ
وَالرَّصِينَةِ !

إِلَى الْبَحْرِ ، إِلَى الْبَحْرِ ، إِلَى الْبَحْرِ ، إِلَى الْبَحْرِ ،
إِيهِ ، إِلَى الْبَحْرِ اقْذِفُوا بِحَيَاتِي ، إِلَى الرِّيحِ ، إِلَى
الْأَمْوَاجِ !

مَلَّحُوا بِالزَّبَدِ الَّذِي تَذُرُّهُ الرِّيحُ
نَوَاقِي الْمَتَعَطِّشِ لِلْأَسْفَارِ الْكَبِيرِ !

اجلِدُوا بسوط المياه لحوم مغامرتي ،
بَذَلُوا بَبَرْد المحيطات عظام كينونتي ،
اجلِدُوا ، اقطعوا ، ادبَعُوا بالرياح ، بالزُّبد ،
بالشموس كينونتي الإعصارية والمحيطية ،
أعصابي المشدودة مثل الحبال ،
مثل قيثاره في يد الريح !

أَجَلْ ، أَجَلْ ، أَجَلْ ... اصليبوني على مَسْتَنٍ
الإبحارات ،
وَلَيْلَتَدَّ بالصليب ظهري ،
أَوْ ثَقُونِي إلى الأسفار كما لَوُ إلى عمودٍ
يتوغلُّ في حَتَّى عَمُودِي الفقري
وسأحسُّ به مثل تشنُّج فسيح وَلَيْنِ !
افعلوا ما تشاؤون بي ، عَلَى أَنْ يَتَمَّ ذلك في
البحار .

على جسور السفن ، مع هدير الأمواج
خَوْزُقُونِي ، اقتلونِي ، اطعنوني !
مَا أَرْغَب فيه هو أَنْ أحمل إلى الموت
روحاً طافحة بالبحر ،

سَكْرَى حَتَّى التَّرْنُحُ بِأَشْيَاءَ الْبَحْرِ ،
بِالْبَحَّارِينَ ، كَمَا بِالسَّوَاهِلِ الْبَعِيدَةِ ، كَمَا بِعَوِيلِ
الرِّيَّاحِ بِالْمَرَاسِي وَالْحَبَالِ
بِعُرْضِ الْبَحْرِ مِثْلَمَا بِالرَّصِيفِ ، بِالْغُرُقِ فِي السَّفَنِ
كَمَا بِالْإِبْحَارِ التَّجَارِيِّ الْهَادِي ،
بِالصُّوَارِيِّ كَمَا بِالْأَمْوَاجِ .
أَنْ أَحْمَلَ إِلَى الْمَوْتِ بِأَلَمٍ وَشَهْوَانِيَّةٍ ،
كَأَسَا مِثْرَعَةً بِأَعْلَاقٍ تَمْتَصُّ ، وَتَمْتَصُّ ،
أَعْلَاقَ غَرِيبَةٍ خَضِرَاءَ بِحَرِيَّةٍ تَمْتَصُّ !
اصْنَعُوا حَبَالَكُمْ مِنْ عُرُوقِي !
ارْبِطُونِي مِنْ عُضَلَاتِي !
اسْحَلُّوا جِلْدِي ، سَمِّرُونِي عَلَى الرَّافِدَاتِ ،
وَلَا تُكُنْ قَادِرًا أَنَا عَلَى الْإِحْسَاسِ بِأَلَمِ الْمَسَامِيرِ ،
إِحْسَاسًا لَا أَتَخَلَّى عَنْهُ أَبَدًا !
مَنْ قَلْبِي اصْنَعُوا رَايَةَ أَمِيرَالٍ
كَسَاعَةِ الْحَرْبِ عَلَى السَّفَنِ الْعَتِيقَةِ ،
لِتَدْعَسُوا عَلَى جَسُورِ السَّفِينَةِ عَيْنِيَّ الْمَسْمُوتَيْنِ !
كَسِّرُوا عِظَامِي عَلَى وَاجِهَاتِ السَّفَنِ !

اجلدوني مؤثّقاً إلى الصواري ، اجلدوني
اجعلوني عُرْضة لرياح كل الجهات ، عرضاً وطولاً
اسفحوا دمي فوق المياه مندفعاً
تجرُّ مظلة السفينة من جهة إلى أخرى
نحو رَجّة العواصف الهوجاء .
أريدُ أن أملك الإقدام إزاء الريح العاصفة
بالأشعة !
أن أكون ، مثل الصواري العالية ، الصفيّر المغول
للرياح !
قيثارةُ القدر العتيقة قَدَر البحار التي تعجُّ
بالأخطار ، أن أصيرَ أغنيةً كي يَسْمَعها البحارة من غير
أن يُردّدوها أبداً !
البحارة المتمرّدون منْ
شَنَقُوا رَبَّانَهُمْ على إحدى العوارض .
وَأَنزَلُوا غَيْرَهُ على جزيرة خالية .
شمس المدارات هي التي دَسَّتْ حُمَى القرصنة
القديمة هذه في شراييني الحامية .
رياح ياطاغونيا وَشَمَتْ مُخِيلَتِي
بمشاهد فاجرة مأسويّة .

النار ، النار ، النار بِداخلي

الدم ! الدم ! الدم !

دماغى كُلُّهُ ينفجر !

العالم أجمع يتشظى حمماً حمراء

فى داخلى تتفجّر ، وَحشية شَرِهَةٌ

أغنية القرصان الأكبر ،

احتضارُ القرصان الأكبر الهادرُ مغنياً ،

مَالِئاً رِجَالَهُ رُعباً حَتَّى كَوُتِلِ السفينة ،

مُحتَضِراً ، زاعقاً ، مُغنياً .

« خمسة عشر رجلاً فوق صدر الرجل الميت

يَاهُو — هُو مع قَنِينَةٍ من رُوم ! »

ثم صارخاً بصوت غريب يُدَوِّى فى الهواء :

Darby M' Graw - aw - aw - aw - aw !

Darby M' Graw - aw - aw - aw - aw- aw !

Fetch - a - a - afthé ru - u-u-u-u-u-um, Darby !

أَلَا مَا أُرْوَعَ تلك الحياة ! تلك كانت الحياة ... أَلَا

I Eh - eh- eh-eh-eh - eh- eh !

Eh - Lahó - Lahó - Lahó - Lagó -á-á-á-á !

Eh - eh- eh- eh-eh-eh- eh !

رافداتٌ مكسّرة ، سُفنٌ مُغرّقة ، دَمٌ فى البحار !

جُسورٌ سُفنٌ مُترعة بالدماء ، مِرَقٌ أجساد !

أصابعٌ مبتورةٌ فوق حبال السفينة !

رُؤوس أطفالٍ هنا وهناك !

أشخاصٌ بأعينٍ مَسْمُولةٍ يصرُخون ، وَيَعُوون !

Eh - eh- eh- eh-eh-eh- eh-eh- eh !

Eh - eh- eh- eh-eh-eh- eh-eh- eh !

أطوقُ كُلَّ ذلكِ نفسى كَمَنْ يَتَدَثَّرُ بمعطفٍ فى

البرد .

وأحتكُ بذلك كُلَّ احتكاكِ قطّةٍ متهيّجةٍ بجدار .

أزُرُ مثلَ أسدٍ يتضورُ جوعاً لذلكِ كله !

أندفعُ مثلَ ثورٍ مجنونٍ نحو تلكِ الأشياءِ كلها !

أغرِزُ الأظافرَ ، أقطعُ المخالبَ حتّى لَتَدْمَى من العَضِّ

نواجذى !

Eh - eh- eh- eh-eh-eh- eh-eh !

فجأة تنفجر الصيحة جنب الأذان

مثل بوق مجاور ،

الصيحة القديمة مزلزلةٌ معدنية ، في هذه الساعة ،

صِيْحَةُ نَدَاءِ الْفَرِيْسَةِ الَّتِي تُرَى ،

نداء السفينة الشراعية التي سُمِّتَتْ:

Ahó - óóóóóóóóóóó-yyy...

Schooner ahó - óóóóóóóóóóóó-yyy...

العالم أجمع لا وجود له بالنسبة إليَّ! اشتعل
احمراراً!

أُزْمِجْ فِي هَيْجَانِ نَزَاعٍ لِلصِّدَامِ !

أنا القرصان - الأعلى ، القيصر - القرصان أنهبُ ،
أقتل ، أفترس ، أمزق !

لا أَحْسُ سِوَى الْبَحْرِ ، بِالْفَرِيسَةِ ، بِالْزُهَبِ !

لا أحس سوى بخفقان الأوردة في داخلي !

ما تُحْسُهُ عَيْنَايَ يَجْرِي دَمًا سَاخِنًا أُمَامِي :

Eh - eh- eh- eh-eh-eh- eh-eh- eh !

أوه ، أيُّها القراصنة ، القراصنة ، القراصنة !

أُـمـقـتـوـنـي وأـحـبـوـنـي أيـها القـرـاصـنة !

اعْجِنُونِي بِكُمْ أَيُّهَا الْقَرَاصِنَةُ !

يَا لِهِيَاجِكُمْ وَقَظَاظَتِكُمْ كَيْفَ يَخَاطِبَانِ دَمَ جَسَدِ
أُنْثَوِي كَانَ جَسَدِي مِنْ قَبْلِ وَمَا زَالَ شَبَقَهُ عَلَى قَيْدِ
الْحَيَاةِ !

أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ حَيَوَانًا يَمِثُّ جَمِيعَ إِشَارَاتِكُمْ ،
حَيَوَانًا يَغْرُزُ الْأَسْنَانَ فِي الْحَبَالِ ، فِي الرَافِدَاتِ ،
يَلْتَهُمُ الصَّوَارِي ، يَشْرَبُ الدَّمَ وَالْقَطْرَانَ فِي جَسُورِ
السَّفَنِ ،

يَمِزُّقُ الْأَشْرَعَةَ ، الْمَجَازِيفَ ، الْبَكَرَاتِ وَالْحَبَالَ ،
أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ
حَيَّةً بَحْرَ أُنْثَوِيَّةٍ فَطِيعَةً لَا تُسَمِّنُهَا سِوَى الْجَرَائِمِ !

ثَمَّةٌ سِنْفُونِيَّةٌ إِحْسَاسَاتٍ مُتَنَافِرَةٌ مُتَنَازِلَةٌ ،
فِي دَمِي تَصْدَحُ أَوْرَكَسْتِرَا ضَجَّاتٌ وَجَرَائِمٌ ،
ضَجَّاتٌ مُتَشَجِّجَةٌ مِنْ تَهْتُّكِ الدَّمِ فِي الْبَحَارِ ،
فَوَارَةٌ كَعَاصِفَةٍ مِنْ حَرَارَةِ فِي الرُّوحِ ،
ثَمْتُ غَمَامَةٍ مِنْ عَجَاجٍ تُغَيِّمُ صَحْوِي فَتَجْعَلُنِي أَرَى

وأحلم بذلك كله بالجلد والأوردة فحسب .

القراصنة ، القرصنة ، المراكب ، الساعة ،

تلك الساعة البحرية التي هُوجِمَتْ فيها الفرائس ،

تلك التي يغدو فيها رُعب الأسارى هروباً نحو
الجنون - تلك الساعة بمجموع جرائمها ، بالرعب ،
المراكب ، البشر ، البحر ، السماء ، الغيوم ، النسيم ،
الطول ، العرض ، الصراخ ،

لطالما رغبت لو أن جسدِي كان جزءاً من ذلك الكلِّ
معانياً ذلك الكل ، متألماً ، جسدِي ودمي ، كينونتي كلها
أحوّلها إلى الأحمر القاني لَدَى تَفْتُحِهِ تَقْتُحُ طَعْنَةُ تَتَأَكَّلُ
دم رُوحِي الوهمي .

آه ، أن أكون كل شيء في الجرائم ! أن أكون كل
العناصر المكوّنة للاعتداءات على المراكب ، للمذابح
والاغتصابات !

أن أكون في كل أماكن النهب ! أن أكون من نهبوا
ومن نُهبوا !

أن أكون من عَاشَ أَوْ بَلَغَ الأوج في أماكن
التراجيديات الدموية !

أن أكون القرصان - المختزل للقرصنة كلها في

والضحية - الصفوة ، لكن من لحم وعظم ، لجميع
قراصنة العالم !

أن أكون فى جسدي السلبي المرأة - كُلُّ النساء
المغتصابات ، المقتولات ، الطَّعِينات ، الممزَّقات على يد
القراصنة !

أن أكون فى كينونتي المغلولة تلك الأنثى التى
ينبغي ألا تكون إلا هى !

وأن أحسُّ ذلك كله - بجميع تلك الأشياء دفعة
واحدة - فى العمود الفقرى !

أوه ، أبطالى المشعرين الفَظَّة ، أبطال المغامرة
والجريمة !

وَحُوشى البحرين ، أزواج مخيلتى !
أيها المعشوقون الصَّدُفِيُّونَ لحَسَاسِيَّتِي الزائفة !
أريد أن أكون المرأة التى تنتظركم على الموانئ ،
أنتم مَعشوقى دَمها القَرُصَنىُّ الأثيرين فى
الأحلام .

لأنَّ لها معكم ، وإنْ فى الروح وحدها ، ارتعاشات
الجثث العارية للضحايا التى أَلقيتم بها للبحر .
لأنَّها هى التى رافقتْ جرائمكم ، وفى سهرات

المحيط التهنئية رقصت روحها الكاهنية ، رقصتها
الأمريئة على حركات أجسادكم ، خناجركم ، أيديكم
الخنافة .

ولأنها إذ تنتظر على اليابسة مجيئكم ، إن
كنتم تجيئون ، لذاهبة لتعب من زئير عشقكم ،
كل الشساعة كل العبير الغائم والكارثي
لانتصاراتكم ، وعبر تشنجاتكم سيعلو صفير ضجة
حمراء مصفرة .

اللحم الممزق ، اللحم المفتوح والمبقور ، الدم الجارى !
الآن ، فى أوج الحلم الخاطف بما فعلتموه ،
أهرب من ذاتي كلها ، فأنا ماعدت منتسباً إليكم ،
لقد أصبحت أنا أنتم ، وأنوثتى هذه التى ترافقكم إنما
هى أرواحكم بالذات .

أريد أن أكون فى صميم همجيئكم عند ممارستكم
إياها !

أن أمتص من الداخل وعيكم بإحساساتكم عندما
كنتم تخضبون بالدم أعالي البحار ،

عندما كنتم تقذفون من حين إلى آخر لأسماك
القرش بأجساد جرحى مازالوا أحياء وبحلم الأطفال
الوردي ، ثم تأخذون الأمهات إلى مقدمة السفينة كى

يَتِمَكَّنُ مِنْ مُعَايِنَةِ مَا يَحْدُثُ !

أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ فِي الذَّبْحِ وَالنَّهْبِ !

أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ أَوْ رَكُسْتِرَا لِسِنْفُونِيَةِ الْقِرْصَنَةِ !

آه . وَلَا أَعْرِفُ مَاذَا وَلَا كَمْ مِنْ شَيْءٍ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ
مِنْكُمْ !

لَا فَقَطْ أَنْ أَكُونَكُمْ الْأُنْثَى ، أَكُونَكُمْ الْإِنَاثَ جَمِيعاً ،
أَكُونَ أَنَا أَنْتُمْ الضَّحِيَّةُ ، أَنَا أَنْتُمْ الضَّحَايَا - رَجَالاً ، نِسَاءً ،
أَطْفَالاً ، مُرَاكِبَ - ، وَلَا أَنْ أَكُونَ السَّاعَةَ وَالْمُرَاكِبَ
وَالْأَمْوَاجَ فَحَسْبَ ، أَوْ أَنْ أَكُونَ أَرْوَاحَكُمْ ذَاتَهَا ،
أَجْسَادَكُمْ ، غَضَبَكُمْ ، تَمَلُّكَكُمْ ، وَلَا أَنْ أَكُونَ الْفِعْلَ الْمَجْرُودَ
لِتَهْتِكُكُمْ ، كَلَّأً ، لَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ هَذَا وَحْدَهُ ، بَلْ أَكْثَرَ مِنْ
هَذَا : إِلَاهَا - لِهَذَا كُلِّهِ ، عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ إِلَاهَا ، إِلَاهَا لِعِبَادَةِ
مَعْكُوسَةٍ ، إِلَاهَا مُرْبِعاً وَشَيْطَانِيَا ، إِلَاهُ حُلُولِيَّةِ الدَّمِ ،
حَتَّى أَمْنَحَ الْقُوَّةَ كُلَّهَا لَغَضَبِي الْمُتَخَيَّلِ ، حَتَّى لَا أَسْتَنْفِدَ
أَبْدَأَ رَغْبَاتِي فِي التَّمَاهِي مَعَ انْتِصَارَتِكُمْ بَعْضُنَا وَكُلَّآ
وَمَعَ مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ .

آه ، عَذَّبُونِي لِأَشْفَى ، مِنْ لَحْمِي اصْنَعُوا الْهَوَاءَ

الذى تقطعه سكاكينكم قبل أن تهوي على الكواهل
والرؤوس !

لتكن سرايبنى الثياب التى تنفذ السكاكين منها !
ومخيلتي هى جسد النساء الذى اغتصبتموه !
وليكن ذكائى الجسر الذى تمارسون فيه القتل على
قدم وساق !

كل حياتى فى مجموعها العصبى ، الهستيرى ،
اللامعقول ،

هى الجهاز الأكبر الذى فيه يتحول كل فعل قرصنة
مقترف إلى خلية واعية ، وأنا كللى ألف وأدوم ،

مثل عفونة شاسعة متموجة
وقد صرت مسرّحاً لذلك كله !

الآلة المحمومة لرؤاى الجموح تدور الآن
بسُرعة مُفرطة رهيبة ، بينما وعيى ، مقودى
مجرد دائرة مظلمة تُصفر فى الهواء :
« خمسة عشر رجلاً فوق صدر الرجل الميت
يوها - هو - هو قنينة من روم ! »

Eh-Lahó-Lahó-Lahó ... Lahá-á-ááá-ááá ...

أوه ، لوَحشية هذه الوحشية ، إلى الخراء كُلِّ حياةٍ
تشبه حياتنا التي ليست شيئاً من هذا كُلِّه !
ها أنَذَا طوع أيديكم ، أنا المهندس ، العَملي
الحساس بكل شيء ،
هنا تجدونني ، مشلولاً حتى عندما أمشي ، قياساً
بكم ؛

خاملاً حتى عندما أعمل ؛ واهناً حتَّى عندما أشتدُّ ؛
جامداً ، مُحبطاً ، مُتناقضاً خائفاً من هالةِ مجدكم ،
من ديناميتكم الهائلة الخارقة ، الساخنة الدموية .
ويحي ! ما أعجز فعلي عن مُجاريةِ هَذَياني !
ويحي ! دائماً أسيرُ متعلّقاً بأذيالِ الحضارة !
أَجْرُ العَادَاتِ المهذّبة فوق ظهري مثل إبالةِ دانتيلا ،
يَالنّا منُ حمّالينَ للإنسانوية الحديثة !
إنّها نوبات مَسْلُولٍ ، نورستينيّ لمفاويّ نوباتُ
شخص بلا شجاعة ولا جسارة ،
ذي رُوح تشبه دجاجةً مُعلّقة من رجل واحدة !

أوه ، القراصنة ! القراصنة !
إنّه التعطُّش للهمجيّ متّحداً باللاقانوني ،

التعطُّشُ للأشياء المطلقة القسوة والوحشية وهى
تقضمُ مثلَ اغتالَمٍ مجردٍ أجسامنا النحيلةً ،
أعصابنا الأنثوية الرقيقة ،
وتدسُّ حمى جنونية فظيعة فى نظراتنا الفارغة !
أجبروني على الركوع أمامكم !
أهينوني واجلدوني !
صَيِّرُونى عبداً لكم وشيئاً من أشيائكم !
وليبق احتقاركم لى حيأ فى لا يبرحُننى أبداً ، أوه ،
يا أسيادى ! أسيادى !

لنأخذ دوماً باعتزاز بالجزء الخاضع لأحداث الدم
والحساسيات الشاقة !
لتنهأروا من فوقى مثل جدران هائلة ثقيلة ، أوه
يا برابرة البحر القديم !
مزقوني واجرحونى !

خططوا بالدم لحمى من شرق جسدى إلى غربه !
قبلوا بالسكاكين البحرية والسُّعار والسياط رُعبى
اللحمى الفرحان بالانتساب إليكم ، عطشي المازوخي

فِي أَنْ أَمْنَحَ ذَاتِي لَغَضَبِكُمْ ، أَنْ أَكُونَ مَوْضُوعاً جَامِداً
وَمُطِيعاً لِفُظَاظَتِكُمُ الَّتِي تَلْتَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ ، أَيُّهَا الْمَهِيْمُونَ ،
الْأَسْيَادُ ، الْبَاطِرَةُ ، الْجِيَادُ !

أَه ، عَذِّبُونِي ،

مَزَّقُونِي ، افْتَحُونِي !

كَيْ أَنْفَكَّكَ إِلَى قِطْعِ حَيَّةٍ ،

اسْفَحُونِي فَوْقَ الْجُسُورِ ،

بَعَثَرُونِي فِي الْبَحْرِ ، أَسْلُمُونِي

لِلشَّوْاطِئِ الْمَتْلَهِّفَةِ فِي الْجَزْرِ النَّوْاثِي !

سَمِّنُونِي بِكُلِّ الْعَشَقِ التَّصَوُّفِيِّ الَّذِي أَكُنْهُ لَكُمْ !

انْقَشُوا بِالْدَمِ رُوحِي ،

مَزَّقُوا ، شَقُّوا !

أَوْه ، يَا وَشَامَ مُخِيلَتِي الْجَسَدَانِيَّةِ ،

السَّالِّخِينَ الْمَحْبُوبِينَ لَخُضُوعِي الشَّهْوَانِي ، أَذْلُونِي

كَمَا تُذْلُونَ أَيَّ كَلْبٍ تَقْتُلُونَهُ بِرَأْسِ قَدَمِكُمْ !

اجْعَلُوا مِنِّي بَيْئراً لَأَزْدُرَّائِكُمُ التَّسْلُطِي !

اجْعَلُوا مِنِّي كُلَّ ضَحَايَاكُمْ مَرَّةً وَاحِدَةً !

مِثْلَ الْمَسِيحِ الَّذِي تَأْلَمُ مِنْ أَجْلِ الْبَشَرِ كَافَّةً ، أُرِيدُ

أن أتألم من أجل جميع الضحايا الذين قُتلوا على
أيديكم !

أيديكم الحديدية ، السفّاحة ، المبتورة الأصابع فى
الاعتداءات الغادرة على وأجهات السفن !

اجعلوا منى شيئاً ما ، أى شىء ، كما لو كنتُ
مجروراً - أوه يالللذة ، أوه يالللألم الملتئوم ! -

بأذئاب خيول أللهبتموها أنتم بالسيّاط ... ،
لكن ليكن هذا كله فى البحر ، فى البحر ، فى الب - ح -
ح - حر !

Yeh-eh-eh-eh-eh-eh-eh ! Yeh-eh-eh-eh-eh-eh-eh !

كلُّ شىء يصيح ، كل شىء صياح ! رياح ، أمواج ،
سفن ، بحار ، أشرعة ، قراصنة ، روحى تصيح ، الدم
والهواء ، الهواء !

Eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh ! Yeh-eh-eh-eh-eh-eh-eh !

الكلُّ مع الصياح يغنى :

خمسة عشر رجلاً على صدر الرجل الميت
يو - هو - هو - مع قنينة من روم

Eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh ! Eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh !

Eh-Lahó - Lahó-LaHo-O-O-óó Lahá - áá-ááá !

AHO-o-o-o-o-o-o-yyy ! ...

ScHooNERAHO-o-o-o-o-o-o-yyy !...

Darby M' Graw - aw-aw-aw-aw-aw-aw !

DARBY M' GRAW - AW-AW-AW !

FETCHT A-A-AFT THE RU-U-U-U-U-UM

DARBY !

EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH !

EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH !

EH-eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh !

EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH !

شئ ما يتحطم فجأة في . بحمرة الأصيل يتلون
الإمساء .

لقرط ما أحسست لم أعد قادراً على مواصلة
الإحساس .

لقد استنفدت الروح ، ولم يبق سوى الصدى في
داخلي .

سرعة المقود تنخفض بشكل ملحوظ .
أحلامي تنزع قليلاً يدي عن عيني .

لا يُوجدُ فى داخلي سوى فراغ ، صحراء ، بحر
ليلي .

هو ذلك البحر الليلي الذى ما إن أحس به داخلياً ،
هكذا ،

حتى تَصْعُدُ مِنْ بُعْدِهِ ، وتُولَدُ مِنْ صمته ،
مرّةً وأخرى الصبيحة الشاسعة الموغلة فى القدم .
فجأةً يُطَوِّقُ كُلَّ الأفق البحرى ،
صخبٌ بشرى ليلى مُظلمٌ رطيب ،
صوتٌ حوريّةٍ بحريّةٍ ، بعيدٌ ييكى وينادى ،
قادمًا من أعماق الأقاليم ، من عمق البحر ، من روح
المهاوي ،

وعلى سطحه تَطْفُو كالطحالب أحلامى المحطّمة ...

Ahó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-yyy ...

Schooner ahó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-yyy ...

أوه ، ياللّندى يَغْمُرُ هيجانى !

ياللطراوة الليلية فى محيطى الداخلى !

وهنا كُلُّ ما فى بغتةٍ وجهاً لوجه أمام ليلة فى البحر
مفعمةٍ بالغوامض الإنسانية المهولة للأمواج الليلية .

البدر يطلع فى الأفق

وطفولتي السعيدة تستيقظ مثل دمعةٍ فيّ .

يستيقظ الماضي كما لو أنّ تلك الصيحة البحرية
كانت عبيراً ، صوتاً ، صدى أغنية ستدعو من ماضيّ
السحيق تلك السعادة التي لن أحظى بها أبداً من جديد .

كان ذلك فى المنزل العتيق الهادئ على ضفة النهر ...

(نوافذ غرفتي ، نوافذ غرفة الطعام أيضاً كانت
تُطلُّ على بضعة منازل خفيضة جنب النهر القريب ، نهر
التاج ، نفس هذا التاج ، ولو أنّه أكثر انخفاضاً فى موقع
آخر ...

لَوْ أَطَّلْتُ الآنَ مِنْ نَفْسِ النَوَافِذِ

فَلَنْ أَطْلُ أَبَداً مِنَ النَوَافِذِ نَفْسَهَا .

لَقَدْ وَلَّى ذَلِكَ الزَّمَنُ مِثْلَ دُخَانٍ بَاخِرَةٍ فِي أَعَالِي
البحار) .

حَنَانٌ لَا يُفَسِّرُ ،

نَدَمٌ دَامِعٌ مَنفَعِلٌ

من أجل كل الضحايا - خاصة منهم الأطفال -

الذين حلمت بصنعهم وأنا أتخيل نفسى قرصاناً
قديماً ،

انفعال مُربكٌ لأنهم كانوا ضحاياى ،
 انفعالٌ حنونٌ عذبٌ لأنهم لم يكونوا ضحاياى فعلاً ،
 حنانٌ ملتبسٌ مثل زجاج نافذة مزرُق ، كامد ،
 ينشد أغانى عتيقة داخل رُوحى المسكينة المتألّمة .
 أوه ، كيف استطعتُ التفكير والحلم بتلك الأشياء ؟
 ما أبعدني الآن عمّن كنتُ منذ لحظات !
 إنها هستيريا أحساسيس متناقضة ، تارة هذه ، تارة
 تلك .

كيف فى تنامي شُقرة الصباح لا تختار أذنى
 سوى الأشياء المتلازمة مع هذا الإحساس : هدير
 الماء ،

الخيرير الخفيف لماء النهر مُتكسراً على
 الرصيف ... ،

المركب الشراعى لدى مروره قريباً من ضفّة النهر
 الأخرى ،

التلال النائبة ، ذات الألزُورد اليابانى ،

منازل الأملادا (2) .

لكمّ ثمة من نعومة وطفولية فى الساعة

الصبحية ... !

يَمُرُّ نورس

فيكبرُ حنانى .

لكن خلال ذلك الزمن كله لَمْ أُنْتَبِهْ لشيء .

كل شيء كان مجرد انطباع فى الجلد يُشبه المداعبة .

طوال ذلك الزمن لم أبعد عَيْنِيَّ عن حُلْمِي البعيد ،

عن منزلى العتيق جنب النهر ،

عن طفولتى النهرية ،

عن نوافذ غرفتى المطلَّة على النهر ليلاً

وعلى السكينة النورانية للقمر مبعثراً فوق المياه

وخالتى العجوز التى أَحْبَبْتَنِي بَدِيلاً لابنها الذى
تُكَلِّمُهُ ... ،

خالتى العجوز التى اعتادتُ أَنْ تُهْدِدَ نَوْمَتِي

مغنية :

(لَكُمُ صرْتُ كبيراً على ذلك ، قياساً بمن كنتُ !)

أَتَذَكَّرُ ، والدموع تنهمر على قلبى ، فتغسل منه

الحياة ،

وثمَّتَ نسيم بحريٌّ خفيف يتصاعد بداخلى .

أحيانا كانت تغنى لى « مركب كاطرينيطا » :

« هناك يمضى مركب كاطرينيطا فوق مياه البحر

يمضي ... »

أحيانا أخرى كانت تغنى تلك الميلودراما
القروسطية المشبعة نُوسطالجية عن الأميرة الجميلة ...
أتذكّر والصوت العجوز ينحفر فى ، وأتذكّر كم كان
نادراً فيما بعدُ تذكّرى إياها ؛ كم كان كبيراً حبُّها
إياى !

كم كنت جحوداً معها ! - وفى النهاية ، ماذا فعلتُ
بالحياة ؟

كانت الأميرة الجميلة ... وأنا كنتُ أغمض الجفنين
وهى تغنى :

« بينما الأميرة الجميلة

فى حديقتها جالسة ... »

ثمّ أفتح العينين فأرى النافذة مغمورة بضياء القمر ،
وبعدّها أطبقُ الجفنين ثانية ، وأنا سعيد بذلك كلّهُ .

هى الأميرة الجميلة

فى حديقتها جالسة

تمشط الضفائر

بمشط ذهبى فى اليد ...

أوه ، ماضى الطفولى ، يادُميتى التى حطّموها !

من أين لى أن أسافر إلى الماضى ، إلى تلك الدار ،
إلى ذلك الحزن العطوف ، ثم أمكث هناك على الدوام ،
طفلاً على الدوام ، سعيداً على الدوام ؟!

لكن ذلك كله محض ماضٍ ، مجرد فَنار فى زاوية
شارع عتيق .

لا يَهَبُ التفكير فيه غير البرد ، غير الجوع لأشياء
لا يمكن امتلاكها .

التفكير فيه لا يمنحنى سوى نَدَم بلا معنى .

أوه ، أيتها الزوِجَةُ البطيئة لإحساسات متضاربة !
أيُّها الدُّوار الخفيف ! دُوار الأشياء الغامضة فى
النفس !

ثمت هياجات مبهضة ، موجات حنان تشبه بكرة
خيوط يُلْهُو بها الأطفال ، انهيارات هائلة للمخيِّلة تحت
أنظار الحواس ، دموع ، دموع لا مُجدية ،

نَسَمَات خفيفة من الإحساس المتناقض تحتك عبر
بالوجه ، بالروح ...

أستعينُ بقوة الإرادة للخروج من هذا الانفعال ،

أُستنجد بجهد يائس ، يابِس ، فَارِغ ،
 بأغنية القرصان الأكبر عندما ماكان يحتضر :
 « خمسة عشر رجلاً على صدر الرجل الميت
 يو - هو - هو مع قنينة من روم »
 لكنَّ الأغنية خُطُّ مستقيم خُطُّ فى داخل برَداءه ...
 أُستجمع قواى ، وأتمكَّنُ من استحضارها ثانية
 أمام أعين روى ،
 لكن عبر مخيلة أدبية تقريباً ،
 أتمكَّنُ من استحضار أوج القرصنة ، أعداد الموتى ،
 التعطُّشَ الحنكى تقريباً للتخريب ،
 المذبحة المجانية للنساء والأطفال ،
 التَّعذيب المجانى للمسافرين المساكين ، فقط بقصد
 التسلية ، شهوة تحطيم أعزِّ الأشياء لَدَى الآخرين .
 لكننى أتخيَّل ذلك كُلُّه مع خوفٍ من شئٍ معيَّن
 أَتَنَفَّسه من قفاى .
 وَأفكِّرُ أَنَّهُ سيكون مُفيداً
 شنق الأبناء تحت أعين أمهاتهم
 (لكننى أحسُّنى أمهاتهن رَغْماً عَنى)

أَوْ دَفَنَ صَغَارَ مِنْ ذَوَى الْأَرْبَعَةِ أَعْوَامَ أَحْيَاءَ فِي
جَزَرٍ خَلَاءَ أَمَامَ أَعْيُنِ آبَائِهِمُ الْمُسَوِّقِينَ لِرُؤْيَيْتِهِمْ فِي
مَرَكَبٍ شِرَاعِيَّةٍ

(لَكُنْتَنِي أَقْشَعْرُ عِنْدَ تَذَكُّرِي الْإِبْنَ الَّذِي لَا أَمْلِكُهُ وَهُوَ
يَنَامُ بِهَدُوءٍ فِي الْبَيْتِ) .

أَسْتَثِيرُ رَغَبَاتٍ فِيَّ بَارِدَةً فِي اقْتِرَافِ جَرَائِمِ
بَحْرِيَّةٍ ،

فِي تَفْتِيشٍ بِدُونِ تَبْرِيرٍ مِنَ الْإِيمَانِ ،
فِي جَرَائِمِ لَا تَبْرُرُ حَتَّى الْقِسَاوَةِ أَوْ الْجَنُونِ
الْأَهْوَجِ ،

جَرَائِمِ مَقْتَرَفَةٍ بِبُرُودٍ ، بِدُونِ حَتَّى نِيَّةِ الْإِيذَاءِ ،
وَلَا حَتَّى التَّسْلِيَةِ ، وَإِنَّمَا لَتَمْضِيَةِ الْوَقْتِ فَحَسَبِ ،
كَمَنْ يَلْعَبُ الْوَرَقَ بَعْدَ الْعِشَاءِ بِمُفْرَدِهِ عَلَى مَائِدَةِ
طَعَامٍ رَيْفِيَّةٍ وَقَدْ طُوِيَتِ السَّفُرَةُ حَتَّى الْجِهَةِ الْأُخْرَى مِنَ
الْمَائِدَةِ ، فَقَطْ بِقَصْدِ التَّلَذُّذِ النَّاعِمِ بَارْتِكَابِ جَرَائِمِ فُظْيَعَةٍ
ثُمَّ اكْتِشَافِ أَنَّهَا لَيْسَتْ أَمْرًا ذَا شَأْنٍ ، وَمَشَاهِدَةِ مَنْ
يَتَأَلَّمُونَ لِذَلِكَ حَتَّى الْجَنُونِ ، أَوْ حَتَّى الْمَوْتِ أَلَمًا ، وَإِنْ لَمْ
يَتِمَّ بُلُوغُ الْمَوْتِ أَبَدًا ...

غَيْرَ أَنَّ مَخِيلَتِي تَأْبَى مُرَافَقَتِي

وثمة قشعريرة تستبدُّ بي .

وبغتهُ ، وبأسرَعَ ممَّا جرى فى المرة السابقة ،

وَمِنْ نقطةٍ أبعد وأعمق ،

بغتهُ - أوه للرب يسرى فى عروقي كلها ،

أوه للبرودة المنبعثة من بوابة السرِّ لدى انفتاحها

لإتاحة دخول تيار هواء ! -

بغتهُ أتذكُّر الله ، أتذكُّر متعاليات هذه الحياة ، بغتهُ

الصوتُ القديم للبحار الإنجليزى جيم بارنس الذى كنت

أكلِّمه ، وَقَدْ غَدَا صوت الحنَّاتِ المبهمه فى داخلى ،

صوت الأشياء الصغيرة والحميمة لحضن الأم

وصوت شريط ضفيرة الأخت لكنْ منبثقاً بخرافية

من وراء ظواهر الأشياء ، إِنَّهُ الصوت الأصمُّ النَّائى

وقد أضحى صوتَ المطلق ، صوتاً بلا فم قادماً من فوق

ومن داخل العزلة الليلية للبحار ، ينادينى ، ينادينى ،

ينادينى ...

صوتاً أصمَّ يأتى ، كأنَّما يُسمعُ خفيةً ، من البعيد

يأتى كما لو كان يَرْنُ فى مكانٍ آخر بدُون أن يُستطاع

سماعهُ هنا ، مثل نشيج مخنوق ، مثل ضوئ يطفأ ، لهاثٌ

صامت ، لا من جهة فى المكان أتى ولا من جهة فى الزمن ،

صَيِّحة ليلية خالدة ، هبَّة عميقة غامضة :

Ahó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-yyy

Ahó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-yyy ...

Schooner ahó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-yyy ...

إنني أرتجف من برودة الروح التي يَبْثُّها الجَسَدُ فيَّ
وأفتح بغتةً عينيَّ اللتين لم أغمضهما بعد ،

أوه ، ما أبهج التخلُّص من الأحلام دفعة واحدة !

هاهُوَ ذَا العالم الواقعي من جديد ، لتهدئة الأعصاب !

هاهُوَ ذَا في هذه الساعة الصباحية ، حين وصول
سفن المحيطات مبكِّرةً !

وصول سفينة المحيط لا يعنيني ، فهي لا تزال
بعيدة .

وحده ما هو قريب الآن يُطهرُّ رُوحِي .

مُخَيِّلَتِي المعافاة ، القوية . العملية ،

منشغلة فحسب بالأشياء العصرية والمفيدة ،

ببواخر الشحن ، عابرات المحيطات والمسافرين ،

بالأشياء الفوريَّة الفعَّالة ، العصرية ، التجارية ،
الحَقَّة .

وبداخلى يخفّف المقود دورانه .

ما أروع حياة البحر الحديثة !

كُلُّها نظافة وصحّة وآلات !

كل شىء جيّد الترتيب ، ومضبوط بتلقائية ،

كل قطع الغيار ، كل السفن فى البحر ،

كل عناصر الحركة التجارية ، من صادرات

وواردات متوافقة فيما بينها على نحو عجيب ، حيث

يسير كل شىء ، كأنّما وفق قوانين الطبيعة ، من دون أن

يصطدم أي شىء بشىء !

لم يخسر الشعر شيئاً ، فهناك الآن علاوة عليه ،

هذه الآلات بما تحويه هى كذلك من شعر ، وكُل النوع

الحياتى الجديد ، التجارى ، الدينوى ، الثقافى ، الروحى

، هذا الذى جاء عصر الآلات ليزوّد به أرواحنا .

إن أسفار اليوم جميلة مثل أسفار الأمس وما من

سفينة إلا وستبقى جميلة لمجرد أنّها سفينة .

ما زال السفر هو السفر ، والبعد دائماً ما زال حيث

كان .

— حمداً لله ، فى اللامكان ! —

موانئ مزدحمة ببواخر من شتى الأصناف ،

صغيرة ، كبيرة ، متعددة الألوان ، بكوى مختلفة

المواقع ، لشركات ملاحية متنوعة !

بواخر راسية فى الموانئ منفردة بسبب الفواصل
بين المراسى !

ما ألطف أشياءها التجارية رشيقة تمخر البحر
بهدوء ، البحر الهوميرى على الدوام ، أوه أو ليس !

مرأى المنارة الإنسانى فى المدى الليلى أو المنارة
الدائنية فجأة فى الليل البهيم

(« لَكُمْ كُنَّا قَرِيبِينَ مِنَ الْيَابِسَةِ لَدَى مَرُورِنَا ! »
وهديرُ الماء يطرب السمع ...)

كل ذلك هو اليوم مثلما كان ، لكن هناك التجارة
والمصير التجاري للبواخر الكبرى اللذان يَجْعَلَانِي
فَخُوراً بعصري .

والخليط البشرى المتزاحم فوق سفن المسافرين
يمنحنى الزهو الحداثى بالعيش فى عصر أصبح
ميسوراً تماماً فيه الاختلاط بين الأجناس ، قهرُ
المسافات ، رؤية كل الأشياء بسهولة والاستمتاع
بالعيش بتحقيق أكبر قدر من الأحلام .

أحاسيسى نقية ، متناسقة ، عصرية مثل بناية
إدارية ذات عوارض من نحاس أصفر ، أحاسيسى الآن
طبيعية ومهذبة مثل جنتلمان ، عملية ، بعيدة عن
الهديان ، وهى تملأ رثتيَّ بالهواء البحري كأيّة

مخلوقات تُدرك مِقْدَار العافية الكامنة فى استنشاق
هواء البحر .

ساعات النهار كُلُّها ساعات عمل متواصل .

كل شئ ينخرط فى الحركة والانتظام .

وبلذة طبيعية عَفوية كبرى تتفقدُ روحى
جميع العمليات التجارية الضرورية لشحن السفن
التجارية .

جميع الفواتير مطبوعة بطابع عَصْرِى هذا ، وإننى
أحسُّ بأنَّ كافَّة رسائل المؤسسات ينبغى أن تُوجَّه
إلى .

ما من معرفة بالشحن إلا وَلَهَا خصوصيتها ، وأى
إمضاء يبصمه رُبَّان لا يَخْلُو من عصرية وجمال !

الصرامة المميّزة لمطالع الرسائل التجارية
ولخواتمها :

Dear Sirs - Messieurs - Muy seniores nuestros,

Yours Faithfully ... Nos salutations empressées ...

وهذا كُلُّه ليس إنسانيا وحسب ، بل هو أيضا
جميل ، وله فى النهاية طرقة البحرية ، باخرة محمَّلة
بالبضائع هى موضوع تلك الرسائل والفواتير .

ما أكثر تعقيدات الحياة ! فالفاتورات أعدّها أناسٌ

يحبُّون ويكرهون ، ولهم أهواؤهم السياسية ،
وجرائمهم أحياناً ، لكن ما أجود كتابتها وتصنيفها وما
أبعدها عن كل ذلك !

هناك ، مع ذلك ، مَنْ ينظر إلى فاتورة ما ، بدون أن
يستطيع الإحساس بشيء .

لكنك أنت بالتأكيد ، يا ثيثاربو بيردى (3) قد
أحسست بذلك .

إننى إنسانى جداً لأحسُّ بذلك حتى الدموع .
حَسناً فَلَا يَأْتِيَنَّ أَحَدٌ ليقول لى بالأشعر ثمت فى
التجارة ، فى المؤسسات !

هَيَّا بنا ... ، إِنَّهُ لَيَنْقُذُ عَبْرَ الْمَسَامِ كُلَّهَا ... فى هذا
الهواء البحرى أَسْتَنْشِقُهُ ، لَأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مُلَائِمٌ تَمَاماً
للبواخر والملاحة الحديثة ، لَأَنَّ الْفَوَاتِيرَ وَالرِّسَالِ
التجارية هى مبتدأ التاريخ والسفن حاملة البضائع فى
البحر الخالد هى منتهاه .

آه ، لَهْفَى عَلَى الْأَسْفَارِ ، الْأَسْفَارِ التَّرْفِيهِيةِ ،
وَالْأَسْفَارِ الْأُخْرَى فى الْبَحْرِ ، نَغْدُو جَمِيعاً رِفَاقاً لِبَعْضِنَا
البعض بطريقتهم خاصة ، كما لو أَنَّ سِرّاً بحرياً يُقَارِبُ
مَآبِينَ أرواحنا ويجعلنا لفترة معينة ، مواطنين عابرين
فى وطن ملتبس لَاهَمٌ لَهُمْ غَيْرُ التَّرحالِ الأبدى فوق
شساعة الحياة !

يا فنادقَ اللانهاى الهائلة ! أوه سَفْنَى الأثيرات !

بَكُونِيَتَكُنَّ الكاملة الشاملة إذ لا تتوقفن عند أية
نقطة مَعَ ما تحويينه مِنْ شَتَّى أنواع الأزياء ، والأوجه ،
والأجناس !

الأسفار ، الأسفار - ما أكثر أنواعها ! -

ما أكثر البلدان والجنسيات فوق هذا العالم ! ما أكثر
المهن ! ما أكثر البشر !

لَكَمْ هو مدهشٌ تنوُّعُ المصائر التي يمكن أن تُمنح
للحياة ، للحياة التي هي في النهاية ، في العمق ، دائماً
هي نفسها !

ما أكثر الوجوه المستطلعة ! - كل الوجوه تحب
الاستطلاع ! ... ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ يمنحنا التدبُّن المفرط مثل
إدمان النظر إلى البشر ، أُمَّا الأخوة فليست فكرة ثورية
في آخر المطاف .

هي شَيْءٌ نتعلَّمه طوال حياتنا التي علينا أن نتسامح
فيها مع كل شَيْءٍ ، مع ما قَدْ نَجِدُهُ من نعمة فيما نتسامح
معه ، وما ننتهي إليه من البكاء حناناً تقريباً على مَا
تَسَامَحْنَا بصدده .

أوه ، كل ذلك جميل ، كل ذلك إنساني وموصول
بالعواطف الإنسانية المعاشية والبورجوازية ، الشديدة
التعقيد في بساطتها ، ذات الكآبة الميتافيزيقية جداً !

الحياة الرجراجة ، المتنوعة ، التي تنتهي بتهذيبنا

داخل ما هو إنسانى :

مساكين ! يالهم من أناسٍ مساكين ! الناس ، كل
الناس مساكين !

إننى أودّع هذه الساعة فى جسم المركب الآخر
الذى يغادر الآن . إنه مركب إنجليزى شديد القدرة كما
لو كان سفينة فرنسية ، برائحة البروليتارى الجذابة ،
بروليتارى البحار الذى أعلنوا ولا ريب عن رحلته فى
الصفحة الأخيرة من الجرائد اليومية ⁽⁴⁾ .

الباخرة المسكينة تؤثر فى ، كم هى متواضعة
وطبيعية أثناء مرورها .

يبدو أنها تعاني من وسواس معين من شئ
لا أدري كنهه ، مثل شخص عفيف بصدد إنجاز
واجب ما .

هنالك تمضى تاركة حيزاً قبالة الرصيف حيث
أوجد .

هنالك تمضى بهدوء من حيث مَرَّت السفن
الشراعية فى الزمان القديم ، القديم ...

ألى كرديف ذاهبة هى ؟ ألى ليفربول ؟ إلى لندن ؟
لايهم .

إنها تقوم بواجبها . كذلك نقوم بواجبنا نحن ، ما
أروعها حياة !

سفر طيب ! سفر طيب !

سفر طيب ، يا صديقتى المسكينة والعبارة ، يا مَنْ
أسديت إلى أفضل معروف بأن حملت معك حُمى
أحلامى وأحزانها ، ورددت إليّ الحياة عندما نظرتُ إليك
فأبصرتك تمضين ...

سفر طيب ! سفر طيب ! إنها الحياة ...

بالرباطة جأشك الطبيعية ، التى لا يمكن تفاديها
وأنت تُغادرين ميناء لشبونة اليوم !

إننى لأشعر بؤدّ مُمتنّ حيالك ، لأجل ذلك ...

أىّ ذلك ؟ وكيف لى أنا أن أعرف ذلك ... هَيَّا ...
امضي ... مُرِّي ...

برعشة خفيفة

(t t t t t)

يتوقف فى داخلى المقود الدوّار .

لتمضي ، أيتها الباخرة ، البطيئة ، مُرِّي ولا
تمكثي ...

أذهبى عنى ، أغربى عن بصرى ،

أغربى من داخل قلبى ،

فى البعيد ضيعى ، فى البعيد ، فى عرض البحر يا

ضيعى ، واصلى مصيرك ، واتركيني ...
مَنْ أَكُونُ أَنَا حَتَّى أَبْكِيكَ وَأَسْأَلْكَ ؟
مَنْ أَكُونُ أَنَا حَتَّى أَكَلِّمَكَ وَأَعْشَقَكَ ؟
مَنْ أَكُونُ أَنَا حَتَّى أَتَكَدَّرَ عِنْدَ رُؤْيَتِكَ ؟
اتركى الرصيف ، فالشمس تنمو ، ذهباً يلتهب ،
تتلاّلاً أُسْقِفُ مَبَانِي الرصيف ،
كُلُّ هَذَا الْجَانِبِ مِنَ الْمَدِينَةِ يَلْتَمِعُ ...
إِرْحَلِي ، هَيَّا ، دَعِينِي ، تَحَوَّلِي
أَوَّلًا إِلَى سَفِينَةٍ وَسَطِ الرصيفِ النَهْرِي ، مَرْتِيئَةً
وَوَاضِحَةً ،
ثُمَّ إِلَى مَرْكَبِ أَسْوَدَ عَلَى طَرِيقِ حَصْبَاوِي ،
ثُمَّ إِلَى نَقْطَةِ مَبْهَمَةٍ فِي الْأَفْقِ (أَوْه ، يَا قَلْقَلِي !)
نَقْطَةِ تَزْدَادِ انْبِهَامًا مَرَّةً تَلَوَّ أُخْرَى ،
وَلَا شَيْءَ بَعْدَ ذَلِكَ ، لَا شَيْءَ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنِّي وَحْدِي
أَنَا وَحَزَنِي ،

وَالْمَدِينَةُ الْكَبِيرَةُ مَغْمُورَةٌ بِالشَّمْسِ الْآنَ ،
وَالسَّاعَةُ الْوَاقِعِيَّةُ الْعَارِيَّةُ مِثْلَ رصيفِ بِلَا سَفْنِ ،

ودوران الرافعة البطيء ، مثل بركار دوّار
يخط في صمت روعي المضطرب نصف دائرة
انفعال أجهل كنهه .

. 1915

تزجية الوقت نشيد حسوى

إلى خوصى المادا نيغريروس .

المادا نيغريروس : لا يمكنك أن

تتصوركم أشكر على أنك

قد وجدت .

البارودى كامبوس

أن أحسَّ كُلَّ الأشياء بجميع الطرق الممكنة ،
 أن أعيش الأشياء كُلَّها في كل الجهات ،
 أن أكون الشيء ذاته بجميع الصيغ الممكنة في وقت
 واحد ،

أن تتحقَّق فيَّ الإنسانية جمعاء لكل اللحظات في
 لحظة واحدة مطوَّلة ، مديدة ، كاملة بعيدة .

أريد دائماً أن أكونَ ذلك الذى أتعاطف معه ،
سأتحولُ دائماً ، عاجلاً ، أم آجلاً إلى ذلك الذى أتعاطف
معه ، حَجراً كان أم حنينا ، زهرة أم فكرة مجردة ،
حشداً بشرياً أم طريقة لفهم الله .

متعاطفاً مع الجميع ، أعيش الكل فى الكل ، الرفعاءُ
من الرجال جذابون عندى لأنهم رفعاء ، والوُضعاءُ
عندى كذلك لأنهم وُضعاء أيضاً ، إذا كان من هو أدنى
مختلفاً عَمَّنْ هو أعلى فلقد يُحسب ذلك امتيازاً فى
حالات معينة . بحسب الرؤية للأُمور . أتعاطف مع
رجال لمزياتهم الخلقية ، وأتعاطف مع سواهم لافتقارهم
إلى تلك المزايا ، ومع آخرين لأنَّهم حُرِّموا من أيةٍ
جاذبية ، وثمت حالاتٌ عضوية جداً يبدو لى كل الرجال
فيها جذابين .

أجل ، بصفتى العاهل المطلق فى مملكة تعاطفى ،
حَسْبُ التعاطف أن يُوجد كى يمتلك مبرراً وجوده .

إلى صدري المختلج أضُمُّ فى عناقِ مؤثِّر ،

(هو نفسُ العناقِ المؤثِّر)

الرجل الذى يهبُ القميص للمسكين المجهول ،
الجنديُّ الذى يموت من أجل الوطن من غير أن يعرف ما
هو الوطن ، و ...

وقَاتِلْ أُمَّهُ ، قَاتِلْ أَخِيهِ ، مَنْتَهَكَ المَحَارِمَ ، مَغْتَصِبِ
الصَّبِيَّانِ ، قَاطِعِ الطَّرِيقِ ، لَصَّ البَحَارِ ، النِّشَّالِ ، الظِّلِّ
الْمُتَرَبِّصِ فِي الزَّوَايَا ...

جَمِيعُهُمْ يُشَكِّلُونَ عَشِيقَتِي الأَثِيرَةَ عَلَى الأَقْلِ فِي
لَحْظَةٍ مَعِينَةٍ مِنَ الحَيَاةِ .

أَقْبَلُ تُغْرِكُلُّ المَوْمَسَاتِ ،

أَقْبَلُ عَيُونَ كُلِّ القَوَادِينِ ،

تَتَمَدَّدُ سَلْبِيَّتِي عِنْدَ أَقْدَامِ كَافَّةِ القَتْلَةِ ، وَمَعْطَفِي
الإِسْبَانِي يَغْطِي أَنْسَحَابَ كَافَّةِ اللُّصُوصِ .

كُلُ الأَشْيَاءِ إِنَّمَا هِيَ مُبَرَّرٌ لَوْجُودِي فِي الحَيَاةِ .

كُلُّ أَنْوَاعِ الجَرَائِمِ اقْتَرَفْتُ ،

فِي قَلْبِ كُلِّ الجَرَائِمِ عَشْتُ ،

(وَأَنَا نَفْسِي . لَمْ أَكُنْ فِي الرَّذِيلَةِ أَيًّا مِنْ هَؤُلَاءِ ،

بَلْ كُنْتُ الرَّذِيلَةَ نَفْسَهَا مِمَارَسَةً مِنْ طَرَفِهِمْ ،

وَمِنْ ثَمَةِ أَسْتَمِدُّ لِحَظَاتِ الظَّفَرِ فِي حَيَاتِي)

تَعَدَّدْتُ كَيْ أَحْسَ بذَاتِي

وَلَكِي أُمَارَسَ الإِحْسَاسِ ، كُنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى

الإِحْسَاسِ بِكُلِّ شَيْءٍ ،

طَفَحْتُ وَارْتَشَحْتُ ،

تعرّيتُ ووهبتُ للغيرِ نفسى ،
وفى كُلِّ زاوية من زوايا الروح أقمتُ مذبحاً لإلاه
مغاير .

أذرعُ كلِّ العدائين طَوْقتنى بغتَةً مِثْلَ أنثى ،
وأنا لمجرد تخيُّلٍ ذلك أغمى عَلى بين العضلات
المتخيَّلة .

لِقمى منحتُ قبلات كُلِّ المواعيد الغرامية ،
فى قَلْبى تَمَّ التلويح بمناديل الوداعات كلها ،
كُلُّ النداءات البذيئة بالإشارة أو النظرة صفَّعتْ
جسدى المتعطَّش فى نُقطه الحساسة .

كنتُ النُّسَّاك كُلُّهم ، كُلُّ المتروكين للحساب ، كُلُّ
أنواع المنسيين ، وكُلُّ اللّوَاطيين - مُطلق اللّوَاطيين (من
دون أن ينقص أى واحد منهم) .

آه أيُّها الموعد بالأحمر الأسود فى قاع جحيم
روحي !

(فريدى ، كنت أناديك بابى لأنك كنت أشقر شاحباً
وكنت أحسبك ، كم كنتُ أرى فيك من إمبراطورات
متوجّات وأميرات مخلوعات !

ماري التى معها كنتُ أقرأ بيورن فى أيام كئيبة
كآبة الإحساس بالحياة ، ماري ، أنت لَنْ تعرفى أبداً

عَدَدَ الأزواج الشرفاء والعائلات السعيدة التي
عَاشَتْهَا عَيْنَايَ مِنْ خِلَالِكَ وَذِرَاعِي فَوْقَ رِدْفِكَ ،
وَوَعْيِي غَائِمِ الْقَسَمَاتِ ، عَدَدَ الْحَيَوَاتِ الْهَادِئَةِ ، الْمَنَازِلِ
ذَوَاتِ الْحَدِيقَةِ فِي الضَّوَاحِي ، أَنْصَافِ الْعُطَلِ غَيْرِ
الْمَتَوَقَّعة ...

مَارِي ، تَعَسُّ أَنَا ...

فَرِيدِي ، أَنَا تَعَسُّ تَعَسُّ ...

أَوْه ، أَنْتُمْ كُلُّكُمْ ، كُلُّكُمْ أَيُّهَا الْعَابِرُونَ ، الْمَتَأَخَّرُونَ
كَمْ مَرَّةً خَطَرَ بِأَذْهَانِكُمُ التَّفَكِيرَ فِيَّ وَلَمْ تَفْعَلُوا !
أَه ، لَكَمْ كُنْتُ ضَائِلُ الشَّأْنِ عِنْدَكُمْ ، كَمْ كُنْتُ ضَائِلُ
الشَّأْنِ ...

أَجَلْ ، ثُمَّ مَاذَا كُنْتُ يَا عَالِي الذَّاتِي ،

أَوْه ، يَا شَمْسِي ، يَا قَمَرِي ، يَا نَجُومِي ، يَا حِصْنِي
مِنَ الزَّمَنِ ،

أَوْه ، أَيُّهَا الْجُزْءُ الْخَارِجِي مِنْ ذَاتِي الضَّائِعَةِ فِي
مَتَاهَاتِ اللَّهِ !

الْكُلُّ يَمُرُّ ، كُلُّ الْأَشْيَاءِ مُصْطَفَّةٌ بِدَاخِلِي تَمُرُّ ،

وَبِدَاخِلِي كُلُّ مُدُنِ الْعَالَمِ تُوشِشُ ...

قَلْبِي مُحْكَمَةٌ ، قَلْبِي سُوقٌ ، قَلْبِي صَالَةٌ بِبُورْصَةٍ ،
قَلْبِي طَاوِلَةٌ بِبَنْكِيَّةٍ ،

قلبي موعد الإنسانية جمعاء ،

قلبي مقعد حديقة عمومية ، نُزُل ، فندق ، زنزانة
رقم كذا

(« هنا أقام المانولوقُ بيل أن يُساق إلى سقالة
الإعدام »)

قلبي ناد ، صالة ، باحة أرائك ، نجمة ، شبّاك ،
بوّابة ، جسر ، بابٌ حديد ونزهة ، مسيرة ، مزادٌ ،
معرضٌ موسم حجٍّ ،

قلبي خصاص بابٍ ،

قلبي صندوق بريد ،

قلبي رسالة ، بضاعة ، يضي ، تسليم ،

قلبي الهامش ، الحد ، الموجز ، المؤشّر

قلبي بازأر Eh - Lá , eh - Lá , eh - Lá

.....
.....

أحملُ في قلبي

كما لو في خزانة مكتظة عصية الإقفال

كلّ الأمكنة التي بها حلّلتُ ،

كُلُّ الموانئ التى إليها وصلت ،
كلُّ المناظر التى حَالَمَا شاهدتها ،
منَ النوافذ أو الكُوى أو الجسور ،
غَيْرَ أَنَّ ذلك كُلَّهُ ، على كثرته ،
أقلُّ بكثير ممَّا أرغب فيه .
مدخل سنغافورة ملوَّنًا بالأخضرار مع انبلاجة
الصباح ،
دفع المرور بمرجان جزر المالديف ،
ماكاو فى الواحدة صباحاً ... أستيقظ فجأة ...
Yat - Lô - ô - ô - ô - ô - ô ... Ghi ...
وكل ذلك يَرِنُّ بداخلى من أعماق واقع آخر ...
القَّوام الشمال إفريقى تقريباً من زنجبار تحت
الشمس ...
دار السلام (الخطرة عند الخروج) ...
ماجونگا ، نوسى - بى ، اخضرارات مدغشقر ...
العواصف المحيطة بكواردافوى ...
ورأس الرجاء الصالح ناصعاً تحت أشعة
الصباح ...
ومدينة الرأس بجبل المائدة فى خلفية المشهد ...

سافرتُ إلى بلدان كثيرة أكثر من تلك التى زرتها ،
شاهدتُ مناظر كثيرة أكثر ممّا رأتُ عيناى ..
جَرَبْتُ أحاسيس أكثر من كل تلك التى أَحَسَسْتُهَا ،
لأننى مِنْ فرط ما أَحَسَسْتُ ظل ينقصنى دائماً شئ
أَحْسُهُ ،

والحياة دائماً عَذَّبَتْنى الحياة ، ما منحتنى كان دائماً
قليلاً ، أنا التَّعِيس .

فى لحظات معينة من النهار أحس بالذعر عندما
أتذكّر ذلك كله ،

وأفكّر فيما سيتبقّى لى من هذه الحياة المجزأة ، من
هذا الأوج ،

من هذا الطريق المتعرج ، من هذه السيارة على
حافة الطريق ، من هذا الإنذار ،

من هذا التعكُّر الهادئ لأحاسيس ناشزة ،

من هذا الصَّفْق ، من اللاجوهريّة هذه ، من هذا
التواؤم القُرْحى ،

من هذا القلق فى قاع كل الأكمام الزهرية ،

من هذا الضَّجْر المقيم فى أعماق كل الملدّات ،

من هذا الشَّبَع الطّافح على عُرَى الفناجين كُُلّها ،

من لعبة الورق المملّة هذه بين رأس الرجاء الصالح
وجزر الكنارى لا أدري أهى الحياة قليلة بالنسبة إليّ أم
أكثر مما يلزمنى ؟

لا أدري أبا القلّة أحسُّ أم بالكثرة ؟ لا أدري
أينقصنى وسواسُ روحى ، نقطة ارتكاز فى
الذكاء ،

قربانة دموية مع سرّ الأشياء ، صدمة عند
الاتصال ،

دفق الدم تحت الضربات ، ارتجاج عند أقلّ ضجّة ،
أم أن لهذا كلّ تفسيراً أدعى للطمأنينة والسعادة ؟

كائنات ما كان الحال ، ألاّ أولد كان هو الأفضل ،
لأن الحياة مهّما كانت مشوّقة فى كل اللحظات ،
لا بد أن تعذبّنا و تبعث فينا الغثيان ، تبتّرنا ،
تستهلكنا ، تحملنا على أن نصير ، تمنحنا الرغبة فى
الصراخ ، فى الوثوب ، فى الالتصاق بالأرض ،
والخروج من كافّة البيوت ، ونبذ كلّ منطق والقفز من
كل الشرفات ، والمضى إلى حيث نصير متوحّشين
حتى الموت بين الأشجار والنسيان ، بين الزلازل
والمخاطر وغياب الغد .

لكن ذلك كَلَّهَ كان ينبغي أن يكونَ أى شئ آخر مطابق لما
أفكر فيه ومآبه أحس ، دُونَ أن أعلم مَاهُو ، أوه أيتها
الحياة .

أضُم ذراعيَّ بهيأة صليب على المائدة ،
وبينهما أضَعُ رأسي ،

أنا بحاجة إلى الرغبة فى البكاء ، لكن لا أعرف
طريقة لاستثارة الدموع ...

رغم ما أبذل من جهد لأمتلك أكبر قَدْرٍ من الإشفاق
على نفسي
لا أنجح فى البكاء .

روحى متشققة بفعل السَّبَابَةِ التى تحكُّهَا
ماذا سيصير مني ؟ تُرى ماذا سيصير مني ؟
دُونَمَا دَاعٍ ضربوا مُهَرَّجَ القَصْرِ بالسيَّاط ،
أنهضوا المتسوّلَ من كبوته على الدُّرَج ،
جَلَدُوا الطفل المنبوذ نازعين كِسْرَةَ الخُبْز من يديه .
أوه يا عذابَ هذا العالم اللامحدودَ ، ما ينقصنى هو
الفعل ...

يَالَهُ من تدهور ، يَالَهُ من تَدَهُّور ، يَالَهُ من تدهور ...
لا أكون بحالٍ جيدةٍ إلَّا لدى سماعي الموسيقى ، ولا

حتى فى هذه الحال .

ياحدائق القرن الثامن عشر قبل 89 ، أين أنتن ؟
ذلك أننى أريد البكاء بأية وسيلة .

مثل بلّسم يواسينا لمجرد تصوّر أنه بلّسم يواسى
ينزل المساء رتيباً رويداً رويداً ، مساءً هذا اليوم وكل
الأيام .

لقد أنيرت الأضواء ، ينزل المساء ، وتتعاقب
الحياة .

لا بد من مواصلة العيش مهما كانت الوسيلة .
مثل يد تضطرمّ الروح فيزيقيا لذي
وأنا واقف فى طريق الجميع الذى يتعنّون بى ،
ياضيعتى فى الإقليم الريفى ،
لو أن بينى وبينك قطاراً على الأقل ، عربةً ، قراراً
بالسفر .

وأبقى هنا وأبقى ... أنا من يريد الرحيل دائماً
ودائماً يبقى ، دائماً يبقى ، دائماً يبقى ، حتى الموت يبقى ،
حتى لو رحل يبقى ، يبقى ، يبقى ...
الآ فلتعد إنسانياً إلى أيها الليل ، عد أخوياً إليّ
مفعماً عنايةً .

إنسانياً فحسبُ يمكن العيش .

فقط بحب الرجال ، حب الفعل ، حب المهام المبتذلة ،
هكذا فقط - يا ويحي - هكذا فقط يمكن العيش
هكذا فقط ، أوه أيها الليل ، وأنا لا يمكن أبداً أن
أكون هكذا !

رأيتُ كُلَّ شَيْءٍ وأعجبتُ بكلِّ شَيْءٍ
لكنَّ كلَّ شَيْءٍ كانَ إمَّا زائداً على ما أريدُ أو أقلَّ
مِمَّا أريدُ - لا أدري كيف - وهكذا تعذَّبتُ .
عشتُ كلَّ الانفعالات ، كُلَّ الأفكار ، كلَّ الإشارات
وبقيتُ حزيناً ، مع ذلك ، حزيناً أكثر ممَّا كنتُ
كما لو أنَّني أرَدْتُ أن أعيش ذلك كله من دون أن
أظفر بشيءٍ منه .

مثل كل الناس أحببتُ وكرهتُ ،
لكن إذا كان ذلك بالنسبة إلى الجميع أمراً طبيعياً
وغريزياً
فإنه كان عندي استثناءً ، صدمةً ، صِماماً ،
وتشنجاً .

تعالَ إلى أيُّها الليل ، وأطفئني ، تعالَ وأغرقني
فيك ،
يا مدلل العالم العلوي ، يا سيّد الحداد اللانهائي ،

يا ألم الأرض البرّاني ، يا بكاء العالم الصامت ،
أيتها الأم الناعمة القديمة لانفعالات لا تعبير لها ،
أيتها الأخت الكبرى الحزينة العذراء للأفكار
المشتتة ،

أيتها الخطيبة المترقبة أبدأ مقصدنا الناقص ،
طريق مصيرنا المهجور على الدوام ،
شكنا الوثني الخالي من المسرة ،
ضعفنا المسيحي المجرد من الإيمان ،
بوديتنا الجامدة المجردة من محبة الأشياء ومن
نشوة الوجد ،

حُمَانَا ، شحوبَنَا ، نَفَادَ صَبْرِنَا ،
ياحياتنا ، أوهِ أُمْنًا ، حياتنا الضائعة
لا أعرف كيف أحسُّ ، لا أعرف كيف أكون إنساناً ،
ولا كيف أتعاشُ من أعماق الروح الحزينة مع البشر
إخوتي على الأرض .

لا أعرف أن أكون نافعا عندما أحسُّ لا أعرف أن
أكون عملياً ، واضحاً ، مندمجاً في اليومي ،
وَلَا أَنْ أَتَخَذَ لِي مَكَاناً فِي الْحَيَاةِ ، وَأَنْ أَمْتَلِكْ غَايَةً
محددة بين الناس ،

عملاً ، قُوَّةً ، إرادة ، بستاناً ،
 وسيلة للراحة ، مبرراً للتسلية ،
 شيئاً ما يأتى من الطبيعة مباشرة إليّ .
 لذلك كُنْ أمومياً معي أيُّها الليل الهادئ ...
 أنت ، من تنتزع العالم من العالم ، أنت ، السلام
 أنت ،
 أنت الذى ليس لك وجود ، أنت الذى لست سوى
 غياب للنور ،
 أنت الذى لست بشيء ، لا يمكن ، ولا ذات ، ولا
 حياة ،
 أنت نسيج بنيلوب المنسول غداً من عتمتك ، بنيلوب
 المكّارة اللاواقعية للمحمومين ، للقانطين بلا سبب ،
 تَعَالِ إِلَى أَيُّهَا الليل ، ومُدِّ نحوي اليدين
 وَكُنْ بَرْدًا وسلاماً على جبيني أيُّها الليل ...
 أنت ، يا مَنْ يبدو حُلُولُكَ لفرط نُعومته نأياً ،
 أنت بجزر ظلامك ومَدّه حينما يكون للقمر المتنهد
 أمواج حنان ميّت ، برودة بِحَارٍ من حُلْم ،
 نسيمٌ مَشَاهِدٌ يخترعها قَنَطُنَا الطاغى ...
 أنت ، شاحباً ، دمعياً ، سائلاً ، أنت

يا عبير الموت بين الزهور ، أنفاسَ الحمى على
الضفاف ،

أنت ، الملكة ، أنت ، القشتالي ، أنت ، السيد الشاحب ،
تعال .

.....
.....

نفيرٌ واضحٌ للصباح فى عمق
نصف الدائرة البارد من الأفق ،
نفير خفيفٌ ناءٍ مثل رايات مبهمة
منشورة من بعيد تتعذرُ رؤية ألوانها ...
نفير مرتعش ، عجاجٌ محبوسٌ حيث يتوقَّف الليل ،
عجاجٌ من ذهب محبوس فى قعر الرؤية ...
عربة تُصدر صريراً نظيفاً ، باخرةٌ تُصفرُّ ،
رافعة تشرعُ فى الدوران فى أذني ،
سُعالٌ جافٌ ، خبرٌ عمّن يُغادرُ المنزل ،
قشعريرة صباحية خفيفة فى غمرة الابتهاج
بالحياة ،

قهقهة مباغطة مؤرقة ، لا أدرى كيف ، من ضباب
خارجى ،

متعلّمة خياطة مُتّجهة إلى ما هو أسوأ من
الإحساس بالصباح ،

عاملٌ مسلولٌ محطّمٌ محرومٌ من أن يكون سعيداً
فى هذه الساعة ذات الحيويّة التى لا يمكن تفاديها ،
والتى رونق الأشياء فيها ناعم ، حقيقى وجذاب ،
والجدران نديّة لدى لمسها باليد ،
والبيوتُ هنا وهناك تُفركُ أعيناً ذات ستائر
بيضاء ...

كل فجر ستار يهتز ،
ينعش أو هام وذكريات روى التائهة ، داخل
قلبي الخالى من الروح الوبائية ،
داخل قلبي المتعب المحجّب ...

(...)

(...) والكل آخذٌ طريقه

نحو الساعة المفّعمة ضوءاً حين تفتح المتاجر
أجفانها وضجيج مرور عربة قطار أحسّ أنا بشمس
شعّاء .

دوّار منتصف النهار المسيّج بأنواع الدوّار

- شمس على القمم شمس [....] رؤيتى المثلومة ،

شمس طاحونة الهواء المتوقفة في ذاكرتى
اليابسة ،

شمس البريق المضئ والثابت لوعيي بالحياة .
ضجيج حركة مرور عربة قطار سيارات أحس
الشمس شارعاً ،

طارات براميل ، تراماً ، دكاناً ، شارعاً ، واجهات
تنانير ، عيوناً

بسرعة تخترق قضبان سكة الحديد الشارع عبورَ
الشارع

تخترق الطوارات دكاكين ، Perdôo ، الشارع
الشارع المتجول فوقى أيضاً يتجول فى الشارع
فوقى

كل مرايا دكاكين ال هنا داخل دكاكين ال هناك
سرعة السيارات مقلوبة فى المرايا المائلة لواجهات
المتاجر ،

الأرض من فوق الشمس تحت الأقدام الشارع
يسقي ورداً فى السلّة

ماضيّ الشارع مرتعشٌ والشاحنة الشارع لا
أتذكرنى شارعاً⁽¹⁾ .

أنا الرأس المائل فى مركز وعيى بذاتى

شارعٌ بدون إمكانية العثور على مجرد إحساس
بالشارع شارعٌ ، كل مرة شارعٌ إلى الخلف شارعٌ ، إلى
الأمم تحت قدميَّ

شارع في X في Y في Z بين ذارعيَّ
شارع من خلال نظارة عيني الوحيدة مصنوعة
دوائر سينمائية مصغرة ،

مشكلاً لانحناءات قُرْحية واضحة تغدو شارعاً .
تُملِّ أنا بالشارع وبإحساسى ورؤيتي وسماعى
كل شئ في نفس الوقت .
لديَّ خفقان في الدُغدغين لترنُّحي ما بين هذه
الجهة وتلك .

أطوى الأيام كلها أطوى زوايا كافة الشوارع .
ودائماً حينما أفكر في شئ أفكر في الآن نفسه في
شئ آخر .

لأ أعرف الإذعان إن لم يكن لدافع وراثي (2) ،
وما لم أكن طريح الفراش لدى دائماً مبررات
للسفر .

من سطوح مقاهي المدن المتاحة للمخيلة .

أراقب الحياة التى تمر ، أتابعها من دون أن
أتحرك ،

إليها أنتمى بدون أن أخرج مجرد إشارة من جيبى
أو أدون ملاحظة عما رأيت لكى أظهار فيما بعد
بما رأيت .

فى السيارة الصفراء تمرُّ المرأة النهائية لأحدهم
وأنا بجانبها أسير من غير أن تعلم هى ،
يلتقيان وفق صدفة مدبرة على الطوار المجاور ،
لكن من قبل أن يلتقيا كنت قد سبقتهما إلى هناك .
ما من وسيلة تجنبهما اللقاء بى ،
ما من طريقة تمنعنى من أن أوجد فى كل الجهات .
كل امتيازى هنا

(براءة اختراع ، بدون ضمانه من الله ، آه يا
روحى)

أشهد كلُّ شئ على نحو نهائى
ما من حلي نساء لم أشتريها أنا ولأجلى
ما من موعد أعطي إلا وأنا مانحه بطريقة ما .
ما من فحوى كلام إلا وهو عائد مصادفة إلي .
ما من جرس قرع فى لشبونة منذ ثلاثين عاماً ، أو

ليلة أوبرا في سان كارلوس منذ خمسين عاماً ، إلاّ وهي
احتفاء غزليّ مُوجَّهٌ إلىّ .

لقد ربّنتني المخيلة

على يدها تَمَّتْ دائماً أسفاري ،
بواسطتها دائماً أحبيّتْ ، كرهتْ ، تكلمتْ وفكرتْ ،
ولجميع الأيام هذه النافذة من أمام
جميع الساعات ، على هذا النحو ، تبدو ساعاتي .

.....

.....

أستلقي بكل قامتي على حياتي برمتها
جاعلاً شراهة العيش تزار بداخلي ...
لا توجد في العالم كلّهُ إشاراتٌ مسرّةٌ تُعادلُ
الفرح العجيب الذي لا يملكُ طريقةً أخرى للتعبير
عنه سوى أن يتمرّغ على الأرض فوق النباتات ويمتزج
بالطين إلى حدّ تلويث بدلته وشعره ...
مَأمِنٌ أشعارٍ يمكن أن تعبّر عن ذلك ...
لننزع (...) النبات ، ولنعضها وعندئذٍ
ستفهمونني ،
ستفهمون بالكامل ما أُعبّرُ عنه ناقصاً .

إِنَّ سُعَارَى مِنْ أَجْلِ أَنْ أَكُونَ جَذْراً
يلاحق أحاسيسي مثل نسخ من الداخل ...
أريد أن أمتلك كل الحواس ، حتى الذكاء ،
حَتَّى المَخِيلَة والكبح
التصقى بجلدى كى أستطيع التمرُّغ عميقاً داخل
الأرض الخشنة ،

شاعراً أكثر فأكثر بصلابتها وخشونتها .
لن أكون مسروراً إلا إذا كان جَسدي هو
روحي ...

هكذا كل الشمس ، كل الرياح ، وكل الأمطار
سأحسُّ بها وَفْق رَغْبَتِي وحدها ...
ولأن ذلك لا يمكن أن يحدث لى أَيْأسُ وأتسَعَّرُ ،
تستبدُّ بى الرغبة فى أن أكون قادراً على تمزيق
بدلتى بأسناني وفى أن تكون لى مخالب أسد قوية
لأسلخ جسدى إلى أن يسيل الدم . يسيل ، يسيل ،
ويسيل ...

أَتَعَذَّبُ لأن هذا عبث كله
كأنَّ أحداً يخافنى
يخاف إحساسى العدوانى تجاه القدر تجاه الله ،

الإحساس المتولد من كوننا نتطلع إلى ما لا
يوصف ،

فندرك حينئذ ، فجأة ، ضعفنا وضآلتنا

.....
.....

كل الأصباح هي مُطلق الصبح وهي الحياة بِرُمَّتْها
كل الأفجار تبزغ من نفس المكان :
من اللانهائي ...

مباهج كل الطيور تنطلق من نفس الحنجرة ،
ارتعاشات كل الأوراق تصدر من الشجرة ذاتها ،
وكل الذين ينهضون مبكراً إلى أعمالهم
يمضون من نفس البيت إلى نفس المَصْنَع عبر نفس
الطريق ...

دُورِ أَيْتْها الكرة الهائلة ، يا مُحْتَشِد الأوعاء ،
أَيْتْها الأرض
دوري ، برصاصٍ تحت الشمس ، مصبحةً ،
مُمْسِيَّةً ، مُلِيلَةً ،

دورى فى الفضاء المجرد ، فى الليل المضاء سيئاً
بحق ،
دورى و (...)

أحسُّ سرعة دوران الأرض فى رأسى ،
وجميع البلدان والأجناس بداخلى تدور ،
أيها القانط الطارد ⁽³⁾ ، ياسُعار المضيِّ عبر الأجواء
حتى النجوم ،
أضرب بسياطك دواخل جمجمتى ،
ضع ضماداتٍ من دبابيس على كل مناطق الوعى
فى جسدى ،
اجعلنى أنهض ألف مرّة وأتجه نحو المجرد ،
نحو ما لا وجود له ، هنالك من دون أى تحديد ،
للهدف اللامرئى لجميع الجهات التى لا أوجد فيها ،
وفى الوقت نفسه .

أوه ، ألا أتوقّف حتى لكى أمشى ،
ألا أنام ولو واقفاً ،
لا مستيقظاً ولا نائماً ،

لا هنا ولا فى أى مكان آخر ،

أن أجدَ حلاً لمعادلة هذا القلق المتناسل ،

أن أعرف أين أكون لأستطيع أن أكون فى كل مكان

أن أعرف أين أنام لأتجوّل فى كل الشوارع ،

أن أعرف أين (...)

Ho - ho - ho - ho - ho - ho - ho .

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

هى

وثبةٌ مُجنّحةٌ أعلو بها فوق كل الأشياء ،

وثبةٌ متفجرةٌ أنسابُ بها تحت كل الأشياء

وثبةٌ مُجنّحةٌ متفجرةٌ منى بدافع من الأشياء

كلها ...

هُوبٌ - لا من فوق الأشجار ، هُوبٌ - لا من تحت

البرك ،

هُوبٌ - لا لصق الحيطان ، هُوبٌ - لا محتكاً

بالجنوع ،

هُوبٌ - لَأَفَى الهَوَاءَ ، هُوبٌ - لَأَفَى الرِّيحَ ، هُوبٌ -
لَأَفَى الشَّوَاطِئِ

وفق سرعة متنامية ، عنيفة ، مُلْحَاحٌ ، هُوبٌ -
لَأَهُوبٌ - لَأَهُوبٌ - لَأَ

وثبة حُلُولِيَّةٌ أَنْفَذَ بِهَا دَاخِلَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا ،

وثبة قَوِيَّةٌ إِلَى دَوَاخِلِ كُلِّ الطَّاقَاتِ ،

وثبة مِئَى فِي قَلْبِ الْفَحْمِ الْمَشْتَعِلِ لِلْمَصْبَاحِ الْمُتَقَدِّ

لِكُلِّ الطَّاقَاتِ الْمُسْتَهِلِكَةِ

وُثِبَتِي [.....] ،

وثبة مُتَفَجِّرَةٌ مِثْلَ قَنْبَلَةٍ مُتَشْظِيَّةٍ ،

وثبة مُتَفَجِّرَةٌ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ،

وثبة فَوْقَ الْفَضَاءِ ، وَثْبَةٌ فَوْقَ الزَّمَنِ ،

شَقْلَبِيَّةٌ ، حِصَانُ نِيو - إِيكْتْرُونِي ، نِظَامُ شَمْسِي
مِصْغَرٌ ،

دَاخِلَ حَرَكَةِ الْمَكَابِسِ ، خَارِجَ دَوْرَانِ الْمَحْرَكِ ،

دَاخِلَ الْمَكَابِسِ مُتَحَوِّلاً إِلَى سُرْعَةٍ مَجْرَدَةٍ
وَمَجْنُونَةٍ ،

أَتَحْرُكُ أَنَا ، ذَهَاباً إِيَّاباً ، عَلَى إِيقَاعٍ مِنْ حَدِيدٍ

وَسُرْعَةٍ ، جَنُونٍ ، هَيْجَانٍ مَكْبُوحٍ ،

مَشْدُوداً إِلَى أَثَرِ كُلِّ الْمُفَاوِدِ أَدُورُ دَاخِلَ سَاعَاتِ
مَذْهَلَةٍ ،

وَالْكُونُ كُلُّهُ يَصِيرُ ، يَتَدَثَّرُ بِالنَّجُومِ ، ثُمَّ يَتَشَوَّهُ
بِدَاخِلِي .

Ho - ho - ho - ho - ho...

تَزْدَادُ السَّرْعَةُ أَكْثَرَ فَأكْثَرَ ، وَالرُّوحُ تَتَخَطَّى الْجَسَدَ
كُلَّ مَرَّةٍ ،

تَسْبِقُ الْفِكْرَةَ الْخَاصَّةَ السَّرِيعَةَ ذَاتَهَا لِلْجَسَدِ
الْمَقْدُوفِ ،

وَالرُّوحُ مِنْ وَرَاءِ الْجَسَدِ ، ظِلًّا ، شَرَارَةً ،

He - La - ho - ho... HeLa h ho...

كُلُّ طَاقَةٍ هِيَ نَفْسُهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَالطَّبِيعَةُ هِيَ
نَفْسُ الطَّبِيعَةِ ...

نُسْغُ نُسْغِ الْأَشْجَارِ هُوَ نَفْسُ الطَّاقَةِ الَّتِي تُحْرَكُ
عَجَلَاتِ الْقَاطِرَاتِ ، عَجَلَاتِ التَّرَامِ ، مُحَرِّكَاتِ
الدِّيزِلِ ، وَعَرَبَةِ مَجْرُورَةٍ بِالْبِغَالِ أَوْ بِالْبَنْزِينِ

هى عربية مجرورة دوماً بنفس الشيء .

إنَّه لَسُعَار حُلُولِي أَن أَحْسَّ فِي دَاخِلِي بِرُغْبٍ ،
عَبَّر حَوَاسِي الْفَوَّارَةَ كُلَّهَا . عَبَّر كُلَّ مَسَامِي
الداخنة ،

بأن كل شئ هو سرعة واحدة ، طاقة واحدة ، خطأ
إلهى واحد
لا نهائي محبوس يهمس من جهة لأخرى بعنف
سرعة مجنونة ...

Ho - ho - ho - ho - ho - ho - ho .

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

مَرَحَى ، مَرَحَى ⁽⁴⁾ ، لتحي وحدة السرعة فى كل
شئ !

مَرَحَى ، مَرَحَى ، لتحي مساواة كل الأشياء وهى
ترتفع بسرعة !

مَرَحَى ، مَرَحَى ، لتحي آلة الكون الكبرى

مَرَحَى ، فَأَنْتُنْ شَيْءٌ وَاحِدٌ أَيْتَهَا الْأَشْجَارُ ، الْأَلَاتُ ،
القوانين ،

مَرَحَى ، أَنْتُنْ الشَّيْءُ نَفْسُهُ أَيْتَهَا الْيِرْقَاتُ ، الْمَكَابِسُ ،
الأفكار المجردة ،

نَفْسُ النَّسْخِ يَمْلُؤُكُنَّ ، نَفْسُ النَّسْخِ يَحْوُلُكُنَّ ،
شَيْءٌ وَاحِدٌ أَنْتُنْ ، وَمَا تَبَقَّى خَارِجِي وَزَائِفُ ،
مَا تَبَقَّى فَضْلَةٌ جَامِدَةٌ تَبَقَّى عَالِقَةٌ بَعِينِي
المشلولتين ،

لَكِنْ لَيْسَ فِي أَعْصَابِي مُحَرِّكَ تَفْجِيرٍ بِالزِّيُوتِ
الثْقِيلَةِ أَوْ الْخَفِيفَةِ ،

لَيْسَ فِي أَعْصَابِي كُلُّ الْأَلَاتِ ، كُلُّ التُّرُوسِ .
فِي أَعْصَابِي قَاطِرَةٌ ، تَرَامُ ، سَيَّارَةٌ ، حَصَادَةٌ
مِيكَانِيكِيَّةٌ

فِي أَعْصَابِي آلَةٌ بَحْرِيَّةٌ ، دِيْزَلُ ، نَصْفُ دِيْزَلُ
كَامِيلُ ،

فِي أَعْصَابِي جَهَازٌ كَامِلٌ بِالْبَخَارِ ، بِالْغَازِ ،
الكَازَوَالِ ، الْكَهْرِبَاءِ ،

آلَةٌ كَوْنِيَّةٌ مَشْغَلَةٌ بِأَحْزَمَةِ اللَّحْظَاتِ كُلِّهَا .
أَيُّهَا الْقَطَارُ تَحْطُمُ عَلَى مِصَدِّ السَّكَّةِ الزَّاغَةِ !

أيتها الباخرة أبحري مستقيمة جنب الرصيف ثم
اططدِمْ لَدَى اللِّقَاءِ بِهِ !

أيتها السيارة المسوّقة من جنونِ الكَوْنِ كُلِّهِ عَجَلِي
مسرعة

عبر الهاويات كلها

ثم تحطّمْ ، trz ! تناثري فى قاعِ قلبى !

أشياء القذائف كلها لى !

لى كُلِّ الاتجاهات

كل الأشياء التى تتجاوز أنظار كل سرعة لى !

هيا اضربونى ، اخترقونى ، اسبقونى !

فأنا الذى يضرب ، الذى يخترق ، الذى يسبق !

وفى دائرتى ينغلق سُّعار كل الاندفاعات !

HeLa - Loho أيها القطار ، السيارة ، يا طيّارة ، يا
ضجرى ،

أيتها السرعة انفذى إلى داخل كل الأفكار ،

ارتطمى بجميع الأحلام ثم حطّميهن ،

اسحقي كل المثاليين الإنسانويين والنافعين ،

دوسى كل العواطف العادية ، المحتشمة ، المطيعة ،
أنطحى لدى دوران مُحركك المدوّخ والثقل
أجسام الفلسفات كلها ، مجازات كل القصائد ،
مزقيهنّ جميعاً ولتبقّى وحدك أنت ، مقوداً مجرداً
فى الأجواء
سيّداً أعلى للساعة الأوربية ، حرارة معدنية
خالصة .
هيا ، لتكنْ هذه الوثبة ممتدةً لا نهاية لها حتى فى
الله ذاته !

هياً ولأبقى أنا نفسى وراء الوثبة ، لأبقى
مَجْروراً فى مؤخرة القطار ، معصوراً ، مفرغاً ،
ضائعاً ،

أنا الفقير ، جسدى وروحى بَلْغا قمة ارتفاعى ،
حيث أتطلع إلى يوتوبيات مجاوزة للكون ، أتطلع
إلى أن

أترك الله من ورائى مثل صُوةِ الألفِ
وَأَن أسلم (....)

تؤلمنى المخيلة ، لا أدرى كيف ، لكن عنها يصدر
الألم ،

من أعالى السماء تنحدر الشمس فى دواخلى .
فى الأفق الأزرق وفى أعصابى يبدأ الإمساء .
هياً ، أيتها الوثبة ، إلى أى كائن آخر ستحوليننى ؟
أنا الذى أردتُ سريعاً ، شرهاً ، نهماً للطاقة المجردة
التهام العالم ، احتسائه ، خدشه وسلخه ،
أنا الذى لن يشفى غليلى سوى أن أدعس الكون
تحت قدمى ،
أن أدعس ، أدعس ، أدعس حتى أفقد الإحساس ...
أنا الذى أحسُّ أن كل ما رُغبت فيه قد ظل خارج
إمكان ما تخيلتُ ،
وأُننى رغم اشتهائى كُلُّ شئ ، ظلَّ كُلُّ شئ
ينقصنى .

هى وثبة مفككة فوق كل القمم ،
وثبة منحلة تحت كُلِّ الآبار ،
وثبة طيران ، غارة سهم ، وثبة فكر - برق ،

وثبة أنا ، وثبة أنا ، وثبة الكون - أنا .

Helaho ho - o - o - o - o - o

كينونتي المطاط ، زُنْبُرُكُ ، مِسْلَةٌ ، ارتجاج ...

أن أحسُّ كُلَّ شَيْءٍ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ ،

أن أملك الآراء كلها ،

أن أكون صريحاً ، أناقض نفسي في كل آن

أن أغيظ من أشاء بوحى من الحرية الكاملة للروح

وأن أحب الأشياء مثل الله .

أنا الذى أعتبرني أخاً لشجرة أكثر من كونى أخاً
لعامل ،

أنا الذى أحسُّ الألم المتخيَّل للبحر وهو يجلد
الشُّطَّانَ

أكثر من إحساسى بالألم الفعلى للأطفال المجلودين

(أوه ، كم هو زائف هذا الذى أقول ، أيتها
المخلوقات المسكينة المجلودة - لكن لماذا تنقلب
أحاسيسى إلى النقيض بهذه السرعة ؟)

أنا ، فى النهاية ، حوار متواصل ،

كلام جهير لآ مَفْهُوم ، أنا ليل سامق فى برج ،
عندما ، فى كَسَل ، تهتز الأبراج من دون أن تقرر عها
يد ويُعرَف بالكاد أن ثمة حياةً يمكن أن تُحيا للغد .
أنا ، فى آخر المطاف ، حرفيا أنا ،
ومجازياً كذلك ،
أنا الشاعر الحسوي⁽⁵⁾ الذى أرسلته الصدفة
إلى الشرائع اللاغبار عليها للحياة ،
أنا مُدخِّن السجائر المحترف
وَمُدخِّن الأفيون ، متعاطى الأبنسط⁽⁶⁾ الذى
يفضل فى النهاية التفكير فى تدخين الأفيون على
تدخينه بالفعل .
ويميل إلى النظر إلى الأبنسط أكثر من ميله إلى
احتسائه ...

أنا ، هذا الوضع الأرفع من دُونِ أرشيف للروح ،
ولا شخصية ذات قيمة معترف بها ،
أنا البَحَّاثَةُ الجليل فى توافه الأشياء ،
قادر على الذهاب للعيش فى سيبيريا لمجرد
الاشمئزاز من ذلك ،

وأعلن أنه ليس مُهماً أن الوطن لا يهمنى
لأننى لا أملك جذراً كالشجرة ، وإن ، فأنا من غير
جذورٍ أحياء
أنا الذى أحسُّ مراراً أننى واقعي تماماً مثل أية
استعارة ،

مثل عبارة خطُّها مريض فى كتاب عثرتُ عليه فتاة
فى سطيحة ، أو لعبة شطرنج على متن سفينة
محيطات ،

أنا المربية التى تجرُّ عربية الرضيع فى كل الحقائق
العمومية ،

أنا الحارس الذى يحملق فيها متوقفاً خلف أشجار
الحور ،

أنا الرضيع فى عربته يطلق للاوعية النورانى
إشارات بعقد من الجلال ،

أنا المشهد القائم وراء ذلك كله ، سلامُ المدن

المُصفى عبر أشجار الحديقة ،

أنا من ينتظرُ الجميع فى منزله ،

أنا هو أولئك الجميع الموجودون الآن فى الشارع ،

أنا ذلك الذى لا يعرفونه عن أنفسهم ،

أنا ، ذلك الشيء الذى تفكّر فيه أنتَ فيجعلك تبتسم ،
أنا المتناقض ، الخيالى ، الثقيل ، الرغبة ،
اللافتة المُلصقة منذ قليل ، أرداف الفرنسيات ،
نظرة القسيس ،

أنا الميدان حيث تلتقي الأزقة ، وينام السائقون
فوق سياراتهم ،
نُدْبَةُ العَرِيف المتجهم ،

أنا الحَزَازُ على عُنُقِ المعلم العائد مريضاً إلى المنزل ،
الفنجان المكسور المقبض الذى اعتاد ذلك الطفل
الميت أن يشرب دائماً منه .

(وكل ذلك ينفخ قلب الأم ويخترقها ...)

أنا درس الإملاء الفرنسى للصغيرة التى تقلب
رباط الجوارب ،

أنا القدمان المتحاكّتان على ضوء الثريا تحت
البريدج ،

أنا الرسالة المخبسوة ، دفء المنديل ، النافذة
المفتوحة على الشرفة ،

مدخل « المصلحة » حيث الخادم تُناجى رغبات ابن
عمّها ،

أنا ذلك الحثالة خوصي الذى وعد بالمجئ ولم يجئ
مع أننا كنّا نُدبّر له مكيدة مازحة ...
أنا كل ذلك وما تبقى من العالم كُلّه علاوةً على
ذلك ...

كثير من الأشياء ، أنا ، الأبواب التى تُفْتَحُ ، وما
بسببه تُفْتَحُ الأبواب ،
وتلك الأشياء صانعةُ الأيدي التى تفتح
الأبواب ...

أنا الفشل الفطري لكل طرق التعبير ،
أنا استحالة التعبير عن جميع الإحساسات ،
ولا يوجد فى أية مقبرة قَبْرٌ لأخ هذا كله ⁽⁷⁾ ،
وما يبدو بدون معنى دائماً ينطوى على معنى
معين ...

أجل ، أنا المهندس البحري المؤمن بالخرافات مثل
عَرَّابة قروية
أستعمل نظّارة عين واحدة حتّى أبدو شبيهاً
بالفكرة الواقعية
التي أَكُونُها عن ذاتي ،
وأَمْضِي ثلاث ساعات كاملة فى ارتداء ثيابي

وحدها

دون أن أجد ذلك طبيعياً ،

بل أجده ميتافيزيقياً تماماً ، وإذا أحدهم طرق بابي
أَغْضَبُ

لأنَّه يفسد عليَّ ربطة العنق ، بل لأنَّه يذكرني أنَّ
الحياة مستمرة ...

أجل ، أنا من إليه تُوجَّه ، فى النهاية ، الرسائل
المختومة بالشمع الأحمر ،

أنا صندوق الأحرف البارزة المستهلكة ،

ترنيمة الأصوات التى لن نسمعها أبداً من جديد
الله يحفظ كل ذلك فى الغيب ، نحن نُحْسِئ من حين
لآخر ،

والحياة تغدو فجأة ثقيلة وتَحُلُّ برودة شديدة
أقرب إلينا من الجسد .

إيه بريجيда ، وابنة عمِّ خالتي ،

الجنرال الذى كانتا تتحدثان عنه - جنراً لا كان
عندما كانتا صغيرتين -

وكانت الحياة حرباً أهلية فى كل مكان ...
لتحي الميلودراما التى بكت فيها ماركو
دون نظام تسقط الأوراق اليابسة على
الأرض ،

لكنَّ الثابت أنَّ الخريف دائماً هو الخريف
والشتاء بعده آتٍ لا مناصَّ منه
ولأجل الحياة يوجد طريق واحد هو الحياة ...

ذلك العجوز التافه الذى عرف الرومانطيين ،
ذلك المنشور السياسى من عصر الثورات
الدستورية ،
والألم الذى يخلفه ذلك كُلُّه من غير أن يُعرف
السبب
ولا أن تجد دَواعٍ للبكاء غير الإحساس بالبكاء
لذاته .

كُلُّ العشاق فى روحى تبادلوا القبل ،
كُلُّ الصعاليك فوقى ناموا لبضع لحظات ،

كل المهانين على ذراعى أراحوا قليلاً رؤوسهم على
شوارع ذراعى مرَّ جميع الشيوخ والمرضى
ولي أنا باح كل القتلة بأخص أسرارهم .
(تلك التى توحى ابتسامتها بسلام أفنقهه ،
وفى إغفاءة عينيها ثمة مشهد لهولندا
بنسائها المحجبات بالكثان
وكل المجهود اليومى لشعب مُسالم نظيف ...

تلك التى نسيت الخاتم فوق خزانة النوم
والشريط مُطلاً من الدرج ،
الشريط الوردى الذى لا أحبه لَلْوَنه بل لِعُلُوْقه
بالدرج
مثلما لا أحب الحياة بل أحب الإحساس بها
فحسب ...

أن أنام مثل كلب ضال فى الطريق ، تحت الشمس ،
بعيداً نهائياً عما تبقى من الكون ،
وأن تمر من فوقى شتى العربات)

ضاجعتُ كل المشاعر
 كنتُ قَوَّاد جميع الانفعالات ،
 كل الأحاسيس الصدفويّة ضيّفتني على موائد
 الآخرين ،
 غازلتُ كل إشارة مؤدّية إلى فعل اللذة ،
 ووضعت يدي في يد كل شهوات الرحيل .
 يا للحُمى الشاسعة لهذه اللحظات !
 يا لقلق مصّهر الانفعالات !
 السُّعار ، الزُّبد ، الشساعة التي لا يسعُها منديلى ،
 الكلبة النابحة فى الليل ،
 بركة الضيعة الريفية تحوم حول أرقى
 والغابة حيث كُنَّا نتنزّه فى العشية ، والوردة ،
 الضفيرة اللامبالية ، الطحلب ، أشجار
 الصنوبر ،
 وكل السُّعار الناجم عن عدم احتواء كل ذلك ، عن
 عدم الإمساك به ،
 أوهِ يا جوع الأشياء المجرّد ، حماسة اللحظات
 العاجزة ،

التهتُّك الفكرى للشعور بالحياة !

أنْ أنالَ كُلَّ شَيْءٍ بالكفاف الإلهى -

السهاد ، الرضا ، الإشعارات ،

الأشياء الجميلة للحياة -

الموهبة ، العفة ، العفو ،

الميل إلى اصطحاب الآخرين إلى البيت

وضعية المسافر ، امتياز الركُوبِ باكراً للحصول

على مقعد ،

فائدةُ السفر إلى مكان آخر ،

لكن ينقصنى شَيْءٌ ، شَيْءٌ ما ، كأس ، نسيم ،

عبارة ،

والحياة إنما توجعنا كلما أبدعنا واستمتعنا بها

أكثر .

أنْ أَسْتَطِيعَ الضحك ، الضحك ، الضحك

بإشراق

الضحك مثل كُوبٍ يُراق ،

مجنوناً تماماً لمجرد الإحساس ،

مَمَزَقًا بِفَعْلٍ اِحْتِكَاكَى مَعَ الْاَشْيَاءِ ،
مَجْرُوحِ الْفَمِ مِنْ جَرَاءِ عَضْيِ الْاَشْيَاءِ ،
بِالْاَظْفَارِ مُدْمَاةً لَشِدَّةِ مَا اقْتَلَعَتْ مِنْ اَشْيَاءِ
وَبَعْدَئِذٍ هَبُونِى اَيَّةَ زَنَازَنَةٍ تَشَاوُونَ
سَأَتَذَكَّرُ الْحَيَاةَ .

22 مائى 1916 - 10 ابريل 1923

طبكيرية

لا أساوى شيئاً

ولن أكون أبداً لا شيء

لا أستطيع أن أرغب فى أن أكون لا شيء

عداً هذا ، أملك كل أحلام العالم فى دخيلتى .

نوافذ غرفتى ،

غرفة واحد من هؤلاء الملايين فى العالم لا أحد

يعرف من هو

(وحتى لو عُرف ، ماذا سيعرف عنه ؟)

نوافذ مُطلّة على غوامض شارع يجتازه

الناس باستمرار ،

تطل على شارع يصعب على الفكر ارتياده ،

واقعي ، واقعى حتى الاستحالة ، واضح بطريقة لا

تخطر على البال ،

بغوامض الأشياء تحت الأحجار والكائنات ،

بغوامض الموت الذى يُخزّن

الحيطان ويزرع البياض فى شعور الرجال ،

بالمصير الذى يقود عربة الكل فى طريق
اللاشئ .

اليوم أنا مهزوم كما لو كنتُ أعرف الحقيقة ،
صَاحٍ كما لو كنت على وشك الموت .
لا أخوة مع الأشياء لدى أكثر من
أخوة وداع فيما هذا المنزل وذلك الجانب من
الشارع

يَغْدُوَان صَفّاً من عربات قطار ،
صفّارة ممتدة داخل جمجمتى ،
ورجة فى أعصابى وطقطقة
فى عظامى لحظة الإقلاع ،
أنا اليوم مُبلبل خاطر ، كمن فكّر فَوَجَد ثم نسي
كل شئ ،

أنا اليوم موزّع بين انحيازى
للطبكيّة المقابلة لى ، كشئ واقعى من الخارج
وبين الإحساس بأنّ كل شئ هو مجرد حلم ،
بوصفه شيئاً واقعياً من الداخل .
أخفقتُ فى كُلّ شئ .

وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي أَيْ هَدَفَ مِنْ أَيْ نَوْعٍ فَقَدْ بَاتَ
كُلُّ شَيْءٍ غَيْرِ ذِي قِيَمَةٍ لَدِي .

مِا لَقَنُونِي إِيَاهُ

قَدَقْتُ بِهِ مِنَ النَّافِذَةِ الْخَلْفِيَّةِ .

لَقَدْ ذَهَبْتُ إِلَى الْحَقُولِ تَحْدُونِي غَايَاتُ كَبِيرَةٍ ،

وَجَدْتُ أَشْدَّ جَاراً وَأَعْشَاباً فَحَسِبَ

وَالنَّاسَ الَّذِينَ كَانُوا هُنَاكَ كَانُوا مِثْلَ الْآخَرِينَ .

أَتَرَكَ النَّافِذَةَ مَفْتُوحَةً وَأَجْلَسَ عَلَى كُرْسِيٍّ . فِيمَ

يَنْبَغِي أَنْ أَفَكِّرَ ؟

مَاذَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَعْرِفَ عَمَّا سَأَكُونُ ، أَنَا الَّذِي لَا

أَعْرِفُ مَنْ أَكُونُ ؟

أَنْ أَكُونُ مَا أَفَكِّرُ فِيهِ ؟ أَفَكِّرُ أَنْ أَكُونُ أَشْيَاءَ عَدِيدَةٍ !

وَهُنَاكَ كَثِيرُونَ يَفَكِّرُونَ أَنْ يَكُونُوا ذَلِكَ الشَّيْءَ

نَفْسَهُ الَّذِي لَا يُمْكِنُ لِلْكَثِيرِينَ أَنْ يَكُونُوهُ .

أُعْبِقِرِي أَنَا ؟ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ثَمَّةٌ

مِثْلُ أَلْفِ دِمَاحٍ تَوْ مِنْ مِثْلِي بِأَحْلَامٍ عَبْقَرِيَّةٍ ،

وَمَنْ يَدْرِي هَلْ سَيَحْفَظُ التَّارِيخُ حُلُمًا وَاحِدًا مِنْهَا ،

وَهَلْ سَيَبْقَى غَيْرَ انْزَبَلٍ لِلْعَدِيدِ مِنَ الْمَغْزَوَاتِ

الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ .

كلًا . لا أو من بنفسى

أليس ثَمَّتَ فى كثير من غرف السطوح وغيرها
نُبْغَاءُ لأنفسهم فى هذه الساعة يحملون ؟

كم من تطلُّعات رفيعة ونبيلة وصاحبة
- إن كانت حقًّا رفيعة ونبيلة وصاحبة -
رُبما قابلة للتحقيق ،

لن ترى أبداً نور الشمس الفعلية ولن تصل إلى
آذان الناس ؟

العالم مخلوقٌ لمن ولِدوا كى يمتلكوه
لا لمن يحلم بأنَّه قادر على امتلاكه ، ولو
كان على صواب .

لقد حلمتُ بأكثر مما حلم به نابليون نفسه .
ضَمَمْتُ إلى صدرى المفترض إنسانيات
أكثر مما ضَمَّ المسيح .

شيدتُ فى السرِّ فلسفاتٍ أكثر من كل ما كتب
أَيُّ كانط .

لكن كنت وسأكون دائماً مجرد ساكن غرفة فى
سطح

ولو لم أعشُ فيها .

سأبقى دائماً مَنْ لم يخلق لذلك
سأبقى دائماً ذلك الذى امتلك بعض المزايا .
سأكون دائماً ذلك الذى توقَّع أن يفتحوا له باباً فى
جدار بلا باب ،

والذى غَنَى ترنيمة اللانهائى فى خُمِّ الدجاج
الذى سمع صوت الله فى بئر مغلقة .
أَوْ أَوْ مِنْ بِنَفْسِي ؟ لَا بِنَفْسِي وَلَا بِأَيِّ شَيْءٍ .
لتسكب الطبيعة شمسها ومطرها
فوق رأسى المتَّقِدِّ ولتكنس ريحُها شعري
وما تبقى ليأت إذا كان لا بد أن يأتي
أَوْ لَا يَأْتِي أَبَدًا .

عبيدٌ قلبيون للنجوم نحن ،
نفتح العالم قبل نهوضنا من السرير
نستيقظ فإذا هو صَفِيقٌ
نخرج إلى الشارع فإذا هو غريب عنا ،
وهو الأرض بأكملها والنظام الشمسى ودرب
التبانة وما لا يحدُّ .
(كُلِّي الشوكولاتة ، يا صغيرة .

كُلِّي الشوكولاتة !

سَتَرَيْنَ لا توجد مِيتافيزيقا فى العالم تُضَاهِي
الشوكولاتة ،

سَتَرَيْنَ كُلَّ الديانات لا تُعَلِّمُ أَكْثَرَ مما تُعَلِّمُهُ
المقشدة .

كُلِّي ، أيتها الصغيرة القذرة ، كُلِّي !

ليتنى أستطيع أكل الشوكولاتة بمثل اليقين الذى
به تَأْكُلِينَهَا !

غير أننى أفكّر لَدَى نزع اللُّفافة الفضية التى
هى ورقة من قصدير ،

فى أن أقذف إلى الأرض بكل شئ ، مثلما فعلتُ
بحياتى نفسها)

لكن تبقى على الأقل مرارة ما لن أكونهُ أبداً ،
الخط السريع لهذه الأشعار ،
بوابة منكسرة على المستحيل .

إننى على الأقل أمحض نفسى ازدراء بلا دموع ،
نبيلٌ على الأقل بفعل الحركة الجنتلمانية التى أرمى
بها فى تيار الأشياء

الثياب القذرة التى هى أنا

لأبقى فى بيتى من غير قميص

(أنت التى تواسين وليس لك وجود ، ولذلك
تواسين ،

إلهة يونانية كنت ، مثل تمثال وُهب الحياة ،

أو نبيلة رومانية ، مستحيلة ومشؤومة ،

أميرة تروبادوريين ، مركيزة زاهية من القرن
الثامن عشر ،

لطيفة جداً وملونة ، ذات لباس مكشوف وبعيدة ،

عاهرة شهيرة من زمن أجدادنا ، أو من شئ حديث

لا أستطيع حتى أن أتخيله ،

كوني كُلّ ذلك كيفما كان ، وإذا كان هذا هو الإلهام
فلتلهمينى !

قلبى دَلُوْ مقلوب .

مثل محضري الأرواح

أستحضر رוחي فلا يظهر شئ .

أدنو من النافذة وأنظر إلى الشارع بوضوح مطلق .

أرى المتاجر ، الرصيف ، أرى السيارات التى تمر ،

أرى الأحياء بملابسهم يتقاطعون ،

أرى الكلاب الموجودة بدورها ،

وكل هذا يُثْقَلُ عَلَيَّ مِثْلَ حَكَمٍ بِالنَّفْيِ ،
كل هذا ، لا يمتُّ بِصِلَةٍ إِلَيَّ ، مِثْلَ كلِّ شَيْءٍ .
لقد عشتُ ، درستُ ، أحببتُ بل وآمنتُ حتَّى .
واليوم لا يوجد متسَوِّلٌ لا أحسده على حاله ، فقط
لأنَّه ليس أنا .

فى كل شخص أرى الأسمال ، القرحة والكذب .
وأفكر : رَبُّمَا مَاعَشْتَ قَطْ ، ولا أحببتُ ، ولا
آمنتُ

(إِذْ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ نَغَيِّرَ وَاقِعَ هَذَا كُلِّهِ بَدُونِ)
أَنْ نَفْعَلَ أَىَّ شَيْءٍ مِنْهُ) ،
رَبُّمَا كُنْتَ مَوْجُوداً بِالكَادِ مِثْلِ سَحْلِيَّةٍ بَتَّروا لَهَا
الدَّئِبَ

فَالدَّئِبَ وَحْدَهُ يَنْطُ وَيَنْطُ ، مَفْصُولاً عَنِ الْجَسَدِ .
فَعَلْتُ بِنَفْسِي مَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ
وَمَا كَانَ بِإِمْكَانِي أَنْ أَفْعَلَهُ بِي لَمْ أَفْعَلْهُ
القِنَاعُ الَّذِى ارْتَدَيْتُهُ لَمْ يَكُنْ قِنَاعِى الْأَفْضَلُ .
وَقَوْرًا حَسْبُونِى ذَلِكَ الَّذِى لَمْ أَكُنْهُ ، لَمْ أَفْنُدْ
حَسْبَانَهُمْ وَضِيعَتُ نَفْسِى .
عِنْدَمَا أَرَدْتُ نَزَعَ الْقِنَاعَ ،

التصق بوجهى ،
 عندما نظرتُ فى المرآة ،
 كنتُ قد شختُ
 ثملاً كنتُ ، لم أعد أعرف وَضْعَ القناع الذى لم
 أنزعهُ
 طوّحتُ به ،
 وفى خزانة الثياب نمتُ
 مثل كلب معتنى به
 لكونه غير مؤذ .
 لسوف أكتب هذه الحكاية لأبرهن على نبلى .
 يا جوهر موسيقى أشعارى اللامجدية
 هل أقدر أن القاك كشئ يخصُننى ، كشئ أنا
 صانعه .
 بدلاً من أبقى دائماً قبالة الطبكيرية :
 حيث أدوس وعيى بأئننى موجود
 مثل بساط يتعثّر فوقه سكير
 أو حصير سرقه غجر وهو لا يساوى حبة خردل .
 لكن صاحب الطبكيرية ظهر فى الباب ولبث

واقفاً هناك .

أنظرُ إليه بضيق من يحمل رأساً فى وضع غير
مريح

بضيق فهُمْ سيء للروح .

سيموتُ هو وأموتُ أنا

هُوَ سَيتَرَكُ يَافِطَته وَأَنَا سَأَخْلُفُ أشعاري .

بعد حين ستتلاشى اليافاطة وأشعاري ستغيب

بعد ذلك سيموت الشارع حيث كانت اليافاطة

ثم تموت اللغة التى بها كتبت تلك الأشعار

فيما بعد سوف يتلاشى الكوكب السيار الذى حدث
فيه هذا كله :

فى كواكب أخرى لمجموعات أخرى سوف تواصل
كائنات شبيهة بالبشر

وضع أشياء تشبه الأشعار ،

تشبه العيش تحت يافطة متجر .

دائماً شيءٌ ما قُبالة شئٍ آخر

دائماً شئٌ لا جدوى منه تماماً مثل آخر .

دائماً ما هو مستحيل وما هو واقعي فى البلادة
سواء .

دائماً سرُّ العمق أكيد مثل غوامض السطح .
دائماً هذا الشيء أو دائماً ذاك ، أولاً هذا ولأ ذاك .
لكنْ هناك رجل دخل الطبكيرية (الشراء التبغ ؟)
فإذا الواقع المعقول يَهْوِي بغتةً على مرة واحدة ،
أنتصب ، بحيوية ، مقتنعاً ، إنسانياً .
وأبدأ في كتابة هذه الأبيات التي سأقول فيها
العكس .

أشعل سيجارة لدى التفكير في كتابة الأبيات ،
وأذوقُ في السيجارة حرية الانعتاق من كل
أشكال التفكير .

أدخُنْ وأتابع الدخان كما لو أنه مساري
الخاص

وأتلذذُ ، في لحظة إحساس ،
بالتحرُّر من كُلِّ التأمُّلات .
واعياً أن الميتافيزيقا إنما هي نتيجة لمزاج
متعكِّر .

وبعد هذا كُلُّه أترجع فوق مقعدى
وأتابع التدخين
سأتابع طالما القدر يتيح ذلك لى .

(لو تزوّجتُ ابنةَ غَسَّالَتِي لرُبّما كنتُ أصبحتُ
سعيداً !)

أَعَادِرُ مَقْعَدِي ، مادام الأمر كذلك ، أتجه صوب
النافذة

لقد خَرَجَ الرجل من الطبكيرية (أو دَسُّ بَقِيَّةِ النقود
فى جيب البنطلون ؟)

آه ، إنَّنى أعرفه ، إنه إستيبا الذى بلا
ميتافيزيقا

(صاحب الطبكيرية يعود إلى باب دكانه)

مدفوعاً بغريزة إلهية ، إستيبا استدار

وَلَمَحْنِى :

حيَّانى بيده فَصَحْتُ به ! وداعاً ، إستيبا

وإذا الكون

يتشيدُّ من جديد فى داخلى بدون مثل أعلى ولا أمل

وصاحب الطبكيرية يبتسم .

15 يناير 1928

هوامش الدراسة :

- (1) محتذى العادات والتقاليد الإنجليزية .
- (2) نزعة نوسطالجية ميّزت الشعر والغناء البرتغاليين فى بداية القرن .
- (3) أقترح هذه اللفظة كمقابل لـ heteronimos المركبة من الكلمة الإغريقية heteros وتعنى « الآخر » و onuma وتعنى الاسم . وقد أطلقها بيسوا على الأسماء - المخلوقات الشعرية التى اخترعها وكتب بها أشعاراً شتى ، التى اكتسب كل منها وجوداً مستقبلاً ونداً لفرناندو بيسوا نفسه .
- (4) ortonimos هى تلك الأسماء المختلفة التى تظل خارج ذات المؤلف خلافاً لـ heteronimos التى تنتمى إلى عالمه الداخلى .
- (5) ولد فى لشبونة عام 1889 وفيها توفى عام 1915 . عاش حياته كلها تقريباً فى مزرعة . أعماله : حارس القطعان : 1911 - 1912 ؛ الراعى العاشق ؛ قصائد غير متجانسة 1913 - 1915 .
- (6) لم يعرف أى شئ مماثل فى الإسبانية حتى مجئ جيل لوركا ونيرودا . أجل ، لقد كان هناك نثر كوميث دى لاسيرنا . فى المكسيك كانت لدينا بداية خجول ، بداية فحسب : TABALADA . سنة 1918 بزغت ، فعلياً ، القصيدة الحديثة فى اللغة الإسبانية . غير أن رائدها فيسنطى هويدبرو شاعر ذو نغمة مختلفة .
- (7) من المستحيل حسبما يبدو ألا يكون بيسوا قد تعرّف على لاربو . فالطبعة

الكاملة لـ Barnabooth هي طبعة 1913 ، أى سنة المراسلات المكثفة لبيسوا مع ساكارنيرو . وهناك تفصيل مثير : لقد زار لاربو لشبونه عام 1926 . كوميث دى لاسيرنا الذى كان يعيش وقتئذ فى تلك المدينة هو الذى قدّمه للكتاب الشبان الذين أقاموا مأدبه له . فى التعليق المخصّص لهذا الحدث فى lettre de lisbone en jaune bleu blanc يتحدث لاربو بإطراء عن المادام نيغريرا . لكنه لا يذكر بيسوا . ألمّ يتعارفاً إذا ؟ ! .

(8) ولد فى أبورطو عام 1887 وهو الشاعر الأكثر متوسطية بين الأنداد . كاييرو كان أشقر بعينين زرقاوين . كامپوس بين البياض والسمرة ، طويل ، نحيل مع مظهر أسمى . أما ريبس فأسمر « كامد » أقرب إلى إسباني أو برتغالي من الجنوب . ليست الأناشيد أثره الوحيد . فمن المعروف أنه كتب نقاشا إسطييقيا بين ريكاردو ريبس وألبارودى كامپوس . وملاحظاته النقدية حول كاييرو وكامپوس نموذج للتدقيق والغموض الإسطييقى . (المترجم الإشباني) .

(9) قبل أن يتم نشر هذا الكتاب وبقية الأعمال الكاملة لبيسوا نشرت هذه الدراسة .

هوامش قصيدة نشيد بحري :

- (1) ربما يقصد إنريكي البحار . (المترجم الإسباني) .
- (2) بلدة صغيرة على الضفة اليسرى لنهر التاج ، قبالة ميناء لشبونة .
(المترجم الإسباني) .
- (3) cesario verde شاعر برتغالي عاش في النصف الثاني من القرن 19 . يعتبر أول من أدخل قصيدة النثر كأسلوب شعري في القصيدة البرتغالية الحديثة . وقد أعيده له الاعتبار حيث اعتُبره بيسوا وجماعة أورفي قُدوتهم الأدبية (المترجم الإسباني) .
- (4) يقصد الإعلانات الروتينية عن دخول السفن وخروجها من الميناء
(م . الإسباني) .

هوامش قصيدة تزجية الوقت :

- (1) حاولت الحفاظ على إيقاعية هذا المقطع الهذيانى الملتبس .
- (2) جملة ملتبسة فى الأصل .
- (3) centrifugo طارد مركزى مقابل : centripeto جاذب مركزى .
- (4) Ave,Salve باللاتينية فى الأصل .
- (5) الشاعر الحسوى Poeta Sensacionista وهو اسم الحركة الأدبية التى أسسها بيسوا وصديقه الشاعر البرتغالى ماريو ساكرنيرو قبيل الحرب العالمية الأولى (م . س .) وقد فضلنا ترجمة sensacionismo بحسوية بدلا

من حساسوية الشائعة ، لأنها أدل على طبيعة الفعل الشعري المنجز .

(6) Absinto مشروب قوى كان يصنع من الشببية واشتهر في القرن

18 و 19.

(7) ترجمة حرفية لببيت غامض في الأصل . (م . ع) .

هوامش قصيدة طبكيرية :

(1) فضلت الإبقاء على العنوان الأصلي بدلا من « دكان التبغ » .

فرناندو پيسوا

بطاقة كرونولوجية

- 1887 : الميلاد المفترض لريكاردو ريس .
- 1888 : 13 يونيو : ميلاد فرناندو پيسوا .
- 1889 : - 16 أبريل : الميلاد المفترض لألبرطو كاييرو .
- 15 أكتوبر الميلاد المفترض لألبارودى كامپوس .
- 1893 : موت والده .
- 1895 : ظهور أولى قصائده وهى رباعية مُهداة إلى أمّه .
- 1896 : يسافر إلى دوربان (جنوب إفريقيا) مع أمّه وزوجها الدبلوماسى .
- 1896 - 1898 : الدراسة الابتدائية .
- 1901 : قضاء العطلة مع العائلة في لشبونة وهو

- تلميذ في إحدى المؤسسات الثانوية .
- 1902 : يكتب قصيدته الثانية (رباعيات وثلاثية)
مهداة أيضا إلى أمه .
- 1903 : يلتحق بجامعة الكابو .
- 1905 : يعود بمفرده إلى لشبونه ليستقر في منزل
جدته لأبيه ، ثم في منزل خالته من بعد .
- 1906 : يسجل نفسه في كلية الآداب بلشبونة .
- 1907 : يترك الدراسة في الكلية بصفة نهائية .
- 1908 : يشرع في مزاولة عمله كمحرر للمراسلات
الأجنبية في مؤسسات تجارية للتصدير
والاستيراد .
- 1909 - 1910 : يكتب العديد من السونيتات باسمه
الخاص .
- 1911 : يشرع في تنفيذ مخطط لدراسة الفلسفة
اليونانية والألمانية والآداب الأوروبية
الكبرى . ومن ثم فقد أمضى فترات طويلة
من هذه السنة معتكفاً في صالة القراءة
التابعة للمكتبة الوطنية .
- 1912 : ينشر في مجلة AAgua أولى مقالاته
النقدية للشعر البرتغالي ، وهي نفس
السنة التي ولدت فيها فكرة خلف ند
شعري له ممثل في ريكاردو ريبس .

1913 : ميلاد بعض القصائد ، توطّد صداقته
بالرّسام ألماندا نيغريروس وبالشاعر
ماريو ساكر نيرو .

1914 : يوم 8 مارس : يوم تاريخى خارق فى
حياته الإبداعية : كتابة : نشيد الظفر
لكامپوس « مطر مائل » لپيسوا « راعى
القطيع » لألبرطو كاييرو - 12 يونيو :
ظهور أول قصيدة لريكاردو ريبس .

1915 : تأسيس مجلة أورفى مع ساكرنيرو وألماندا
نيغريروس .

- 11 يوليو : ساكرنيرو يعود إلى باريس .

- غثت : نشاط أدبى محمود لأنداد پيسوا .

- نوفمبر : الموت المحتمل لألبرطو كاييرو .

1916 : يفكر فى الاستقرار كمنجّم فى لشبونة .

- أولى تجاربه فى الوساطات الروحية :

- ساكرنيرو يخبره بوساطة رسالة عن
رغبته فى الانتحار .

- انتحار ساكر نيرو فعلاً فى 26 أبريل فى
باريس .

- تغيير مستمر لأمكنة الإقامة .

1917 : ظهور العدد اليتيم من مجلة ..
المستقبلية البرتغالية .. متضمنة قصيدة
Ultimatum .. لألبارودي كامپوس .

1918 : ينشر قصائد بالإنجليزية .

1919 : ريكاردو ريبس يسافر إلى البرازيل .

- موت زوج أمه فى بريتوريا .

1920 : ينشر أشعاراً بالإنجليزية ويشعر فى
كتابة أخرى .

- يكتب رسالته الغرامية الأولى إلى
أو فيليبا كيروث يوم فاتح مارس . وفى 28
منه يستقر مع أمه العائدة من جنوب
إفريقيا بصحبة أبنائها الثلاثة فى
شارع Coelhod Racla حيث أقام حتى
وفاته .

1922 : ظهور العدد الأول من مجلة « المعاصر »
متضمناً لـ « رجل البنك الفوضوى » « بحر
برتغالى » « ثلاث أغاني ميتة (بالفرنسية) »
و « Lisbon Revisted » بالإنجليزية .

1923 : سنة الخصوبة الإبداعية القصوى
لريكاردو ريبس .

- يترجم بضع قصائد لإدغار坡و إلى
البرتغالية .

— ظهور « بيان طلبة المدارس العليا للشبونة
« ضد ألبارودي كامپوس الذى ينشر رَدُّه
المضاد : بيان من أجل الأخلاق .

1924 : ظهور مجلة أثينا بإدارة پيسوا وروا باث
حيث توالى صدورها حتى العدد الخامس .
1925 : وفاة أمه .

1926 : يُدير بمَعونة صِهره « مجلة التجارة
والمحاسبة » التى ظهر منها ستة أعداد
ساهم فيها پيسوا بموضوعات اقتصادية
تجارية .

1928 : ألبارودي كامپوس يكتب قصيدة
« طبكريا » .

1929 : ظهور أول دراسة نقدية حول ف . پيسوا
بقلم جَاوْ غاسپار سيمويس .

1930 : پيير أوركاد يكتب فى مجلة « Cantacs »
عن لقاءه بفرناندو پيسوا .

1932 : يتقدَّم للحصول على منصب محافظ
متحف ومكتبة الكونت كاسترو غيمارايه ،
لكنه يُقضى لعدم توفُّره على تأهيل رسمى .

1933 : يمر بأزمة نوريسينية حادة .

1934 : النشاط الشعرى لألبارودي كامپوس
يتضاعف مقابل الصمت شبه الكامل

لرئيس وپيسوا .

— حصول قصيدة « رسالة » على جائزة من
« الدرجة الثانية » فى المسابقة الشعرية
التي نظَّمها « مكتب الإشهار الوطنى » .

1935 - 19 نوفمبر . آخر قصيدة لپيسوا تنتهى
بهذا البيت :

« اسقنى مزيداً من الخمر ، لأن الحياة
لا شئ » .

— 30 نوفمبر : وفاة پيسوا من تشمُّع فى
الكبد .

المترجم :

شاعر مغربي من مواليد مدينة أصيلة عام 1953

صدر له : I في الشعر :

- ١ - باب البحر : عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت 1983
- ٢ - سماء خفيضة : عن دار النشر المغربية . الدار البيضاء 1989
- ٣ - ترانيم لتسليية البحر : عن دار المعارف المغربية . الرباط 1992
- ٤ - شمس أولى : عن دار المعارف المغربية . الرباط 1995
- ٥ - - قبر هيلين : طبع وزارة الثقافة المغربية . الرباط 1998
- ٦ - ضوء نبي في حواشي الفجر - طبع وزارة الثقافة المغربية . الرباط 1998

II . في الترجمة :

- ١ - نشيد بحري : مختارات من شعر فرنادو وبيسوا
(أ) عن هيئة قصور الثقافة : القاهرة 1995 .
(ب) عن دار الرابطة المغربية : الدار البيضاء 1996 .
- ٢ - الذهب المزدوج : لأوكتافيو باث :
عن منشورات المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة 1998 .

المحتويات

3	إضاءة : المهدي أخريف
9	فرناندو بيسوا : إسطنبول والتنازل
13	أولاً : مختارات شعرية II
15	مطر مائل
26	فصول / المومياء
34	نعم سأفعل
35	كن هادئاً أيها القلب
36	ربما ذات يوم أنظم قصيدة
37	كتابات قبرية
44	مقاطع من « ديوان الأغاني »
45	ثلاث قصائد من « رسالة »
45	الأمير دون إنريكي
55	دون خوان الثاني
56	كتابة على قبر برطوميو دياز
57	قصائد أخرى
57	عيد الميلاد

61	سونيتاتان
65	ألبرطو كاييرو : بطاقة حياة
67	مرحى براعى القطيع
69	رعاة فرجيل
70	خفيفة ، خفيفة جداً
71	أحيانا ، فى أيام النور الكامل
73	وهناك شعراء صنَّاع
75	مثل لطفة هائلة لنار قذرة
77	كثير من التفكير من الميتافيزيقى
83	أمس مساء
86	سر الأشياء
88	بهذه الطريقة أو تلك
91	من أعلى نافذة فى منزلى
97	كل يوم أكتشف واقع الأشياء المرعب
98	كتبت قصائد كثيرة
99	أصغى لهبوب الريح
100	ذات مرة
101	لو فجأة مت
103	لو أرادوا كتابة سيرتى
105	ريكاردو ريبس : شاعر الوثنية الجديدة
107	أحب ورود حديقة أدونيس
108	أنا لا أغنى الليل

109	لا أريد التذكّر
110	آلهة تمر ، مخلصون إلهيون
111	أن تكون كبيراً
112	لا أطلب من الآلهة
113	ليديا
114	بلا ساعات
115	الأزهار
116	يستطيع القدر
117	رعية لامُجدية
118	تحت وصاية خفيفة
120	توجوني بالورد
121	بسرعة يمرُّ كلُّ مايمُرُّ
122	أنتم ، أيها المؤمنون بكل مسيح ومريم
125	ألبارودي كامپوس : الشاعر المستقبلي الجوال ..
127	نشيد الظفر
144	مقطعات من الأناشيد
155	عبر طريق سينترا
160	رسم تخطيطي
162	أحشاء على طريقة أوبرطو
164	Lisbon Revisted
169	فى ساحات المستقبل
173	تأجيل

176	 غُيوم
179	 تكتّمات
182	 شاسعة هي الصحارى
187	 ثانياً : مختارات شعرية I
189	 تقــــديم
193	 المجهول من لدن ذاته : دراسة لأولكتافيو باث ...
237	 ثلاث قصائد لألبارودي كامپوس
239	 نشيد بحرى
301	 تزجية الوقت
345	 طبكيةــــرية
361	 فرناندو پيسوا : بطاقة كرونولوجية

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز

الإشراف الفنى: حسن كامل



Fernando Pessoa

Selection

فرناندو بيسوا: مختارات

ترجمة: المهدي أخريف

إن الشاعر الواقعي يعلم أن الكلمات والأشياء لا تتماثل، ولذلك يلجأ إلى تسمية الأشياء بواسطة الصور والإيقاعات والرموز والمقارنات.

الكلمات ليست أشياء، أنها الجسور التي نمدّها بيننا وبين الأشياء.

أما الشاعر فهو وعى الكلمات؛ أى أنه نوسطالجيا واقعية.

لقد كان بيسوا الشاعر الواقعي والإنسان المتشكك فى حاجة إلى خلق شاعر فطرى كى يبرر قصيدته هو، كما أنه - مثل ريبس وكامبوس - يتلفّظ بكلمات ميتة ومؤرقة، كلمات ضياع وتشيتيت، هى بمثابة هاجس أو نوسطالجيا الوحدة المفقودة، ونحن نسمعها من أعماق تلك الوحدة:

نحن لم نعيش الحياة، الحياة هى التى عاشتنا بنفس الطريقة التى يرشف فيها النحل الرحيق، نرى نتكلم ونحيا، الأشجار تنمو بينما نحن نيام.

نحب الآلهة تماما مثلما نشاهد مركباً، بدون أن نعى أبداً أننا واعون، نمضى.

Bibliotheca Alexandrina



0680505

